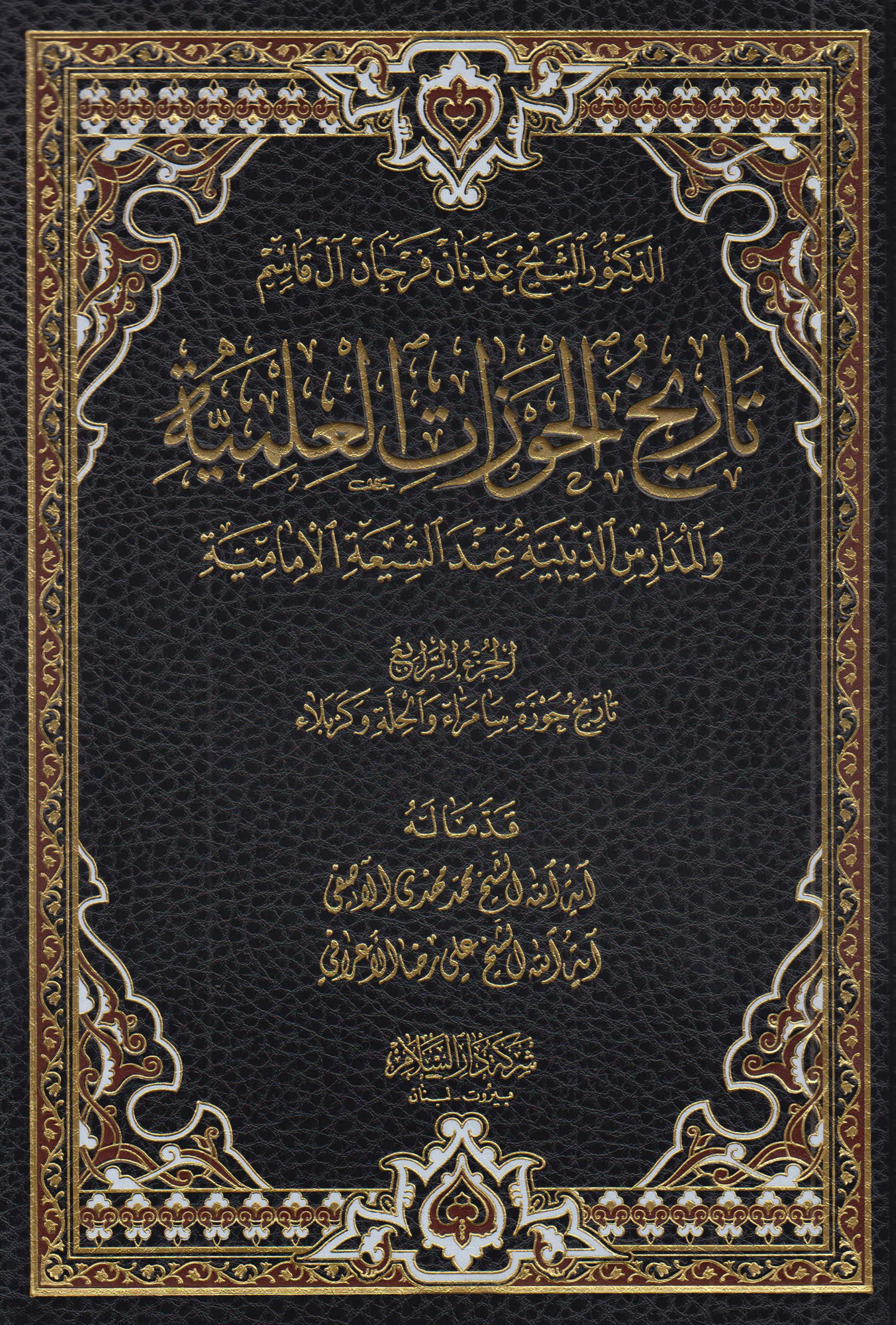
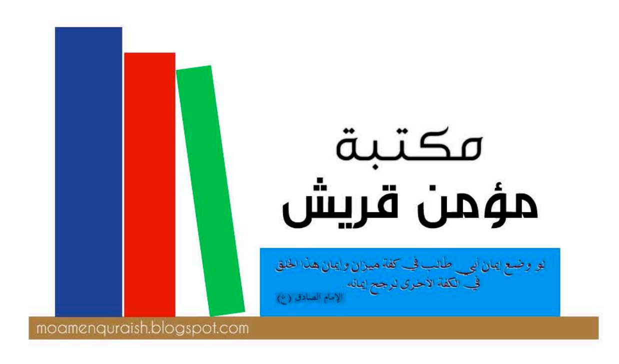

الدكتور الشيخ عدنان فرحان آل قاسم
تاريخ الحوزات العلمية
والمدارس الدينية عند الشيعة الإمامية
الجزء الرابع
تاريخ حوزة سامراء والحلة وكربلاء
قدم له
آية الله الشيخ محمد مهدي الآصفي
آية الله الشيخ علي رضا الأعرافي
شركة دار السلام
بيروت - لبنان


تاريخ الحوزات العلمية
والمدارس الدينية عند الشيعة الامامية
تاريخ حوزة سامراء والحلة وكربلاء





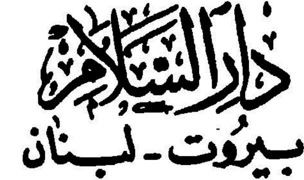
الطبعة الأولى

1436هـ - 2016م

توزيع



009613210986
009611547698
009647813111272
iraqsms@gmail.com



لبنان : 009611472192 -009613461595
العراق : 009647802150376
E-mail:daralsalamco@hotmail.com

الدكتور الشيخ عدنان فرحان آل قاسم



بحث تاريخي في نشأة الحوزات العلمية
والمدارس الدينية عند الشيعة الإمامية
منذ نشأتها الأولى حتى نهاية القرن الرابع عشر الهجري

الجزء الرابع

تاريخ حوزة سامراء والحلة وكربلاء

قدما له

آية الله الشيخ محمد مهدي الآصفي   آية الله الشيخ علي رضا الأعرافي


بسم الله الرحمن الرحیم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾

التوبة: ١٢٢

مقدمة المؤلف

بسم اللّه الرحمن الرحيم

والحمد للّه رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين

وبعد..

بعد التوكل على اللّه سبحانه، نقدّم بين يدي العلماء والباحثين وأساتذة وطلّاب الحوزات العلمية والجامعات الأكاديمية المجلد الرابع من موسوعة «تاريخ الحوزات العلمية والمدارس الدينية عند الشيعة الإمامية» لينظم إلى المجلدات السابقة والتي تحدثنا فيها عن مسيرة الحركة العلمية لمدرسة أهل البيت عليهم السلام في مكة والمدينة والكوفة، واستوعبنا مجمل أبحاثها في المجلد الأول من هذه الموسوعة.

وفي المجلد الثاني تناولنا بالبحث حوزة بغداد العلمية وخلال ما يقارب ثلاث قرون من الزمن؛ منذ تأسيس بغداد سنة (١٤٩ هـ) وإلى هجرة الشيخ محمد بن الحسن الطوسي منها سنة (٤٤٨ هـ).

واستوعب المجلد الثالث تاريخ الحوزة العلمية في النجف الأشرف وضمن مراحل وأدوار ثلاثة منذ تأسيسها بيد الشيخ الطوسي سنة (٤٤٨ هـ) وإلى زماننا هذا، إذ لا زالت هذه الحوزة المباركة تؤتي ثمارها يانعة، بعد أن اجتازت وبصلابة وجدارة أعاصير من المِحَن والمصائب وخلال عقود من الزمن السابق.

وفي هذا المجلد الذي نقدّمه بين يديك أيها القارئ الكريم، تناولنا بالبحث والسّبر التاريخي مسيرة الحركة العلمية في ثلاث حوزات علمية كان لها شأن عظيم في تاريخ العلم والعلماء والعلوم الحوزوية تحديدا؛ وهذه الحوزات هي:

أولاً: الحوزة العلمية في سامراء.

ثانيا: الحوزة العلمية في الحلة.

ثالثا: الحوزة العلمية في كربلاء.

ولكل حوزة من هذه الحوزات مشتركاتها مع الحوزات السابقة عليها من حيث تأثرها بها واستمدادها منها للكثير من العلوم والمعارف والتراث العلمي، كما وإنّ لها خصوصياتها التي تنفرد بها، وأيضا كان لها تأثيرها في الحوزات اللاحقة لها.

لقد حاولنا أن نستوعب ـ وباختصار ـ تاريخ تأسيس هذه الحوزات، وأهم أعلامها وتراثهم العلمي، وأهم الأحداث التي ساهمت في نشأة هذه الحوزات، والعوامل التي أدّت إلى اضمحلالها وانتهاء دورها العلمي. وذلك من خلال مراجعة المصادر والمراجع العلمية وتمحيصها واستخلاص المعلومات الموثقة منها.

نسأل اللّه تعالى أن يتقبل منا هذا الجهد الذي بذلناه في هذا الكتاب بخالص قبوله، وأن يجعل ثوابه ذخيرة لنا يوم نلقاه، وأن ينفع به طلّاب العلم والمعرفة، إنه ولي التوفيق والسداد.

المؤلف

قم المقدّسة

٦ / ذي القعدة ١٤٣٤ هـ

١٢ / ٩ / ٢٠١٣ م

الحوزة العلمية في سامراء

الفصل الأول: نشأة مدينة سامراء وتركيبتها الاجتماعية والمذهبية

المبحث الأول: مدينة سامراء في دورها الأول

المبحث الثاني: مدينة سامراء في دورها الثاني

المبحث الثالث: الوجود الشيعي في مدينة سامراء

الفصل الثاني: هجرة الميرزا الشيرازي وتأسيس الحوزة العلمية في مدينة سامراء

المبحث الأول: أسباب هجرة الميرزا محمد حسن الشيرازي إلى سامراء

المبحث الثاني: تأسيس الحوزة العلمية في سامراء

المبحث الثالث: النشاطات العلمية والاجتماعية والعمرانية للمرجعية الشيعية في سامراء

المبحث الرابع: القراءة المذهبية من قبل السلطة العثمانية للنشاط العلمي الشيعي في سامراء

المبحث الخامس: وفاة الميرزا الشيرازي ومصير حوزته من بعده

المبحث السادس: تقويم عام لأهم ملامح الحوزة العلمية في سامراء

الفصل الأول: نشأة مدينة سامراء
وتركيبتها الاجتماعية والمذهبية

للحوزات العلمية الإمامية تاريخ عريق حافل بالعطاء العلمي والإنساني والاجتماعي وتحتاج إلى كثير من الجهد العلمي والمتابعة لتدوين تفاصيله وجزئياته.

وخاصة الحوزات المركزية الرئيسية منها حوزة بغداد والنجف والحلة وكربلاء.

وتعتبر حوزة سامراء العلمية، والتي انشأها السيّد المجدد محمد حسن الشيرازي (ت ١٣١٢ هـ) من الحوزات الفرعية؛ التي تبرعمت عن حوزة النجف الأشرف في دورها الثالث، ولها تاريخ حافل بالعطاء العلمي والانساني والاجتماعي.

وفي هذا البحث نحاول أن نشير إلى بعض ملامح هذه الحوزة المباركة، والآثار العلمية والاجتماعية التي خلفتها، وما آلت إليه بعد رحيل مؤسسها.

المبحث الأول: مدينة سامراء في دورها الأول

لا نريد أن نتوغل كثيرا في تاريخ سامراء قبل الإسلام والذي يمتد إلى سنوات طويلة، حتى قال بعضهم انها مدينة عريقة في القدم، تعود إلى زمن سام بن نوح أو أقدم من ذلك.. أو إنها أقدم مدينة آهله بالسكان منذ أدوار ما قبل التاريخ[(١)].

وإنما نتحدث عنها كمدينة إسلامية يعود إنشاؤها إلى أيام الخلافة العباسية زمن خلافة المعتصم بن هارون الرشيد، الذي تولى الخلافة بعد وفاة أخيه المأمون سنة (٢١٨ هـ).

وكان السبب في انتقال مقر الخلافة من بغداد إلى مدينة سامراء هو كثرة جند

---

(١) جواد علي، سامراء قديما، ضمن موسوعة العتبات المقدسة: ١٢ / ١٣ وما بعدها.

الخليفة «حيث كانت أكثرية جنده من الأتراك الذين ضاقت بهم بغداد بعد أن آذوا سكانها، لذلك فكر المعتصم بالانتقال منها واختيار موضع سامراء؛ ليكون مقرا له ولجنده.. فاستقر رأيه سنة (٢٢١ هـ) على أن يشيد مدينة المعتصم نسبة إليه، أو مدينة القاطول نسبة إلى نهر القاطول،.. واستقدم المعتصم العمال المهرة والفنيين من أنحاء البلاد الإسلامية لتشييد العاصمة العباسية ـ الجديدة ـ. فأصبحت المدينة هذه من أجمل المدن التي أنشأها الحكام المسلمون، وضمت اجزاءً خاصة لسكن فرق الجيش وموظفي الدولة وعامة الناس وأطلق عليها اسم سامراء (سُرَّ مَنْ رأى)، وكانت في أيام ازدهارها سيّدة مدن العالم»[(١)].

إلّا أنّ هذه المدينة التي فاجأت العالم بظهورها وجمالها، فاجأته مرة أُخرى بكسوفها وأُفولها الدائم، ولم تستمر على حالها سوى نصف قرن من الزمن، تحولت بعدها إلى خرائب واطلال موحشة! إذ يقول ياقوت الحموي في معجمه وهو يشير إلى خراب سامراء: «لم يبق منها إلّا موضع المشهد ـ ويقصد مشهد الإمامين علي الهادي والحسن العسكري ـ ومحلة أُخرى بعيدة منها يقال لها كرخ سامراء، وسائر ذلك خراب بباب يستوحش الناظر إليها بعد أن لم يكن في الأرض كلّها أحسن منها، ولا أجمل ولا أعظم ولا آنس ولا أوسع ملكا»[(٢)].

وكان السبب في هذا الأُفول السريع لهذه المدينة الجميلة «نتيجة الوضع المتدهور والاختلاف الواقع في الدولة العباسية، بسبب العصبية التي كانت بين الأُمراء الأتراك المسيطرين على مجريات الدولة آنذاك، فقد هجرها الخليفة العباسي المعتمد سنة

---

(١) الأمين ـ حسن، دائرة المعارف الإسلامية الشيعية: ١٣ / ١٣٧، وأُنظر: د. صالح أحمد العلي، في كتابه (سامراء)، طبعة شركة المطبوعات، ٢٠٠١ م.

(٢) الحموي ـ ياقوت، معجم البلدان: ٥ / ١٢، طبعة دار احياء التراث العربي ـ بيروت.

(٢٧٩ هـ) هجرانا تاما، وانتقل منها إلى بغداد العاصمة العباسية القديمة، ليتخذ منها مقرا له لستة أشهر قبل وفاته في السنة نفسها. وأصبحت سامراء وكأنها لم تكن، فانقلب ذلك المجهود الجبار بين عشية وضحاها أي بعد انقضاء نحو خمسين عاما على تأسيسها إلى إطلال، بعد أن حكمها ثمانية خلفاء هم: المعتصم باللّه (ت ٢٢٧ هـ)، والواثق باللّه (ت ٢٣٢ هـ)، والمتوكل على اللّه (قتل في سنة ٢٤٧ هـ)، والمنتصر باللّه (ت ٢٤٨ هـ)، والمستعين باللّه (قتل ٢٥٢ هـ)، والمعتز باللّه (ت ٢٥٥ هـ)، والمهتدي باللّه (ت ٢٥٦ هـ)، والمعتمد على اللّه (ت ٢٧٩ هـ)»[١].

المبحث الثاني: مدينة سامراء في دورها الثاني

لقد انتهت مدينة المعتصم العباسي (سُرَّ مَنْ رَأى) إلى الخراب، ونعب في أرجائها الغراب، حتى قال فيها الشاعر عبد اللّه بن المعتز:

مُقْفرة الربع لحجّ هاجرها ... عامرها موحشٌ وغامرها
ينتحب اليوم في منازلها ... كأن أوطانها مقابرها

ويقول أيضا:

هيَ الدَّارُ إلّا أَنَّها مِنْهُمُ قَفْرُ ... وَأَنّي بها ثاوٍ وَأَنَّهُمُ سَفْرُ
حَبَستُ بها لَحظِي واطْلقتُ عَبْرَتي ... وما كانَ لي في الصَّبْرِ لو كانَ لي عُذْرُ
الحت عليهِ كُلُّ طَخياءَ دِيْمَةٍ ... إذا ما بكتْ اجْفَانُها ضَحَكَ الزَّهرُ[٢]

---

(١) الأمين ـ حسن، دائرة المعارف: ١٣ / ١٣٧، وللتوسع أُنظر: محمد الخضري، تاريخ الأُمم الإسلامية ـ الدولة العباسية: ٣٢٥ ـ ٣٢٦، طبعة المكتبة التجارية الكبرى ـ مصر، ١٩٧٠ م.

(٢) الصولي ـ الأوراق، اشعار أولاد الخلفاء: ٣ / ١٠٧.

ولم يبق من تلك المدينة إلّا مرقدي أعلام الهداية (موضع المشهد) الذي نص عليه الحموي في معجمه، والمحلة التي سكنها الإمامان العسكريان، وهي الحارة الشهيرة في أيام المعتصم والمعروفة بـ (عسكر المعتصم)، وإلى هذا الموضع نسب الإمام الحسن بن الإمام علي الهاديعليهما السلام فعرف بالعسكري، وكان يسكن هذه الحارة، ودفن فيها من قبله والده الإمام علي الهاديعليه السلام الذي توفي سنة (٢٥٤ هـ)، ولما توفي الإمام الحسن العسكريعليه السلام سنة (٢٦٠ هـ)، دُفن إلى جوار أبيه وأصبح مشهد الإمامين المعروف بـ «الروضة العسكرية» نواة مدينة سامراء الحالية، فشيدت الدور والمنازل والأسواق والمباني الأُخرى حولها،.. وقد حافظت المدينة على عمرانها ووضعها إلى ما بعد انقراض الدولة العباسية»[1].

ولمدينة سامراء اليوم أهميتها التاريخية، ومكانتها الإسلامية لوجود مشهد الإمامين، ولقربها من بغداد، ويفد إليها الكثير من الزوار والسياح لوجود بعض الآثار العباسية كالمنارة الملوية، وحيطان الجامع الكبير، واطلال بعض القصور وغيرها.

ويعتبر مشهد الإمامين العسكريينعليهما السلام والذي يعرف بـ (الروضة العسكرية) من أهم معالم هذه المدينة. «وتقع الروضة العسكرية في قلب مدينة سامراء الحالية، وتعتبر أحد أبرز المعالم الحضارية والإسلامية في العالم الإسلامي.. ويتوسط الروضة ضريح الإمامين علي الهادي والحسن العسكريعليهما السلام»[2].

قد شهد المشهدين العسكرين حركة تشييد واعمار على مختلف العصور والأزمان، من أول تشييد وبناء في عهد ناصر الدولة الحمداني سنة (٣٣٣ هـ) حيث

---

(١) الأمين ـ حسن، دائرة المعارف: ١٣ / ١٣٨.

(٢) الأمين ـ حسن، دائرة المعارف: ١٣ / ١٣٩.

تمّ تشييد قبة الضريحين.. مرورا بالدولة البويهية، والسلجوقية، والصفوية، وانتهاءً بآخر عمارة للمشهدين زمن الدولة القاجارية، حيث «أمر ناصر الدين شاه القاجاري سنة (١٢٨٥ هـ) بتجديد شباك الضريحين، وكسا القبة من الخارج بقشرة خفيفة من الذهب، وكسا المآذن بالبلاط القاشاني المزخرف»[1].

إلّا أنّ يد المجرمين والإرهابيين طالت هذه الروضة الشريفة، ففجر حرم الإمامين، وأسقطت قبته الكبيرة، وذلك سنة (٢٠٠٦ م) في مشهد تبكي له العيون دما، وأعقبه تفجير آخر سنة (٢٠٠٧ م).

وكان الهدف من هذا العمل الارهابي إيقاع فتنة طائفية بين السنة والشيعة، وكادت أن تقع فعلاً، لولا ضبط النفس، وحكمة المرجعية الدينية في النجف الأشرف.

ولا زال الاعمار جاريا في تشييد المرقدين الشريفين إلّا أ نّه يشارف على الانتهاء قريبا، كما أن حركة الزيارة للمرقدين لم تنقطع أبدا، برغم وجود بعض المخاطر الأمنية في تلك المنطقة.

المبحث الثالث: الوجود الشيعي في مدينة سامراء

لقد استقطبت مدينة سامراء الوجود الشيعي منذ أن حلَّ في أرضها الإمام علي ابن محمد الهادي مصطحبا ولده الإمام الحسن بن علي العسكريﷺ. فأصبح الشيعة والموالون لأهل البيتﷺ يفدون إلى هذه المدينة في حياة هذين الإمامين، ويتواصلون مع خط الإمامة، ويوصلون الحقوق الشرعية إليهم، ويأخذون عنهم معالم دينهم. وكان بعض أصحاب الإمامين يركبون المخاطر، ويتخذون الوسائل التنكرية من أجل الوصول إلى الإمام ولقائه.

(١) الأمين، المرجع نفسه: ١٣ / ١٤٠.

وبعد وفاة الإمامين العسكريين عليهما السلام وقيام الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت ثمّ غيبته عليه السلام، لم ينقطع الوجود الشيعي عن هذه المدينة، حيث استمرت زيارة مرقد الإمامين عليهما السلام، وبعض آثار الأئمة هناك كسرداب الدار الذي كان يسكن فيها الأئمة الثلاث عليهم السلام، بالاضافة إلى وجود مقابر بعض ذرية أهل البيت كقبر حكيمة بنت الإمام الجواد، عمة الإمام الهادي التي توفيت سنة (٢٧٤ هـ) وقبر نرجس أُم الإمام المهدي[١].

بل إن بعض سكان سامراء يدعي السيادة، ويفتخر بأنه من نسل الإمامين العسكريين. يقول المؤرخ الشهير الدكتور حسين علي محفوظ وهو يتحدث عن مدينة سامراء: «.. وجُلُّ سكانها من العشائر المحيطة بها، وهم أو أكثرهم، يدعون السيادة وأنهم من نسل الإمامين العسكريين عليهما السلام، وكان هؤلاء يعيشون على زوار العتبات المقدسة من الإيرانيين والهنود والأفغان، فلما وقف سيل هؤلاء أو كاد، انصرف الأهلون إلى الأرض يحرثونها ويزرعونها..»[٢].

ويرجع بعض الباحثين تاريخ ظهور التشيع في سامراء إلى أيام تأسيسها الأولى، «فبعد أن أسَّسها المعتصم، وجعلها عاصمة ملكه، وانتقل إليها بحاشيته وجيشه، وأنت جدُّ خبير بأنَّ التشيع يسير مع الإسلام أينما سار، فكم كان بين الجند والقواد، والأُمراء، والكتّاب، مَن يحمل بين حنايا ضلوعه ولاء أهل البيت عليهم السلام».

ثمّ يضيف هذا الباحث: «وظهر التشيع جليا بعد أن قام الإمامان فيها، وشاهد الناس ما لهما من علم وسجايا حميدة، ومزايا دلّت على أنهما فرعان من شجرة النبوة،

---

(١) محفوظ ـ حسين علي، سامراء في المراجع العربية، موسوعة العتبات: ١٢ / ١٤٣.

(٢) محفوظ ـ حسين علي، المرجع نفسه: ١٢ / ١٧١.

ووارثان لذلك العلم الإلهي، على الرغم من مناوأة العباسيين لهما، واجتهادهم في منع الناس من الاجتماع بهما، واجتماعهما بالناس، ولكنَّ الشمس تفيض على العالم أشعة تنمي الضرع والزرع، وإنَّ حالت السحب دون ذلك الشعاع».

ثمّ يستشهد هذا الكاتب بما ورد في التاريخ فيقول: «ويشهد لظهور التشيع في سامراء ـ ذلك اليوم ـ ما ذكره اليعقوبي في تاريخه عن حوادث (٢٥٤ هـ)، ووفاة الإمام الهادي عليه السلام فيها، قال: «فَصُلّي عليه في الشارع المعروف بشارع أبي حمد، فلما كثر الناس، واجتمعوا، كثر بكاؤهم وضجتهم، فرد النعش إلى داره، فدفُن فيها». وهكذا ذكر غيره عند وفاة ولده أبي محمد الحسن عليه السلام».

ثمّ يتحدث عن أسباب تضاؤل التشيع بعد ذلك فيقول: «وما زال التشيع فيها ـ أي سامراء ـ راسخ القدم، إلى أن حاربه الأيوبي في تلك الجهات، واقتفى أثره بعد أمد بعيد ـ السلطان سليم العثماني ـ وجرت على ذلك السياسة العثمانية من بعده. ولو لم يكن إلّا مراد الرابع محاربا للشيعة في هذه المناطق البعيدة عن المجتمع الشيعي لكفى في اخفاء التشيع، وهروب الظاهرين من رجاله. ولقد نزح عنها ثلة من الناس هربا بأرواحهم، وكان منهم سدنة ذلك الحرم المقدس»[1].

---

(١) المظفري ـ محمد حسن، تاريخ الشيعة: ١٠١ ـ ١٠٣، طبعة مكتبة بصيرتي ـ قم، بلا ـ ت.

الفصل الثاني: هجرة الميرزا الشيرازي إلى سامراء وتأسيس حوزتها العلمية

تعتبر هجرة الميرزا محمد حسن الشيرازيؒ إلى مدينة سامراء من أهم الأحداث التي شهدتها هذه المدينة، وكان لها أسبابها ونتائجها المهمة، وقد اهتم بعض المؤرخين بتدوين بعض فصولها، وفيما يلي بعض تفاصيل هذه الهجرة وأسبابها ونتائجها وآثارها:

المبحث الأول: هجرة الميرزا الشيرازي إلى سامراء

لقد شهدت مدينة سامراء حضورا شيعيا مكثفا، «وأصبحت مركزا علميا ودينيا وسياسيا مرموقا بعد أن انتقل إليها المرجع الكبير الميرزا محمد حسن الشيرازي (ت ١٣١٢ هـ) وآثر الإقامة فيها»[١].

فهو رضوان الله عليه: «الشيرازي المولد، الغروي المنشأ، العسكري المهجر، النجفي المدفن»[٢].

وكنا قد أشرنا في بحوث حوزة النجف الأشرف في دورها الثالث لبعض الملامح من شخصية المجدد الشيرازي، ووعدنا باستكمال الحديث عنه عند الحديث عن مدرسة سامراء وحوزتها العلمية. وها نحن نفي بما وعدنا به من حديث حول هذه الشخصية العلمية الربانية الفذة، وضمن محاور متعددة.

---

(١) الأمين ـ حسن، دائرة المعارف الشيعية: ١٣ / ١٣٩.

(٢) الطهراني ـ آقا بزرك، هدية الرازي: ٨.

أولاً: أسباب هجرة المجدد الشيرازي إلى سامراء:

مما لا شك فيه أن الميرزا محمد حسن الشيرازيﷺ من نوابغ عصره الذي قلّ نظيره، وامتاز ومنذ صباه بعبقرية وبلوغ فذ لا نجدها إلّا عند بعض عظماء الدنيا ممن لا يجود بهم الزمان إلّا نادرا. فهو ومنذ صباه يعد من طليعة العلماء العاملين لخدمة الدين والمذهب، تنقَّلَ ما بين حوزة شيراز العلمية، وحوزة إصفهان التي كانت تزخر بجهابذة العلماء، فدرس ودرَّس حتى حصلت له الاجازة من أساتذته قبل بلوغه العشرين من عمره.. وأصبح من مدرسي ـ حوزة ـ إصفهان الأفاضل وتخرّج عليه بها جماعة من أهل العلم والفضل[1].

هاجر إلى العراق فورد النجف في (١٢٥٩ هـ)، فحضر في النجف على فقيه الطائفة الشيخ محمد حسن النجفي صاحب الجواهر ـ الذي نصَّ على اجتهاده ـ والشيخ حسن آل كاشف الغطاء مؤلف (أنوار الفقاهة)، إلّا أنَّ عمدة استفادته من شيخ الطائفة المرتضى الأنصاري، فقد لازم أبحاثه فقها وأُصولاً إلى آخر حياته.. وكان الشيخ يعظمه بمحضر طلّابه وينوه بفضله، ويُعلي سمّو مرتبته في العلم، وقد أشار إلى اجتهاده غير مرة.

ولما قضى الشيخ ـ الأنصاري ـ نحبه في سنة (١٢٨١ هـ)، توجهت الناس إلى ـ الميرزا الشيرازي ـ وأجمع زملاؤه من وجوه تلامذة الشيخ على تقديمه للرياسة والاذعان له بالزعامة. إلّا أن فريقا من فضلاء آذربيجان رجحوا الحجة الكبير السيّد حسين الكوهكمري وأرشدوا له وارجعوا قومهم بالتقليد إليه. ولما توفي السيّد المذكور عطفوا على المترجم وانقادوا له حتى أصبح المرجع الوحيد للإمامية في

---

(١) الطهراني ـ آغا بزرك، طبقات أعلام الشيعة: ١٣ / ٤٣٧.

سائر القارات[1].

وليس في كلام الشيخ الطهراني في مرجعية المجدد الشيرازي أي مبالغة واغراق، مما قاله الطهراني يؤكده تلميذ المجدد الشيرازي السيّد حسن الصدر في (التكملة) حيث يقول: «.. ومن غريب الاتفاق الذي لم يحكه التأريخ منذ خلق اللّه الدنيا ان انحصر رئيس المذهب الجعفري في تمام الدنيا بسيدنا الأُستاذ في آخر الأمر، ومات رؤساء الدين والمراجع العامة في كلِّ البلاد، ولم يبق لأهل هذا المذهب رئيس سواه، كما لم يتفق في الإمامية رئيس مثله في المطاعية والجلالة ونفوذ الكلمة..»[2].

فالميرزا الشيرازي قد طويت له وسادة المرجعية في النجف الأشرف عاصمة العلم والعلماء والمرجعية، ولم يكن هنالك من ينافسه أو يجاريه في مرجعيته، فأصبح ـ وبحق ـ كما يقول تلميذه السيّد الصدر: «رئيس الإسلام، نائب الإمام، مجدد الأحكام، أُستاذ حجج الإسلام..»[3].

ومن النادر جدا، بل لم نجد مرجعا من مراجع الدين وعلما من أعلامها، قد ترك النجف الأشرف مهاجرا وباختياره، وهو في قمة زعامته الدينية ومرجعيته.

فما هي الأسباب التي دعت الميرزا الشيرازي إلى ذلك؟ ولماذا اختار مدينة سامراء دون غيرها من المدن؟

لقد تضاربت الأقوال والآراء في بيان أسباب هذه الهجرة، فيما يلي مجمل هذه الأقوال:

---

(١) الطهراني ـ آغا بزرك، طبقات أعلام الشيعة: ١٣ / ٤٣٨.

(٢) الصدر ـ السيّد حسن، تكملة أمل الآمل: ٥ / ٣٤٨، بتحقيق: د. حسين علي محفوظ وآخرين، طبعة دار المؤرخ العربي ـ بيروت، ١٤٢٩ هـ ـ ٢٠٠٨ م.

(٣) المرجع نفسه: ٥ / ٣٣٣.

القول الأول: وهو ما نص عليه الطهراني آقا بزرك في طبقاته والأمين في أعيانه حيث قال الطهراني: «.. وفي (١٢٩١ هـ) تشرف إلى كربلاء لزيارة النصف من شعبان وكان في الباطن عازما على الخروج من النجف اعراضا عن الرياسة وتخلصا من قيودها وطلبا للانزواء والعزلة عن الخلق، وبعد الزيارة توجه إلى الكاظمية، ثم إلى سامراء فوردها آخر شعبان ونوى الإقامة بها؛ لأداء فريضة الصيام.. وكان يخفي قصده ويكتم رأيه، وبعد انقضاء شهر الصيام كتب إليه بعض خواصه من النجف يستقدمه.. فعند ذلك أبدى لهم رأيه وأخبرهم بعزمه على سكن سامراء...»[1]. ويقول السيّد الأمين: «والذي يغلب على الظن أن السبب، هو إرادة الانفراد، لانحياز سامراء وبُعدها عن مجتمع العلماء ومن يدعي العلم..»[2].

القول الثاني: قيل إنَّ سبب ذلك إنه لما صار الغلاء في النجف سنة (١٢٨٨ هـ) وصار يدر العطاء على أهلها.. ثمّ جاء الرخاء عن قريب جعل الناس يكثرون الطلب عليه، وجعل بعض أعيان النجف يفتل في الذروة والغارب لينفر الناس منه، فتضايق من ذلك وخرج....

القول الثالث: «وقيل إن سبب هجرته إنه تضايق من وجود بعض الفرق الجاهلية فيها ـ أي الزكرت والشمرت ـ»[3].

القول الرابع: واعتقد الدكتور علي الوردي في لمحاته: «أنّ هجرة الشيرازي إلى سامراء كانت تستهدف تحويل هذه المدينة السنية إلى مدينة شيعية على غرار ما

---

(١) الطهراني، الطبقات: ١٣ / ٤٣٨.

(٢) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ٨ / ٤٤٥.

(٣) المرجع نفسه: ٨ / ٤٤٥.

حدث في بعض مناطق الفرات»[1].

القول الخامس: وهو ما ذهب إليه السيّد حسن الصدر وهو من كبار تلامذة الشيرازي، حيث علل سبب هجرته إلى سامراء بسبب أن بعض أعيان النجف أخذوا يدفعون الكثير من الأهالي إلى الشيرازي لإطلاق سراح أولادهم من التجنيد العسكري، وذلك بدفع البدل النقدي الذي كانت قيمته مائة ليرة عثمانية، وذلك بعد تصديه لمساعدتهم سنة (١٢٨٨ هـ)، المعروفة بسنة الغلاء، ورأى الشيرازي أن لا علاج له إلّا بالخروج من النجف[2].

القول السادس: وهو ما ذهب إليه أحد الباحثين ومحصله: «أن الميرزا الشيرازي بعد ما أصبح مرجعا لطائفة الشيعة في النجف الأشرف سرعان ما أُصيب بالنحولة والضعف فتوجه إلى مدينة الإمامين العسكريين عليهما السلام للاستجمام والراحة، ولكن العلماء تبعوه ورافقوه واستمروا معه في البحث والتحقيق حتى أيام اعتلاله وسقمه»[3].

ومهما يكن من أمر، فربما يكون أحد هذه الأقوال والوجوه سببا لهجرة الميرزا إلى سامراء، وربما كانت كلّها أسبابا مجتمعة لهجرته، «وربما يكون من مقويات العزم ـ على الهجرة ـ أيضا، ارادة عمران البلد وتسهيل أُمور الزائرين الوافدين إليها، ورفع ما كان يقع عليهم من المشقات»[4].

---

(١) الوردي ـ الدكتور علي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث: ٣ / ٨٩.

(٢) المحلاتي ـ ذبيح اللّه، مآثر الكبراء في تاريخ سامراء: ٥٢.

(٣) الغروي ـ محمد، الحوزة العلمية في النجف: ١٦٥.

(٤) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ٨ / ٤٤٥.

المبحث الثاني: تأسيس الحوزة العلمية في سامراء

من العوامل الرئيسية لظهور الحوزات العلمية في بعض المدن هو بروز علم من أعلام الفقه والأُصول والمرجعية الدينية، من أهل ذلك البلد أو من المهاجرين إليها من المدن والبلدان الأُخرى، كما رأينا في حوزة الكوفة عندما حلّ بها الإمام الصادقعليه السلام، أو حوزة النجف عندما حلّ بها الشيخ الطوسي مهاجرا، وهكذا في حوزة الحلة العلمية كما سوف يأتينا.

كذلك العكس صحيح أيضا، فهجرة بعض العلماء من مدينة أو بلد، أو وفاة علم من الأعلام، وعدم ظهور من يسد مكانه ويحل محله، قد يؤدي إلى أُفول واضمحلال تلك الحوزة في تلك المدينة أو ذلك البلد.

وفي هجرة الميرزا الشيرازي تكونت حوزة علمية في مدينة سامراء، ولكن بقيت حوزة النجف الأشرف قائمة لم تتأثر بهجرة زعيمها ومرجعها، يقول السيّد الأمين في الأعيان: «فعمرت سامراء به ـ أي بالشيرازي ـ وصارت إليها المرحلة وتردد الناس إليها، وأمها أصحاب الحاجات من أقطار الدنيا، وعمر فيها الدرس، وقصدها طلّاب العلوم، وشيد فيها المدارس والدور.. وأما مدرسة النجف فلم تتأثر بخروجه إلى سامراء؛ بل بقيت عامرة حافلة بالطلّاب، والدروس فيها قائمة، ومجالس الدروس عامرة كثيرة منتشرة، ذلك لأنّ الذين خرجوا معه إلى سامراء جماعة معدودون، وجمهور الطلّاب والعلماء ومعظمهم بقي في النجف، والطلّاب تقصدها من جميع الأقطار ولا تقصد سامراء، حتى أُحصيت طلّاب النجف باثني عشر ألفا ـ فيما يقال ـ لكن إدرار النفقات والمشاهرات من سامراء لا ينقطع عن النجف»[1].

---

(١) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ٨ / ٤٤٥.

والذي يبدو من خلال تفاصيل قصة هجرة الميرزا الشيرازي إلى سامراء أنه كان بمفرده، ولم يكن معه أحد من خاصته أو طلّابه في سفره. يقول الشيخ الطهراني: إن الميرزا الشيرازي بعد أن قضى شهر الصيام في سامراء، «كتب إليه بعض خواصه من النجف يستقدمه ويسأله عن سبب تأخره، فعند ذلك أبدى لهم رأيه وأخبرهم بعزمه على سكنى سامراء، فبادر إليه شيخنا العلّامة النوري، وصهره الشيخ فضل اللّه النوري، والمولى فتح علي، وبعض آخر، وهم أول من لحق به، وبعد أشهر حمل الشيخ جعفر النوري عيالات هؤلاء إلى سامراء في أوائل (١٢٩٢ هـ) ومنهم الحجة الميرزا محمد الطهراني العسكري،.. ثم لحقهم سائر الأصحاب والطلّاب والتلاميذ، فعمرت به سامراء وصارت الرحلة إليها..»[١].

ومن أُولئك المهاجرين والملتحقين بركب أُستاذهم الشيرازي تشكلت حوزة سامراء العلمية، «فتخرج به عدد كبير من الأئمة الأعلام وربى خلقا كثيرا، منهم جماعة من المجتهدين رأسوا بعده حتى قيل: إنه اتفق له من هذا القبيل ما لم يتفق لشيخه مرتضى الأنصاري.. وكان لا يحضر حلقة درس المترجم إلّا المحصلون الكبار، ولذلك كثر المقررون لدرسه على الطلّاب الآخرين المتوسطين وغيرهم، ويحكى أ نّه كان يقول: «إن حوزة درسنا أحسن من حوزة درس شيخنا الأنصاري، وذلك لأنّ الأنصاري كان أهل درسه من جميع الطبقات...»[٢].

وقد ذكر السيّد الأمين أسماء من وصلت إليه أسماؤهم من تلامذة الميرزا فوصل العدد عنده إلى سبعة وأربعين علما، بعضهم من جهابذة العلماء ومن مراجع الدين

---

(١) الطهراني، الطبقات: ١٣ / ٤٣٩.

(٢) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ٨ / ٤٤٨.

وزعماء الحوزة العلمية، كالميرزا محمد تقي الشيرازي، والآخوند ملا كاظم الهروي الخراساني، والسيّد كاظم اليزدي، والمحدث الشهير الميرزا حسين النوري، والسيّد حسن الصدر، والسيّد إسماعيل الصدر، والشيخ علي الروزدري الذي دون تقريراته الأُصولية، وغيرهم من الأعلام.

إلّا أنّ الشيخ آقا بزرك الطهراني قد ألّف كتابا مستقلاً في ترجمة المجدد الشيرازي سماه (هداية الرازي إلى المجدد الشيرازي) وقد أحصى في هذا الكتاب ذكر ما يقرب من خمسمائة من تلاميذ المجدد الشيرازي[1].

المبحث الثالث: الخدمات العلمية والاجتماعية والعمرانية للمجدد الشيرازي في مدينة سامراء

لقد مكث الميرزا الشيرازي في مدينة سامراء لأكثر من عقدين من الزمن؛ إذ «خرج من النجف إلى سامراء للمجاورة فيها في شعبان سنة (١٢٩١ هـ) وأمضى فيها (٢١) سنة.. وكانت سامراء قبل سكناه فيها بمنزلة قرية صغيرة، فلما سكنها عمرت عمرانا فائقا وبنيت فيها الدور والأسواق وسكن فيها الغرباء ومَن يطلب المعايش، وكثر إليها الوافدون، وصار فيها عدد من طلّاب العلم والمدرِّسين لا يستهان به»[2].

يقول السيّد حيدر الحلي:

زانَ (سامراء) وكانت عاطلاً	تشتكي من مُحلّيها الجفاءُ
وغدت افناؤها آنسةً	وهي كانت أوحش الأرض فضاءُ

---

(١) أُنظر: آقا بزرك، الطبقات: ١٣ / ٤٣٧، الهامش وكتاب: هَدِيةُ الرازي إلى الإمام المجدد الشيرازي، الفصل الثالث: ٤٩ ـ ١٧٧، طبعة مكتبة ميقات ـ طهران، ١٤٠٣ هـ.

(٢) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ٨ / ٤٤٤ ـ ٤٤٥.

حيّ فيها (المرقد الأسنى) وقل زادك اللّه بهاءً وسناء
ثمّ ناد (القبّة) العليا وقل طاولي يا قبة (الهادي) السماء
بمعالي (العسكريين) اشمخي وعلى أفلاكها زيدي علاء
وبنا عرج على تلك التي أودعتنا عندها (الغيبة) داءُ

ومن الخدمات العلمية والعمرانية والاجتماعية للمجدد الشيرازي في سامراء ما يلي:

أولاً: بناء المدارس العلمية:

يقول الشيخ الطهراني: «فبنى في سامراء مدرستين كبيرة وصغيرة، أنفق عليهما أموالاً كثيرة»[1]. ويصف السيّد الأمين مدرسة الميرزا الشيرازي بقوله: «بنى فيها مدرسة كبيرة فخمة لطلّاب العلم فيها ايوان كبير وغرف جمة ولها ساحة واسعة»[2].

ويذكر أحد الباحثين بعض التفاصيل المهمة عن مدرسة الميرزا الشيرازي في سامراء فيقول: «وقد التحق به تلامذته، فبنى لهم دورا للسكنى، ومدرسةً كبيرةً اشتملت على (٧٥) غرفة، وتُعدُّ من أكبر المدارس بالعراق، وقد سكن أكثر من مائتي طالب من طلّاب العلوم فيها، وعيّن الشيرازي راتبا شهريا لهم بحسب حاله، وما يكفيه في معاشه»[3].

ويضيف باحث آخر بعض التفاصيل الاضافية المهمة عن مدرسة الشيرازي في سامراء فيقول: «أُجريت على المدرسة توسعة عام (١٢٩٧ هـ) بشراء بعض الدور

---

(١) الطهراني، الطبقات: ١٣ / ٤٤٠.

(٢) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ٨ / ٤٤٥.

(٣) المحلاتي ـ ذبيح اللّه، تاريخ سامراء: ٢ / ٦٣.

المحيطة والحاقها بها. وبعد وفاة الميرزا الشيرازي هاجر أغلب طلبة العلوم إلى النجف حيث مقرُّ المرجع الأعلى هناك. وفي أثناء الحرب العالمية الأُولى (١٩١٤م) استخدم الأتراك هذه المدرسة مكانا لمعالجة جرحى الجيش في الحرب مع الإنكليز.

وفي عام (١٣٤٦هـ) عمّر السيّد أبو الحسن الإصفهاني في المدرسة، كما عمّرها السيّد حسين البروجردي عام (١٣٧٦هـ)، وبقيت تحملُ اسم الإمام الشيرازي.. ولم تسجل المدينة أي فتنة طائفية حتى عام (١٤١١هـ ـ ١٩٩١م)، عندما طالت الاضطرابات الشعبيّة بعض المدن العراقية الشيعية بعد اندحار العراق في حربه مع الحلفاء. وقد تعرّضت مدرسة الشيرازي إلى الدمار وأُحرقت مكتبتها الثمينة الحاوية على الكثير من المخطوطات النادرة، بالرغم من عدم وجود معارضة شيعية في سامراء ضد المراكز الحكومية الرسميّة»[١].

ثانيا: تقديم الخدمات العمرانية والاجتماعية:

لم تقتصر خدمات الميرزا الشيرازي في سامراء على الجانب العلمي فقط، وإنما امتدت لتشمل الجانب العمراني والخدمي لسكان المدينة وللوافدين إليها من الزائرين، وخلال عقدين من الزمن فترة مكوثه في سامراء «ازدهرت هذه المدينة فيهما ازدهارا ثقافيا متميزا» وشهدت نهضة عمرانية في جانب الخدمات «فأصبحت هذه البلدة الموحشة بلدة آهلة بالسكان»[٢].

ومن الأعمال العمرانية التي تم انجازها على يد الميرزا الشيرازي في سامراء ما ذكره السيّد الأمين في الأعيان والمحلاتي في تاريخ سامراء، وغيرهما ومنها:

---

(١) القزويني ـ جودت، المرجعية الدينية العليا: ٢١٩.

(٢) المرجع نفسه: ٢١٩.

١ ـ «وبنى سوقا كبيرا بمال بذله بعض أغنياء الهند» فأخذت سامرّاء أهميتها العظمى في أنظار العالم الإسلامي، وصارت مركزا مهمّا علميا محطا لرحال كبار العلماء.

٢ ـ «ولم يكن في سامراء جسر، وكان الناس يعبرون في القفف.. فبنى جسرا محكما على دجلة من السفن بالطريقة المتبعة في العراق تسهيلاً للعبور ورفقا بالزوار والواردين، وكانت نفقته ألف ليرة عثمانية ذهبا، وسلّمه للدولة تتقاضى هي أُجوره رجاء لدوامه».

٣ ـ «وبنى عدّة دور للمجاورين»[1].

٤ ـ «وكان يجمع للفقراء والمحتاجين وأهل القرى والبوادي مما يحتاجون إليه من ألبسة وأطعمة، ويوزّعها عليهم مرتين في كلّ عام»[2] ودرّ المعاش على كثير من فقراء السنَّة.

٥ ـ وعمّر حمّاما للرجال وحمّاما للنساء.

٦ ـ وبنى دارا تقام فيها المأتم الحسينية[3].

إنّ هذه الخدمات الجليلة للميرزا الشيرازي ورعايته لأهالي سامراء، جعل السكان الأصليين يتألفون مع المجتمع الجديد، فامتزج أهالي البلدة من القبائل السنيّة مع القادمين الجُدد ـ الشيعة ـ ولم تشهد المدينة خلافا طائفيا بين الطرفين. بل اعتقد عالم الاجتماع الدكتور علي الوردي، أنّ المراسيم الشيعية التي كانت تقام في المدينة

---

(١) الأمين ـ محسن، الأعيان: ٨ / ٤٤٥، والمحلّاتي، مآثر الكبراء في تاريخ سامراء: ٢ / ٦٣.

(٢) حرز الدين ـ محمد، معارف الرجال في تراجم العلماء والأُدباء: ٢ / ٢٣٥، طبعة مكتبة المرعشي النجفي ـ قم، ١٤٠٥ هـ والمحلاتي: ٢ / ٦٣.

(٣) المحلاتي: ٢ / ٦٣.

مثل طقوس العزاء الحسينية بدأت تؤثر في أوساط العشائر «فوقع أهل سامراء تحت تأثيرها، وشرعوا هم أنفسهم يخرجون مواكب العزاء تقليدا للشيعة، ومعنى هذا أنهم بدأوا يسيرون في طَريق التشيع شيئا فشيئا...»[1].

المبحث الرابع: ردود أفعال السلطة العثمانية وبعض علماء السنة

لم يتعامل علماء السنة في بغداد والسلطة العثمانية الحاكمة في العراق آنذاك مع نشاطات وخدمات الميرزا الشيرازي بحسن نية، وإنما كانت لهم قراءة مذهبية متعصبة لهذه النشاطات، وخاصة ما يتعلَّق منها بالجانب التعليمي، فاتخذت أساليب الردع المضاد لهذه النشاطات، مع أُسلوب التحريض القومي والمذهبي ضد الميرزا الشيرازي والشيعة للحدِّ من نفوذه وتحجيمه.

يقول الدكتور علي الوردي: «إنَّ هذا التحوّل الهامَّ الذي حدث في سامراء أدى إلى ظهور رد فعل شديد ضده، بين علماء السنة في بغداد، فتحفزوا للعمل في سبيل «انقاذ»، سامراء! وكان أشدُّهم حماسا في ذلك الشيخ محمد سعيد النقشبندي، فقابل والي بغداد الحاج حسن باشا، وباحثه في الأمر، وأبرق هذا إلى السلطان عبد الحميد يخبره بالخطر الذي يهدِّد سامراء،.. سافر الشيخ محمد سعيد النقشبندي إلى سامراء مخوَّلاً بفتح المدرسة في سامراء،... واستأجر النقشبندي دارا جعلها مدرسة له، وأخذ يشتغل بالتدريس والوعظ والإرشاد..»[2].

لم تكن المشكلة في فتح مدرسة ومعهد علمي يدرس فيه قواعد ومناهج العقائد السنية، في قبال المدرسة الشيعية التي افتتحها الميرزا الشيرازي، وإنما تكمن المشكلة في القائمين على المدرسة الضد، وروح التعصب الذي يسيرهم، وكان النقشبندي

---

(١) الوردي ـ علي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث: ٣ / ٩٠.

(٢) الوردي ـ علي، لمحات اجتماعية: ٣ / ٩٠ ـ ٩١.

يمثل هذا الاتجاه «فشمر عن ذيل التعصب يدا، وأقام في التسويلات مجتهدا، مستعملاً للحيل واللطائف، مستعينا ببناء المدرسة واجراء الوظائف...»[1].

وبعد أن استقرَّ الشيخ النقشبندي في سامراء، وأقام حلقات التدريس والإرشاد والتي اتسمت بمواجهة مذهبية حادة من أجل الحد من نفوذ الميرزا الشيرازي، وتحجيم الحضور الفكري والعلمي للشيعة في هذه المدينة ولم تنتهِ مهمته بوفاة الميرزا الشيرازي وإنما «بقي في سامراء بعد وفاة الشيرازي، وقد استطاع أن يسافر إلى الحج ومن هناك ذهب إلى اسطنبول وقابل السلطان عبد الحميد، وكان من نتائج تلك المقابلة أن تقرر بناء مدرسة دينية كبيرة في سامراء، وقد تبرع السلطان من خزينته الخاصة بمبلغ ألف ومائتي ليرة لبناء المدرسة، كما خصَّص مرتبا شهريا قدره خمسون ليرة لينفقها على إعالة مائة طالب..»[2].

ويذكر أحد الباحثين: «وقد أصدر السلطان عبد الحميد الثاني أوامره ببناء مدرسة دينية سنية على غرار المدرسة الدينية الشيعية التي أ سّسها الشيرازي عام (١٣٠٨ هـ)، وبدأ العمل بها عام (١٣١٤ هـ)، أي بعد وفاة الشيرازي بسنتين، وتمَّ بناؤها عام (١٣١٦ هـ)[3]. وظلَّ النقشبندي يدير المدرسة ويدرس فيها طيلة أربع سنوات»[4].

ولم يكتف الوالي حسن باشا بفتح مدرسة دينية وارسال النقشبندي إلى سامراء، وإنما صعَّد من وتيرة المواجهة ضدَّ الشيعة وحوزتها العلمية ومرجعيتها الدينية، فخطط لفتنة طائفية في المدينة، «وقد نجح.. في اعداده لمخطط تعبئة أهالي سامراء وتحريضهم.. وخلق محيط عدائي هدفُهُ الحدّ من هيبة الشيرازي وكسر شوكته

(١) الطهراني ـ آقا بزرك، هدية الرازي إلى الإمام المجدد الشيرازي: ٢١.

(٢) الوردي، لمحات: ٣ / ١٠١.

(٣) القزويني ـ جودت، المرجعية العليا: ٢٢٠.

(٤) الوردي، لمحات، ٣ / ١٠١.

بالمجابهة. ففي العام (١٣١١ هـ) هجم أهالي سامراء على بيوت الشيعة وأماكنهم العامة وأوقعوا فيهم بعض القتلى والجرحى، حتى قيل إنّ بين القتلى كان ابن أُخت الشيرازي، وقيل ولده محمد»[١].

ويصف لنا أحد المعاصرين تلك الأحداث المؤلمة بعض فصولها بقوله: «إنّ الوالي حسن باشا حقد على الميرزا، وأغرى بالشيعة في سامراء بعض المتعصبين من الأهالي والوجوه ممن ثقل عليهم توطن الميرزا في بلدهم، وعندئذٍ وقعت الفتنة في سامراء واتسعت الطائفية إلى بغداد وغيرها، وتثاقل الوالي عن سماع شكوى العلماء وطلّاب العلوم في سامراء، بل منع من إعلام السلطان عبد الحميد (بالتلغراف).. ولما بلغ عبد الحميد خان ما حلَّ بالعلماء، أقام الدنيا وأقعدها، حتى أطفأ النائرة، وقمع الفساد وعاقب المسؤولين بعقاب صارم.. فانتشر الأمن والاستقرار في سامراء»[٢].

لقد واجه الميرزا الشيرازي تلك المصائب والأهوال برباطة جأش، وسعة صدر، وصبر جميل، فكان النصر حليفه في تلك الوقائع والأحداث.

المبحث الخامس: وفاة المجدد الشيرازي، ومصير حوزته العلمية

بعد تلك الأحداث والفتن الطائفية التي أثارها الوالي العثماني وسانده فيها بعض المتعصبين من العلماء، وتدخل فيها القنصل البريطاني[٣]، والتي قابلها الميرزا بحكمته وسعة صدره، وعزته وشموخه وإبائه، إلّا أنها تركت جرحا عميقا من الأسى

---

(١) القزويني، المرجعية العليا: ٢٣١.

(٢) حرز الدين ـ محمد، معارف الرجال: ٢ / ٢٣٦ الهامش كذلك: ٢ / ٣٠١.

(٣) أُنظر تفاصيل هذه الأحداث، حرز الدين، معارف العلماء: ٢ / ٢٣٥، والوردي، لمحات اجتماعية: ٣ / ٩٧ ـ ٩٩، والطهراني، هدية الرازي: ٢٠ ـ ٢١، ويونس السامرائي، تاريخ مدينة سامراء: ٢ / ١٧٧ ـ ١٧٨ طبعة بغداد، ١٩٧١ م، والمحلاتي، مآثر الكبراء في تاريخ سامراء: ٢ / ٩٩.

في قلبه، وهدت قواه، وهو في عمر جاوز الثمانين عاما.

فتوفي﵀ في سامراء.. بعد الغروب بأربع ساعات من ليلة ٢٤ شعبان سنة (١٣١٢ هـ) وحمل على الرؤوس من سامراء إلى النجف، والقبائل العربية تستقبل جثمانه، وتحمله إلى منتهى حد القبيلة الثانية، وكذا المدن والقرى، وأُقبر بجوار جدّه أمير المؤمنين﵇ بمقبرته الشهيرة بباب الطوسي.. واستمرت الفواتح لروحه﵀ في القبائل والمدن العراقية حدود السنة..»[1].

يقول الدكتور علي الوردي: «كان نقل جنازة الشيرازي من سامراء إلى النجف من أعجب الحوادث في حينها، إذ هي حملت على الاعناق في معظم الطريق بين البلدتين..»[2].

في تكملة أمل الآمل يروي السيّد حسن الصدر قصة تشييع جنازة السيّد بتفصيل دقيق إذ كان من الذين رافقوها طيلة الطرق حتى المثوى الأخير[3].

لقد ترك السيّد الشيرازي بوفاته فراغا كبيرا في المجال المرجعي للطائفة الشيعية، وعلى مستوى حوزته العلمية الناشئة في مدينة سامراء.

فأما على مستوى المرجعية فقد هيأ اللّه من يقوم بهذه المهمة، حيث كان في النجف الأشرف وحوزتها آنذاك فطاحل العلماء المجتهدين، من أمثال الميرزا حسين الخليلي، والشيخ محمد طه نجف، والشيخ حسن المامقاني، والملا كاظم الآخوند الخراساني، والسيّد كاظم اليزدي.

---

(١) حرز الدين، معارف الرجال: ٢ / ٢٣٧ ـ ٢٣٨، محمد حسين حرز الدين، طبعة مكتة المرعشي النجفي ـ قم، ١٤٠٥ هـ

(٢) الوردي، لمحات: ٣ / ٩٩.

(٣) الصدر ـ حسن، تكملة أمل الآمل: ٥ / ٣٤٨ ـ ٣٥١.

وأما الحوزة العلمية في سامراء فقد واصل بعض تلامذة الميرزا الشيرازي مواصلة رسالة أُستاذهم، وكان على رأس أُولئك الميرزا محمد تقي الشيرازي (ت ١٣٣٨ هـ) وهو كما يصفه السيّد حسن الصدر: «نزيل سامراء.. من أَجلِّ تلامذة سيّدنا الأُستاذ العلّامة حجة الإسلام الميرزا محمد حسن الشيرازي.. وهو الذي في سامراء يدرّس من عنده من الفضلاء، وبه قوام أمر دينهم ودنياهم، أحد المراجع العامة في التقليد.. وقد أحيا به اللّه تعالى جماعة من طلبة العلم، أنامهم في حماه المنيع، وسهر في تربيتهم وتكميلهم.. ولولاه لم يكن في هذا المشهد الشريف أحد من أهل العلم، وأرجو من اللّه أن يطَيل في عمره الشريف..».

والترجمة من السيّد الصدر للتقي الشيرازي ترجمة زمالة ومعاصرة، فهو زميله في الدرس، ومن المعاشرين له والمتباحثين معه في العلوم والمعارف إذ يقول عنه: «عاشرته سنين تقرب من العشرين، لم أر منه زلّة، ولا أنكرت منه خلّة، وكان بيني وبينه مباحثة مذاكرة اثنتي عشرة سنة، لا أسمع منه إلّا الانظار الدقيقة، والأفكار العميقة، والتنبيهات الرشيقة...»[١].

إلّا أن الظروف السياسية والأوضاع العصيبة فرضت نفسها على الموقف، فلم تساعده تلك الظروف على مواصلة رسالة أُستاذه في سامراء «وقد انفض عنه أكثر الطلّاب والمدرسين فعادوا إلى النجف أو كربلاء والكاظمية، ومنهم من عاد إلى إيران، وقد اضطر هو نفسه إلى الهجرة من سامراء على أثر الاحتلال البريطاني لها في أواخر الحرب العالمية الأُولى، فاستقر في كربلاء...»[٢].

---

(١) الصدر ـ حسن، تكملة أمل الآمل: ٥ / ٢٩٥ ـ ٢٩٦ بتحقيق د. حسين علي محفوظ وآخرين. وأُنظر: الطهراني، هدية الرازي: ٨١.

(٢) الوردي ـ علي، لمحات: ١٠١١٣.

هكذا انتهى مصير الحوزة العلمية في سامراء، ولم يبق فيها من دروس العلم ومن العلماء إلّا صبابة كصبابة الإناء، إذ هجرها العلم والعلماء من اتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام. وأما مدرستي الميرزا الشيرازي الدينية ومكتبته فقد بقيت معلما من معالم تلك النهضة، وجُدِّد بناؤها على يد المراجع، حتى طالتها يد التعصب فهدمت وأُحرقت مكتبتها كما بينا سابقا.

المبحث السادس: تقويم عام لأهمّ ملامح الحوزة العلمية في سامراء

بعد هذه الجولة في حوزة سامراء العلمية وما رافقها من منجزات وأحداث، لابدَّ لنا من تقويم عامٍّ لأهمِّ ملامحها ومنجزاتها العلمية، والسياسية، والتراث العلمي الذي خلفته لنا خلال هذه الحقبة التي امتدت إلى ما يقارب ثلاثة عقود من الزمن. وضمن نقاط محددة مختصرة:

أولاً: لم تكن حوزة سامراء بديلة عن حوزة النجف الأشرف، وإنما كانت تمثل الامتداد لها وفي طولها، فلم تنقطع حركة العلم والعلماء عن النجف الأشرف طيلة فترة حياة مرجعية السيّد المجدد، والميرزا محمد تقي (رضوان اللّه عليهما) وإنما كانت النجف ترفد سامراء بالطلبة والمدرسين والعلماء، وكانت سامراء تمثل أيضا رافدا علميا لحوزة النجف الأشرف، بالاضافة إلى أن رعاية المرجعية في سامراء لم تنقطع عن النجف وطلابها، فكان يفيض عليهم من سامراء بالرواتب والمساعدات الكثيرة.

ثانيا: لم يختلف المنهج الدراسي، ولا طريقة التدريس في حوزة سامراء العلمية عن الحوزة الأُم في النجف الأشرف. إلّا أن السيّد المجدد الشيرازي كان له منهجا علميا عميق الغَور، كما يصفه السيّد الصدر، الذي يقول عنه: «لم تر عين الزمان مثل

دقائق أفكاره وخفايا آثاره وأنظاره، قد خلت عنها كتب المحققين من أهل الأنظار وسائر الشيوخ الكبار، لم يسبقه أحد إليها ولا حام طائر فكر فقيه قبله عليها»[1].

ويصف الشيخ حرز الدين منهج المجدد الشيرازي وطريقته في التدريس بقوله: «وكان مجلس بحثه مزدحما بالعلماء والمدرسين وتأتيه الاستفتاءات من سائر الأقطار الإسلامية، ويحرِّر المسائل المهمة منها، ويجعلها عنوانا يدرِّس به تلامذته، وكان ينصت لكل تلميذ له قابلية النقاش في الدرس ليستفيد بآرائهم حتى يصفو له الوجه في المثلة، كل ذلك تورعا ووثوقا باصدار الفتوى، وكان كثير الاحتياط والتأمل حتى في الأُمور العرفية..»[2].

ثالثا: لقد تخرج من هذه الحوزة المباركة الكثير من الفضلاء والمدرسين وبعضهم وصل إلى المرجعية العليا للطائفة الشيعية، من أمثال الميرزا محمد تقي الشيرازي، والسيّد كاظم اليزدي، والآخوند الخراساني، «.. وغير ذلك من الأفاضل والأعلام الذين يطول بذكرهم المقام، لو أردنا استقصاء طبقاتهم بالتمام». كما يقول السيّد حسن الصدر في التكملة[3].

رابعا: خلَّفت لنا حوزة سامراء العلمية تراثا علميا متميزا رغم عمرها القصير، فرغم انشغال المجدد الشيرازي بأعباء المرجعية الدينية والرئاسة الاجتماعية، والتي شغلته عن كتابة المؤلفات الفقهية والأُصولية بقلمه الشريف، إلّا أن ما وصلنا من مؤلفاته وتقريرات درسه، الشيء الكبير، وكتب الكثير منها في محضر درسه في سامراء بواسطة طلابه الذين حضروا درسه في النجف، ثمّ انتقلوا معه إلى سامراء، أو الطلّاب الذين

---

(١) الصدر ـ حسن، تكملة أمل الآمل: ٥ / ٣٣٤.

(٢) حرز الدين، معارف الرجال: ٢ / ٢٣٧.

(٣) الصدر ـ حسن، تكملة أمل الآمل: ٥ / ٣٣٥.

حضروا درس السيّد الشيرازي في أواخر أيامه بسامراء وحملوا تراثه العلمي من بعده..[1] وذكر السيّد الأمين في أعيانه قائمة مؤلفات وتقريرات المجدد في الفقه والأُصول[2].

ولطلّاب وتلامذة المجدد الشيرازيﷺ نتاج علمي كبير حُرِّر بعضه في حوزة سامراء العلمية، فقد كتب الميرزا حسين النوري الكثير من آثاره العلمية بسامراء، وهو يومذاك من أعظم أصحاب السيّد المجدد الشيرازي وقدمائهم وكبرائهم.

ومن أهم هذه المؤلفات كتابه الكبير (مستدرك الوسائل) استدرك فيه على كتاب (وسائل الشيعة) الذي أ لّفه الشيخ محمد بن الحر العاملي المتوفى سنة (١١٠٤ هـ)[3]. كما أن الشيخ الطهراني محسن الشهير بـ (آقا بزرك) قد وضع المسودات الأولية لكتابيه القيمين «الذريعة» و «الطبقات» في سامراء حيث اختص بالتلمذة على الميرزا محمد تقي الشيرازي وهو من أبرز تلامذة المجدد الشيرازي. وسكن سامراء في السنوات (١٩١١م إلى ١٩٣٦م)، «وكان يدرّس في المدرسة الشيرازية بسامراء مدّة خمس عشرة سنة»[4].

كما أن الشيخ ذبيح اللّه المحلاتي الذي قطن سامراء مدة طويلة.. قد أ لّف موسوعته القيمة «مآثر الكبراء في تاريخ سامراء» عن هذه المدينة وهو قاطن بها كما

---

(١) بحر العلوم ـ محمد، مقدمة تقريرات المجدد الشيرازي: ٥٥، طبعة مؤسسة آل البيت ـ قم، ١٤٠٩ هـ.

(٢) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ٥ / ٣٠٨.

(٣) الطهراني ـ آغا بزرك، الطبقات: نقباء البشر في القرن الرابع عشر: ٥٤٩، ٥٥٢.

(٤) أنظر: الطهراني، هدية الرازي: ٩، والذريعة، المقدمة: ١ / ١٢، وطبقات أعلام الشيعة: ١ / كا ـ كا.

يظهر من ثنايا كتابه.

كما أن السيّد حسن الصدر (ت ١٣٥٤ هـ) وهو من تلامذة المجدد الشيرازي البارزين، كان من المقررين لدرس أُستاذه والكاتبين لبعض أبحاثه، كما يصرح بذلك[(١)].

ومن يبحث في كتاب «الذريعة إلى تصانيف الشيعة» يجد الكثير من النتاج العلمي المتميز لمدرسة وحوزة سامراء.

خامسا: اتساع نفود المرجعية الشيعية:

لقد اتسع نطاق نفوذ المرجعية الدينية في عهد المجدد الشيرازي بفضل جهوده وحسن تنظيمه، ودقّة اختياره للمندوبين والوكلاء عنه. يقول الشيخ حرز الدين في معارفه: «نال الزعامة وأذعن لفضله وعلمه الجمهور، وتسلم بيده زمام المسلمين ومقاليد الأُمور، وانتهت إليه رئاسة الإمامية من سائر الأمصار.. وكانت البلدان، بل الأقطار الإسلامية وزعماؤها ملحوظة بنظره، لا يغفل عنها وما حل فيها، وقد نصب له في كلِّ بلد ممثلاً عنه أمينا ثقة لقبض الحقوق، وتدفع إليه في كل شهر وتوزع على مستحقيها كذلك»[(٢)].

وهذه المركزية والدقة في توزيع الحقوق المالية قد ذكرها الشيخ محمد تقي الفقيه بقوله: «وقد سمعتُ من أُستاذنا آية اللّه الحكيم، إنَّ الحقوق المالية التي يكون مرجعها المجتهد، كان كل عالم يتولى انفاقها بنظره في المصالح الدينية في بلاده، وإن جمعها

---

(١) الصدر ـ حسن، تكملة أمل الآمل: ٥ / ٣٣٤، ٣٣٩.

(٢) حرز الدين، معارف الرجال: ٢ / ٢٣٤.

وارسالها إلى العراق لم يكن معروفا إلّا في عهد الميرزا الشيرازي الكبير»[1].

سادسا: ظهور دور المرجعية الدينية في الحياة السياسية:

لم يقتصر دور المجدد محمد حسن الشيرازي، ولا خلفه الميرزا محمد تقي الشيرازي على القيام بأُمور المرجعية على المستوى العلمي والخدماتي والاجتماعي، وإنما تعدى ذلك إلى الدخول في عالم السياسة من أوسع أبوابها، فكان لهما دور كبير في قيادة مسيرة الأُمة عبر سوح المواجهة مع الاستكبار العالمي المتمثل آنذاك ببريطانيا العظمى ونفوذها في كلٍّ من إيران والعراق عبر عملائها وتدخلها المباشر من خلال تجييش الجيوش واحتلال البلد.

يقول الدكتور علي الوردي: «يعد المرزا محمد حسن الشيرازي أعظم مجتهد شيعي ظهر في العهد الحميدي، وقد جرت في عهده أحداث هامة كان لها أثرها الاجتماعي في العراق وإيران»[2]. ويصف الشيخ الطهراني العقل السياسي عند المجدد الشيرازي، فيقول: «وأما عقله، فقد حيّر السياسيين من الملوك والسلاطين والوزراء.. وأذعن لعقله وتدبيره أهل العلم بالتدبير.. ويذعن لعقله السلاطين وأهل العلم بالأُمور السياسية»[3].

لقد اتسمت مرجعية المجدد الشيرازي بثلاثة مواقف رئيسية بارزة، حملت دلالات دينية سياسية كبيرة الأهمية، وهي بايجاز:

---

(١) الفقيه ـ محمد تقي، جبل عامل في التاريخ: ٥٣، طبعة دار الاضواء ـ بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م.

(٢) الوردي ـ علي، لمحات اجتماعية: ٣ / ٧٧.

(٣) الطهراني، هدية الرازي: ٣١.

١ ـ رفضه لاستقبال الشاه ناصر الدين:

الذي زار النجف الأشرف عام (١٢٨٧ هـ ـ ١٨٧٠ م) وخرج العلماء لاستقباله ثمّ زاروه في محلِّ إقامته، إلّا المجدد الشيرازي، فلم يخرج لاستقباله، ولم يذهب لزيارته، كما أنه رفض قبول المبالغ النقدية التي أرسلها له ناصر الدين شاه. وبعد الإلحاح عليه قبل السيّد أن يلتقي به في الحضرة العلوية، وتمّ الاجتماع بينهما ولم يطلب السيّد من الشاه شيئا.

وكان لهذا الموقف تأثير كبير في رفع مكانة السيّد الشيرازي في أوساط العامة، كما أصبح هذا النهج هو الطريقة والسنة المتبعة عند كبار العلماء والمراجع في استقبال الملوك المسلمين[١].

٢ ـ معالجته للفتنة الطائفية في سامراء:

وقد أشرنا إلى ذلك من قبل، ونضيف هنا أنَّ السيّد المجدد قد رفض وبشكل قاطع تدخل القنصل الإنكليزي في بغداد، والذي أراد أن يستغل الموقف لصالح دولته، فسافر إلى سامراء لهذا الغرض، إلّا أنَّ الميرزا الشيرازي رفض مقابلته، وقال كلمته المعروفة: «لا حاجة لدسِّ أنف بريطاني في هذا الأمر الذي لا يعنيها، لأ نّه والحكومة العثمانية على دين واحد وقبلة واحدة، وقرآن واحد..»[٢].

٣ ـ اصداره لفتوى التنباك الشهيرة:

وهي من أهم القضايا الساخنة التي تعرَّضت لها مرجعية المجدد الشيرازي حيث تصدى للاتفاقية التي عقدها ناصر الدين القاجاري مع شركة بريطانية لاحتكار التبغ

(١) مغنية ـ محمد جواد، مع علماء النجف الأشرف: ١١٠.

(٢) بحر العلوم، مقدمة كتاب تقريرات المجدد الشيرازي: ٣٧ عن الرهيمي، تاريخ الحركة الإسلامية في العراق: ١٢٧ وعلي بزركان، الوقائع الحقيقية: ٤.

الإيراني، ووقعت على أثر ذلك انتفاضة شعبية في إيران قادها العلماء، وأرسلوا إلى المرجع الأعلى يستمدون منه الدعم والتأييد، فأرسل في البداية رسائل إلى الشاه يطلب فيها منه «الاستجابة للرعية في الغاء الاتفاقية، ولما لم يستجب الشاه أصدر فتواه الشهيرة المعروفة بفتوى التنباك «استعمال التنباك والتتن حرام بأيٍّ نحو كان، ومَن استعمله كَمَن حارب الإمام عجل اللّه فرجه». فأحدثت هذه الفتوى دويا هائلاً، وهزت المجتمع الإيراني، وكانت النتيجة المباشرة للفتوى ارغام حكومة الشاه على الغاء الاتفاقية، كما كان لها نتائجها وآثارها في المدن العراقية».

يقول أحد الباحثين في الحركات الإسلامية: «.. مثلت الفتوى التي أصدرها الشيرازي، إحدى أهم المواقف والنشاطات الفكرية والسياسية للعلماء المسلمين الشيعة في العراق في أواخر القرن التاسع عشر، وشكلت مظهرا رئيسيا من مظاهر الاتجاه الثقافي الفكري السياسي الإسلامي الذي مهّد لقيام الحركة الإسلامية في العراق أوائل القرن العشرين»[(١)].

لقد كان السيّد الشيرازي ـ وبحق ـ من العلماء الأفذاذ الذين حفظوا حوزة الدين، واعز اللّه به الإسلام والمسلمين، وإن كان لكل قرن من القرون مجددا للمذهب، فإنّ السيّد الشيرازي لقب بـ (المجدد) فقد كانت زعامته عظيمة للغاية «وكان كهف الإسلام ومحيي شريعة سيّد الأنام..»[(٢)].

كما أن مرجعية خلفه الميرزا محمد تقي الشيرازي قد شهدت حراكا سياسيا جهاديا كان له صدى واسع، فهو زعيم الثورة العراقية الكبرى، وصاحب الفتوى الشهيرة في

---

(١) الرهيمي ـ عبد الحليم، تاريخ الحركة الإسلامية في العراق: ١٣٠ ـ ١٣١، وللتوسع أُنظر: مقدمة السيّد محمد بحر العلوم على تقريرات السيّد المجدد الشيرازي.

(٢) الطهراني، الطبقات، نقباء البشر: ١ / ٤٤٠.

الوقوف أمام المشروع الاستعماري، «وعندما أراد الإنكليز أن يحملوا العراقيين النبلاء مكرهين على انتخاب المندوب السامي (السر برسي كوكس) ممثلهم في العراق أن يكون رئيسا لحكومة العراق الجديدة، وعلم الميرزا الشيرازي.. فأفتى بما نصّه: «ليس لأحد من المسلمين أن ينتخب ويختار غير المسلم للامارة والسلطنة على المسلمين».. وأصدر فتواه الثانية المدوية في العالمين الإسلامي والبريطاني، حينما نكل حكامهم السياسيون بالوجوه العلمية والأعيان المحبة لصالح بلدهم.. وهذا نصها: «مطالبة الحقوق واجبة على العراقيين، ويجب عليهم في ضمن مطالبتهم رعاية السلم والأمن، ويجوز لهم التوسل بالقوة الدفاعية إذا امتنع الإنكليز من قبول مطالبهم»[1].

فكانت هذه الفتوى بمثابة الشرارة التي انطلقت منها ثورة النجف ضد الوجود الإنكليزي، ثمّ ثورة العشرين في العراق والتي كان فقهاء النجف على رأسها[2].

---

(١) حرز الدين، معارف الرجال: ٢ / ٢١٦ ـ ٢١٧، والوردي، لمحات اجتماعية: ٥ / ٥٣٥.

(٢) القزويني ـ جودت، المرجعية العليا: ٢٣٦.

خاتمة

بعد هذا الاستعراض الموجز لتاريخ الحوزة العلمية في مدينة سامراء، وفي خاتمة أبحاثها، لابدّ لنا من بيان خلاصة مركزة لأهم الأحداث التي رافقت تأسيس هذه الحوزة في نشأتها وتكاملها وأُفولها:

أولاً: تأسست الحوزة العلمية في سامراء على يد الميرزا محمد حسن الشيرازي (ت ١٣١٢ هـ)، وهو من كبار مراجع الشيعة الإمامية، وثنيت له وسادة المرجعية العليا للطائفة الشيعية وكان مقره في النجف الأشرف، إلّا انه اتخذ قراره بالهجرة إلى سامراء واتخاذها مسكنا ومدرسا، وذلك في حدود سنة (١٢٩١ هـ) حيث مكث في هذه المدينة لأكثر من عقدين من الزمن حتى وفاته سنة (١٣١٢ هـ).

ثانيا: مهما كانت الأسباب التي تذكر لهجرة الميرزا الشيرازي إلى سامراء؛ إلّا أنه قد احيا بهجرته هذه البلدة النائية بما قدمه لها من خدمات علمية واجتماعية وعمرانية، فأصبحت ببركة وجوده من المدن التي تُشد إليها رحال أهل العلم والمعرفة. وكذلك أصحاب الحِرف والصنائع والتجار.

ثالثا: لم تكن حوزة سامراء بديلاً عن حوزة النجف الأشرف التي كانت قائمة بنشاطها في حينها، وإنما كانت بمثابة الفرع المتمم لحوزة النجف الأشرف؛ حيث كانت مناهج الدراسة وطرق التدريس والنفقات المالية متحدة في كلا الحوزتين.

رابعا: درَّس في حوزة سامراء وتخرّج منها كبار علماء الشيعة، ووصل البعض إلى سدة زعامة ومرجعية الحوزة العلمية، وقد أحصى بعض الباحثين عدد طلّاب الميرزا الشيرازي فأوصلهم إلى ما يقرب من خمسمائة طالب.

خامسا: واجهت حركة الميرزا الشيرازي العلمية والاجتماعية والعمرانية في سامراء ردود أفعال عنيفة من بعض علماء السنة وبمساندة الدولة العثمانية واتخذت أساليب الردع المضاد اتجاه نشاطات الميرزا، مع التحريض القومي والمذهبي اتجاه الميرزا وطلّابه والشيعة؛ وذلك للحد من نفوذهم وتحجيمهم ومن ثمَّ القضاء على حركتهم.

سادسا: مع كلّ الضغوط وأساليب الردع التي واجهها الميرزا الشيرازي إلّا أن حوزته العلمية ونشاطه الاجتماعي والعمراني لم يتوقف وإنما استمر في عطاءه؛ حيث واجه تلك الضغوط والمصاعب بصبر جميل وسعة صدر ورباطة جأش.

سابعا: بعد وفاة الميرزا الشيرازي سنة (١٣١٢ هـ) استمرت حوزة سامراء في حركتها العلمية وواصل بعض تلامذته رسالتهم العلمية، وكان على رأسهم الميرزا محمد تقي الشيرازي، والذي كان من أجلِّ تلامذة المجدد الشيرازي.

ثامنا: لم تستمر طويلاً حوزة سامراء بعد وفاة مؤسسها، إذ انفض عنها الكثير من طلّابها نتيجة الظروف الضاغطة فهاجر الكثير منهم إلى النجف أو كربلاء أو الكاظمين، ومنهم من عاد إلى وطنه، ولم يبق فيها إلّا نزر يسير من الطلّاب، مما حمل الميرزا الحائري إلى الهجرة إلى كربلاء.

تاسعا: بهجرة الميرزا الحائري إلى كربلاء، لم يبق في حوزة سامراء إلّا نزر يسير من الطلّاب، وآل مصير هذه الحوزة إلى الاضمحلال، وبقيت مدرسة الميرزا المجدد الشيرازي ومكتبته معلما تحكي للأجيال قصّة ذلك الرجل الذي قام للّه مجددا للدين والمذهب، ومعلما من معالم تلك النهضة المباركة، إلّا أن يد التعصب قد طالت هذه المعالم فهدمت المدرستين وأحرقت المكتبة في قصّة مأساوية.

عاشرا: يمكن تقسيم أدوار حوزة سامراء العلمية إلى ثلاثة أدوار وهي:

أولاً: دور التأسيس والبناء.

ثانيا: دور التوسع والتكامل والازدهار.

ثالثا: دور الضعف والانكماش والاضمحلال.

ولكل دور من هذه الأدوار بعض الخصائص المميزة أشرنا إليها في ثنايا تاريخ هذه الحوزة.

الحوزة العلمية في الحلة

الفصل الأول: منطلق الحوزة العلمية في الحلة

المبحث الأول: دور الأُمراء المزيديين في التأسيس للحركة العلمية في الحلة

المبحث الثاني: دور تلامذة الشيخ الطوسي في حوزة الحلة

المبحث الثالث: ابن ادريس الحلي ودوره في حوزة الحلة

الفصل الثاني: الحوزة العلمية في الحلة بعد ابن ادريس الحلي

الأُسر والبيوتات العلمية في الحلة ودورهم في ازدهار حوزتها العلمية:

أولاً: المحقق الحلي. ثانيا: العلامة الحلي. ثالثا: فخر المحققين. رابعا: المقداد السيوري. خامسا: ابن فهد الحلي. سادسا: يحيى بن سعيد.

الفصل الثالث: التراث الفقهي والأُصولي لعلماء حوزة الحلة العلمية

المبحث الأول: خصائص التراث الفقهي والأُصولي لحوزة الحلة العلمية

المبحث الثاني: الفقه والنشاط الفقهي الاجتهادي لحوزة الحلة العلمية

الفصل الرابع: الملامح العامة لحوزة الحلة العلمية

المبحث الأول: الدور السياسي لحوزة الحلة العلمية

المبحث الثاني: العلامة نصير الدين الطوسي ودوره في حوزة الحلة

المبحث الثالث: الصلات العلمية بين حوزة الحلة وجبل عامل

المبحث الرابع: الصلات العلمية بين حوزة الحلة والأقطار الأُخرى

المبحث الخامس: الاضطرابات السياسية ودورها في ركود وأُفول حوزة الحلة

المبحث السادس: أماكن التعليم في حوزة الحلة

المبحث السابع: المناهج الدراسية في حوزة الحلة

المبحث الثامن: مصادر التمويل في حوزة الحلة

الخاتمة: خلاصة عامة لأدوار حوزة الحلة العلمية

المدخل: نشأة مدينة الحلة

يتفق البلدانيون والمؤرخون على أن تأسيس مدينة الحلة تمّ على يد أميرها الشهير سيف الدولة، صدقة بن منصور بن دبيس بن علي بن مزيد الأسدي سنة (٤٩٥ هـ).

يقول ابن الأثير في الكامل ضمن حوادث سنة (٤٩٥ هـ): «وفيها بنى سيف الدولة صدقة ابن مَزيد الحلّة بالجامعين، وسكنها، وإنّما كان يسكن هو وآباؤه في البيوت العربية»[1].

ويتوسع الحموي في وصف الحلة، ومنطقة الجامعين التي حوتها، فيقول: «والحلة، علم لعدّة مواضع وأشهرها: حلةُ بني مَزيد، مدينة كبيرة بين الكوفة وبغداد كانت تسمى الجامعين.. وكان أول من عمرها ونزلها سيف الدولة صدقة بن منصور بن دبيس بن علي بن مزيد الأسدي، وكانت منازل آبائه الدور من النيل، فلما قوي أمره، واشتد أزره، وكثرت أمواله لاشتغال الملوك السلجوقية، بما تواتر بينهم من الحروب، انتقل إلى الجامعين، موضع غربي الفرات ليبعد عن الطالب وذلك في محرم سنة (٤٩٥ هـ)». ثمّ يصف لنا منطقة الجامعين قبل أن يمصرها (سيف الدولة) فيقول: «وكانت أجمة تأوي إليها السباع فنزل بها بأهله وعساكره وبنى بها المساكن الجليلة والدور الفاخرة، وتأنق أصحابه في مثل ذلك، فصارت ملجأً، وقد قصدها التجار فصارت أفخر بلاد العراق وأحسنها..».

وفي مكان آخر من معجمه يقول الحموي: «الجامِعَين: كذا يقولونه بلفظ المجرور

---

(١) ابن الأثير ـ عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ٦ / ٤٢٥ بتحقيق: علي شيري، طبعة دار احياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٩ م.

المثنى، هو حلّة بني مَزيد التي بأرض بابل على الفرات بين بغداد والكوفة وهي الآن مدينة كبيرة آهلة.. وقد أَخرجت خلقا كثيرا من أهل العلم والأدب ينسبون الحلّي..»[1].

وقد زار الحلّة بعد تأسيسها الرحالة المعروف (ابن جبير) ووصفها وصفا دقيقا، مركِّزا على الجانب العمراني فيها التي تدل ـ بحسب قوله ـ: «على عظم الاستطاعة والقدرة»[2].

كما أن الرَّحَّالة المشهور (ابن بطوطة) زار الحلة سنة (٧٢٧ هـ)، فأعاد ما ذكره ابن جبير عنها، مما يدل على بقاء الحلة عمارتها وأهميتها خلال الفترة بين زيارتي الرحالتين[3].

ولا نريد أن نتوسع كثيرا في نشأة المدينة وأعمالها وقراها التابعة لها، فالحلة غنية عن التعريف في حضارتها وتركيبتها الاجتماعية فهي وريثة (أرض بابل) «التي نشأ فيها حضارات قديمة بابلية وكلدانية وسومرية، وعلى مرور السنين تكوَّن شعب ينتمي إلى أُصول بابلية وكلدانية وسومرية أطلق عليهم العرب اسمَ (النبط).. وكان هذا الشعب النبطي وريث الحضارات القديمة التي نشأت في هذه البقعة وكانت فيها بقية صالحة ـ عند الفتح الإسلامي ـ تحتفظ بمعارف الأقدمين وتتدارسها، وبواسطتهم رسخت

---

(١) الحموي ـ شهاب الدين أبي عبد اللّه ياقوت، معجم البلدان: ٣ / ٢٤، ١٧٦، طبعة دار احياء التراث العربي ـ بيروت، بلا ـ ت.

(٢) رحلة ابن جبير: ١٥٤.

(٣) ابن بطوطة، الرحلة: ٢٣٢، وأُنظر: بحث الدكتور محمد مفيد آل ياسين، متابعات فكرية: ٤ ـ ٥.

الحضارة في أرض بابل»[1].

كذلك امتزج في هذه المدينة عناصر اجتماعية متعددة شكّلت نسجيا اجتماعيا مثاليا في تعايشه وتعاونه، يقول مؤرخ الحلّة يوسف كركوش: «إنَّ المجتمع الحلي كان يتكون من عناصر مختلفة: عرب وأكراد ونبط سكان البلاد الأصليين، أما العرب فكان أكثرهم من بني أسد، ولهم السيادة.. وأما الأكراد فهم قبيلة الجاوان»، قال الفيروزآبادي: «وجاوان قبيلة من الأكراد سكنوا الحلة المزيدية بالعراق..»[2].

وجاء في مجلة المجمع العلمي العراقي: «كان الجاوانيون ـ قبل نزوحهم إلى الحلة ـ يسكنون الجانب الشرقي لدجلة حيال طريق خراسان، والظاهر أنهم امتدوا في السكنى على النهروان في شرق بغداد... قرب الكوت.. وهذه القبيلة حالفت بني مزيد، وشاركتهم في السراء والضراء قبل نزوحهم إلى النيل.. وكانت السيادة لبني مزيد عليهم وعلى بني أسد، ومن انضمَّ إليهم.. ولا تزال محلتهم في الحلة تعرف بـ (الكراد الجواني) وفي عهد الأمير ورام (الثاني) ابن أبي فراس انتقل الجاوانيون إلى أرض الجامعين ليؤسسوا الحلة مع أمير بني أسد صدقة»[3].

---

(١) كركوش ـ يوسف، تاريخ الحلة: ١ / ٢ ـ ٣، طبعة المكتبة الحيدرية ـ النجف الأشرف، ١٩٦٥ م.

(٢) المرجع نفسه: ١ / ٢٦ ـ ٢٧.

(٣) مجلة المجمع العلمي العراقي: م ٧، ج ١، ص ٩٤، ٩٦، ٩٨.

الفصل الأول: منطلق الحركة العلمية في الحلة

المبحث الأول: دور الأُمراء المزيديين في ترسيخ الحركة العلمية في الحلة

مما لا شك فيه أنّ أُمراء بني مزيد الأسدي كانوا من الشيعة، ويشاركهم في عقيدة التشيع حلفاؤهم من القبائل العربية الأُخرى، كقبائل خفاجة، وعبادة، وعقيل، بالاضافة إلى حليفهم الرئيسي الكرد الجاوانيون، فنجد أن الرحالة ابن بطوطة في رحلته؛ والتي كان فيها يولي اهتمامه بعقيدة ومذهب سكان المدن التي يزورها، يقول عن الحلة إنَّ: «أهل هذه المدينة كلها إمامية اثنا عشرية، وهم طائفتان إحداهما تُعرَف بالأكراد، والأُخرى تُعرَف بأهل الجامعين»[١].

وجاء في مقال المجمع العلمي: «.. كانت قبيلة الجاوان ـ الكردية ـ شافعية المذهب، والمزيدون شيعة اثني عشرية، ولكن على مرّ الأيام اندمجوا ببني أسد، فصاروا شيعة اثني عشرية، كما استعربوا..»[٢].

ويتحدث ابن الأثير في الكامل ضمن حوادث سنة (٤٤٣ هـ) عن الفتنة بين العامة ببغداد فيقول: «وأُحرق المشهد ـ ويعني مشهد الإمام موسى الكاظم والإمام محمد الجوادعليهما السلام ـ. وجرى من الأمر الفظيع ما لم يجرِ في الدنيا مثله.. ـ ثمّ يقول: ولما انتهى خبر إحراق المشهد إلى نور الدولة دبيس بن مزيد عظم عليه واشتدّ وبلغ منه كلّ مبلغ؛ لأ نّه وأهل بيته وسائر أعماله من النيل، وتلك الولاية كلّهم شيعة، فقطعت في أعماله خطبة الإمام القائم بأمر اللّه، فروسل في ذلك وعوتب، فاعتذر بأنّ أهل ولايته

---

(١) ابن بطوطة، الرحلة: ٢٣٢.

(٢) مجلة المجمع العلمي العراقي: م ٧، ١ / ٩٨.

شيعة، واتفقوا على ذلك، فلم يمكنه أن يشق عليهم..»[1].

ونص ابن الأثير «يفيد بأنّ منطقة الحلة وحتى قبل تأسيس المدينة كانوا من الشيعة الإمامية»[2].

ومن طريف ما ينقل في عقيدة أهل الحلة الشيعية ما ذكره الكتبي ابن شاكر في فوات الوفيات من قول الشاعر عبد الرحمن ابن أبي القاسم الكناني المتوفى سنة (٦٣٥ هـ) مخاطبا راجح الأسدي الحلي:

يقولون لي ما بالُ حظك ناقصا	لدى راجحٍ ربِّ السماحة والفضلِ
فقلتُ لهم: إني سَمّي ابن مُلجم	وذلك اسمٌ لا يقولُ به حلِّي[3]

وأمارة بني مزيد قد سبقت قيام دولتهم في الحلة عام (٤٩٥ هـ) على يد مؤسسها صدقة بن مزيد الأسدي، فكان لهم حضور فاعل ومؤثر في الأحداث التي سبقت قيام دولتهم ولفترة زمنية تمتد إلى ما يقارب القرن من الزمن.

يقول أحد الباحثين: «والمزيدون قبيلة شيعيّة حكمت المنطقة خلال سنة (٣٨٧ هـ) حتى سنة (٥٥٨ هـ).. وأول من اعترف بوجود الأُمراء المزيديين في هذه المنطقة هم البويهيون سنة (٤٠٣ هـ) لاعتقادهم الراسخ أنّ المزيديين هم وحدهم يستطيعون؛ بما أُوتوا من قوة، أن ينشروا الأمن في المنطقة الواقعة تحت سيطرتهم من هجمات القبائل المخلّة بالأمن، لكن الأمارة المزيدية بلغت استقلالها شبه الكامل كأمبراطورية لأُمراء الشيعة في أوج قوة العهد السلجوقي، عندما كان السلاجقة

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٦ / ١٥٨ ـ ١٥٩.

(٢) المصدر نفسه: ٦ / ١٥٨ ـ ١٥٩، وأُنظر: آل ياسين ـ محمد مفيد، متابعات تاريخية: ٦.

(٣) المرجع نفسه: ٦ عن فوات الوفيات: ٢ / ٢٨٣، تحقيق الدكتور احسان عباس، طبعة دار صادر ـ بيروت، وقد ورد في المصدر: «لدى راجح رب الفهاهة والجهل».

مسيطرين على معظم المناطق الإيرانية، وكانت بغداد العاصمة نفسها واقعة تحت نفوذهم، متخذين من مدينة الحلة عاصمةً لأمارتهم»[1].

ففي الوقت الذي كان الشيعة يتعرضون للاضطهاد المذهبي في بغداد وإيران، على يد السلاجقة بعد سقوط الدولة البويهية، نجد الشيعة والتشيع ينتشر في الحلة وضواحيها والمناطق الجنوبية التي خضعت للامارة المزيدية.

وفي الوقت الذي كان فيه السلاجقة يضطهدون العلماء الشيعة ويتعرضون لدور العلم والمكتبات الشيعية، بل وكلّ ما يمت للشيعة بصلة ضمن عملية استئصال وردع مذهبي ممنهج، وفرت الدولة المزيدية للفقهاء والعلماء الشيعة الأجواء الآمنة والمستقرة، فانطلقت فيها حركة العلم والعلماء.

يقول أحد المحققين: «الحلة هي وريثة بابل.. وكان بابل وسوراء وحواليها معقل العلم قبيل الإسلام وبعده، ومركز الاصطكاك العقلي بين مفكري الأُمم الهند وإيران من الشرق، والسريان والآراميين من الغرب، وبها امتزج الغنوص الشرقي مع النبوات السامية، ثمّ صار معقل الشيعة، ومنها كان يلهم الشيعة بكرخ بغداد، وبعد الاضطهاد السلجوقي لهم واحراق مكتباتهم ومنها مكتبة شابور ببغداد، والتجاء الشيخ الطوسي منها إلى النجف في (٤٤٨ هـ)، تعاون المزيديون والأكراد الجاوانيون، مع البساسيري ببغداد، فألغوا الخلافة العباسيّة في (٤٥٠ هـ)، وخطبوا للمستنصر الفاطمي، ثمّ بعد قتل البساسيري ورجوع الأتراك السجلوقيين والخلافة العباسية إلى بغداد، قام سيف الدولة صدقة بن دبيس المزيدي مع الجوانيين ببناء الحلة، فصارت مركز الشيعة وذلك

---

(١) القزويني ـ جودت، تاريخ المؤسسة الدينية: ٧٣.

في المحرم (٤٩٥ هـ)، وبقيت كذلك حتى سقوط بغداد في (٦٥٦ هـ)»[١].

وكان لأُمراء الدولة المزيدية دور كبير في انطلاق النهضة الفكرية والعلمية في مدينة الحلة وعلى مدى قرون من الزمن، وكان على رأس أُولئك الأُمراء مؤسس دولتهم الأمير صدقة بن مزيد الأسدي، الذي يصفه المؤرخون بأنه: «رئيس كامل، سيرته من أجمل السير وأحسنها»[٢].

«لقد كان من أهم أسباب النهضة الفكرية في الحلة، اهتمام الأُمراء المزيديين بهذه الناحية، وتشجيعهم المستمر لرجال العلم والأدب، واجزالهم العطايا والهبات لهم، فقصدهم الكثير من الشعراء، كما حظي عندهم العلماء والفضلاء، حتى أن سيف الدولة صدقة بن مزيد كانت له مكتبة ضخمة تضم أُلوف المجلدات»[٣].

ويصف ابن الأثير مقتل صدقة بن مَزيد ضمن أحداث سنة إحدى وخمسمائة باسهاب فيقول:

«في هذه السنة.. قتل الأمير سيف الدولة صدقة.. أمير العرب، وهو الذي بنى الحلّة السيفية بالعراق، وكان قد عظم شأنه، وعلا قدره، واتسع جاهه، واستجار به صغار الناس وكبارهم، فأجارهم.. وكان له من الكتب المنسوبة الخطّ شيء كثير، أُلوف مجلّدات، وكان يحسن يقرأ، ولا يكتب، وكان جوادا حليما، صدوقا، كثير البرّ والإحسان، ما برح ملجأ لكل ملهوف، يلقى من يقصده بالبر والتفضّل.. وكان عادلاً.. يحفظ الأشعار، ويبادر إلى النادرة، رحمه اللّه، لقد كان من محاسن الدنيا»[٤].

---

(١) منزوي ـ علي نقي، في تعليقته على كتاب والده آغا بزرك الطهراني، الأنوار الساطعة في المائة السابعة المعروف بـ «طبقات أعلام الشيعة»: ٣ / ٨، وأُنظر الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٦ / ١٨٧ و ٤٢٨ وما بعدها.

(٢) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ٧ / ٣٨٦.

(٣) آل ياسين ـ مفيد، متابعات تاريخة: ٩ عن ابن الفوطي، تلخيص مجمع الآداب: ٤، ق ٣: ١٨٦.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٦ / ٤٧٩ ـ ٤٨٤.

وهكذا كان خلفه من الأُمراء حيث وصفوا بالجود والكرم والأدب والشعر، وحمى الجار، «ومهما يكن فلقد كان الأُمراء المزيديون من محبي العلم والأدب ومشجعيهما..»[1].

ولو أردنا ذكر ما قاله المؤرخون وما استشهد به الأُدباء والشعراء من مناقب ومآثر وكرم وجود وفضل.. لهذه الأُسرة الكريمة لطال بنا المقام، إذ يكفي أن نشير إلى أن لسيف الدولة سيرة عطرة طويلة مدونة يقول عنها سيّد الأعيان: «رأيتُ مدائحه في أربع مجلدات، ورأيت سيرته من أجمل السير وأحسنها»[2].

وعن الدولة المزيدية أ لّف الشاعر والأديب أبو البقاء هبة اللّه كتاب (المناقب المزيدية في أخبار الدولة الأسدية)[3].

ومما ينبغي أن نشير إليه أن التشيع في مدينة الحلة وسكانها، أقدم من تأسيس المدينة في نهاية القرن الخامس، إذ إن المدن والقرى والقصبات التي شكلت جغرافية مدينة الحلة كانت من المناطق الزراعية المأهولة بالسكان وكان أهلها من الشيعة، وهنالك مشاهد ومزارات ومراقد لكثير من أبناء الأئمة من أهل البيتعليهم السلام في هذه المنطقة[4]، مما يعني ارتباط أهالي هذه المناطق بأهل البيت وتشيعهم وولائهم[5].

يقول صاحب الروضات: «إنّ الحلة كانت قديمة التشيّع وخرج من علمائها الكثير

---

(١) آل ياسين، متابعات: ٩.

(٢) الأمين ـ محسن، أعيان اليشعة: ٧ / ٣٨٦.

(٣) المرجع نفسه: ٧ / ٣٨٧ وأُنظر: الأمين ـ حسن، دائرة المعارف الشيعية: ٣ / ٣٨٢ وما بعدها، الطبعة الثانية، ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م.

(٤) للتوسع أُنظر: حرز الدين، مراقد المعارف.

(٥) للتوسع أُنظر: عبد الجبار الناجي، الامارة المزيدية الأسديّة في الحلّة: ٣٢٣ وما بعدها، طبعة قم، ١٤٣١ هـ

من الفحول، وان مزاراتهم فيها مشهورة»[1].

وكان دور الدولة المزيدية وأُمرائها مهمّا جدا في تجذير هذا التشيع وتوسعته وانتشاره وقوته.

المبحث الثاني: دور تلامذة الشيخ الطوسي ومدرسة النجف وبغداد في ارساء الحركة العلمية في الحلة

تعتبر الحوزة العلمية في الحلة الوريث الشرعي لحوزتي بغداد وحوزة النجف الأشرف في دورها الأول، حيث كانت المصبَّ لكلا الحوزتين، وميراثهما العلمي انتقل إليها عن طريق علماء وفضلاء كلتا الحوزتين.

فبعد الأحداث والفتن التي حلت ببغداد واستيلاء السلاجقة على الحكم في أواسط القرن الخامس تفرّق طلّاب العلم والعلماء في البلاد المجاورة بحثا عن الأمن وحرية التعليم، وكانت الحلة وجهة بعضهم؛ لأنها كانت خارجة عن قبضة السلاجقة، وكان لأُمراء بني مَزيد السيطرة التامة على هذه المنطقة حتى قبل إعلان أمارتهم في سنة (٤٩٥ هـ). فمن المؤكد أنَّ عددا لا يستهان به من أُولئك العلماء قد هاجر إلى هذه المدينة والحاضرة العلمية الجديدة، إلّا أنّ المصادر التاريخية لا تسعفنا بشيء تفصيلي يذكر من المعلومات عن هذه الهجرة، وإنما هنالك شذرات من هنا وهناك لا تكوّن صورة واضحة المعالم.

وأما حوزة النجف الأشرف وطلّابها فإنها كانت الرافد الأكبر الذي صبَّ في حوزة الحلة الفتية، لأنها كانت الأقرب جغرافيا، والأقرب زمنيا إليها من حوزة بغداد التي تبتعد زمنيا عن حوزة الحلَّة لأكثر من قرن من الزمن، «فكانت النجف أكثر علاقة بها

---

(١) الخوانساري، روضات الجنات: ٢ / ٢٧٠.

ـ أي الحلة ـ من غيرها، وكان فيها يومئذ تلامذة الشيخ الطوسي الذي غادر بغداد سنة (٤٤٨ هـ).. واستوطن النجف وبقي فيها يدرس إلى أن توفي سنة (٤٦٠ هـ)، فقام تلامذته مقامه، فلما مصّر الأمير سيف الدولة الحلة واتخذها مركزا لأعماله قويت الرابطة بين البلدتين، وامتدت أعناق النجفيين إليه، وعلقوا عليه الآمال ليحيوا ما اندثر من نفوذهم وما كان لهم في عهد آل بويه من الحرية التامة في التعبير عن آرائهم»[(١)].

وحقيقة الأمر، أن العلاقة بين المدينتين (النجف والحلة) علاقة عقائدية وثيقة، وتبادلتا الأدوار الفكرية والعلمية والثقافية بعد أُفول حوزة بغداد العلمية في أواسط القرن الخامس، «إذ أخذت النجف تظهر إلى الوجود كحاضرة إسلامية، وأصبحت مدرسة علمية كبيرة.. ومدينة ذات خصائص المدينة الكاملة في القرن الخامس الهجري، وهي بذلك قد تزامنت مع بناء مدينة الحلة في عهد الدولة المزيدية. وبحكم العلاقة العقائدية بين المدينتين، أخذت الحلة تمد بأنظارها نحو النجف الأشرف....

وبعد وفاة الشيخ الطوسي (٤٦٠ هـ) والشخصيات العلمية البارزة التي خلفته في حوزته الفتية في النجف الأشرف، برز على الساحة العلمية والفكرية ابن إدريس الحلي (ت ٥٩٨ هـ) فمدت النجف ببصرها نحو الحلة ومدرستها العلمية «فكان بروزه ـ ابن إدرس ـ ايذانا بانتعاش مدرسة الحلة في منتصف القرن السادس الهجري، وعند ذلك أخذت مدرسة الحلة تنافس مدرسة النجف...»[(٢)].

ورغم اتفاق كلمة العلماء المؤرخين للمسيرة العلمية على انتساب تأسيس حوزة الحلة العلمية إلى ابن إدريس الحلي، إذ يوصف في كلماتهم بـ «مؤسس الحوزة

---

(١) كركوش ـ يوسف، تاريخ الحلة: ٢ / ٤.

(٢) الحكيم ـ حسن، النجف الأشرف والحلة الفيحاء: ٨ ـ ١٤.

العلمية في الحلّة»[1].

إلّا أنّ المرحلة التي سبقت ابن إدريس لم تكن تخلو من الفقهاء وطلّاب العلم. يقول الشيخ الفضلي: «قبل أن تشتهر الحلة كمركز علمي كبير من مراكز الحركات العلمية الإمامية على يد الشيخ محمد بن إدريس العجلي الحلي، كانت كالنجف قبل الطوسي...، فيها نواة حركة علمية، تمثلت في بعض الفقهاء والطلّاب، فابن إدريس مؤسس ورئيس المركز العلمي الكبير في الحلة..»[2].

ومهما يكن من أمر، فالعوامل الأساسية والثانوية المساعدة في تأسيس الحوزة العلمية في الحلة يمكن أن نلخصها بما يلي:

أولاً: وجود الأُمراء من بني مزيد ودولتهم الشيعية.

ثانيا: وجود نواة لحركة علمية في مدينة الحلة.

ثالثا: ضعف الحركة العلمية في النجف بعد الشيخ الطوسي.

رابعا: ما يمتلكه الشيخ ابن إدريس من شخصية علمية شجاعة.

هذه كلها مجتمعة عوامل تكاملت فساعدت ابن إدريس على أن يجلب الأضواء نحو الحلة، ويستقطب العلماء والطلّاب من الأقطار الأُخرى إلى الحلة، ويجعل منها المركز العلمي الرئيسي للحركة العلمية، ابتداء من القرن السادس الهجري وحتى النصف الأول من القرن التاسع الهجري»[3].

وقبل أن ندخل في رحاب شخصية محمد بن إدريس الحلي وحركته العلمية، ومنهجه العلمي، لابد لنا من الإشارة إلى بعض الفقهاء السابقين عليه في الحلة،

---

(١) الخوانساري، الروضات: ٦ / ٢٧٨.

(٢) الفضلي ـ عبد الهادي، تاريخ التشريع الإسلامي: ٣٤١.

(٣) المرجع نفسه: ٣٤١ بتصرف.

وبعضهم من أساتذته ومشايخه في الفقاهة والرواية، وهم يشكلون النواة التي ابتني عليها الصرح العلمي لمدينة الحلة الفيحاء.

وفيما يلي نبذة مختصرة من تراجم أُولئك العلماء:

١ ـ يحيى بن بطريق الأسدي الحلي (ت ٦٠٠ هـ):

وآل بطريق «بيت رفيع ذو علم وفضل وأدب في الحلة، وكلهم شيعة إمامية. وكان يحيى بن بطريق عالما فاضلاً محدثا محققا.. له مؤلفات منها العمدة والمناقب...»[(١)].

قال عنه ابن حجر في لسان الميزان: «يحيى بن الحسن بن الحسين بن علي الأسدي الحلي.. المعروف بابن بطريق، قرأ على الحمصي الرازي الفقه والكلام على مذهب الإمامية، وسكن بغداد مدة ثمّ واسط.. وكانت وفاته بالحلة في شعبان سنة (٦٠٠ هـ) وله سبع وسبعون سنة..»[(٢)].

وابن بطريق يروي في الأغلب عن عماد الدين محمد بن قاسم الطبري الراوي عن الشيخ أبي علي بن الشيخ الطوسي، وكذلك يروي عن محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني صاحب كتاب المناقب والمتوفى سنة (٥٨٨ هـ)[(٣)].

وابن بطريق وإن لم يكن من أساتذة ابن إدريس إلّا أنه كان من علماء الحلة السابقين على ابن إدريس والمعاصرين له، ومن المعمرين من بعده.

٢ ـ عربي بن مسافر:

من فقهاء الحلة وعلمائها في القرن السادس الهجري، والشيخ الأكثر شهرةً من بين

---

(١) كركوش ـ يوسف، تاريخ الحلة: ٢ / ١٣ عن الحصون المنيعة للشيخ كاشف الغطاء.

(٢) ابن حجر، لسان الميزان: ٦ / ٢٤٧.

(٣) أُنظر: الخوانساري، روضات الجنات: ٨ / ١٩٧، وكركوش تاريخ الحلة: ٢ / ١٣.

مشايخ بن إدريس.. وكان شيخا جليلاً، وكبيرا معروفا في أصحاب الإمامية[1]. وكان من تلامذة الشيخ الطوسي.. وينقل المحدث النوري: «إنَّ محمد ابن المشهدي حضر درس ابن مسافر في منزل الأخير في الحلة عام (٥٧٣ هـ)»[2].

٣ ـ عبد اللّه بن جعفر الدوريستي:

وهو من فقهاء الإمامية في القرن السادس الهجري، وأحد مشايخ ابن إدريس الحلي وأساتذته.. ويذكر أن الدوريستي انتقل إلى بغداد عام (٥٦٠ هـ)، وأخذ أحاديث أهل البيت عليهم السلام عن جده محمد بن موسى.. توفي بعد عام (٦٠٠ هـ) بقليل[3].

٤ ـ الحسين بن رطبة السوراوي:

وهو من فقهاء الإمامية في القرن السادس، وأحد مشايخ ابن إدريس، بل وشيخ مشايخ ابن إدريس.. وابن إدريس كان قد قرأ كتاب (النهاية) للشيخ الطوسي عنده. وعدّه الأفندي في الرياض من كبار مشايخ الأصحاب ومن أجلاء الفقهاء وكان تلميذا عند الشيخ أبي علي بن الطوسي[4].

٥ ـ الحسن بن رطبة السوراوي:

من فقهاء العراق في القرن السادس الهجري، وكان فقيها فاضلاً وعابدا، ومن العلماء الكبار ومن أجلّة الفضلاء.. وكانت له بعض المصنّفات وكتب عدّة، وكان لابن

---

(١) الأفندي ـ عبد اللّه، رياض العلماء: ٣ / ٣١٠.

(٢) النوري، مستدرك الوسائل: ٣ / ٤٧٥.

(٣) المجلسي، بحار الأنوار: ١٠٦ / ٤٢، والبناري ـ علي همت، ابن ادريس: ٥٩.

(٤) الأفندي ـ عبد اللّه، رياض العلماء: ٢ / ٩٣، وبناري، ابن إدريس: ٦٠.

إدريس اجازة روايتها[1].

٦ ـ هبة اللّه بن رطبة السوراوي:

وهو أحد مشايخ ابن إدريس الذين يروون عن أبي علي الطوسي ووالده الشيخ أبي جعفر الطوسي، وهو والد الحسن والحسين المارّ ذكرهما آنفا[2].

٧ ـ عماد الدين الطبري:

أبو جعفر محمد بن أبي القاسم الآملي صاحب كتاب (بشارة المصطفى)، ويروي عن الشيخ أبي علي الطوسي، وكان شيخا لابن إدريس، كما كان شيخا لقطب الدين الراوندي، وشاذان بن جبريل[3].

٨ ـ علي بن إبراهيم العريضي:

من أجلاء عصره، وأحد مشايخ ابن إدريس ويذكره ابن إدرس في خاتمة رسالته الفقهية (المضايقة).. ومن تلامذته يمكن عدّ ورّام بن أبي فراس، كما يمكن عدّ علي بن علي بن نما من مشايخه أيضا[4].

٩ ـ السيّد شرف شاه الأفطسي:

عالم وفقيه امامي من فقهاء القرن السادس الهجري، وهو واحد من سلسلة مشايخ ابن إدريس الذي تفيد بعض الاجازات أنّ ابن إدريس حاز منه على اجازةٍ أيضا. ويستفاد من بعض الأسانيد الروائية أن الأفطسي كان حيا عام (٥٧٣ هـ)[5].

---

(١) الأفندي ـ عبد اللّه، رياض العلماء: ١ / ٢٤٩، والحر العاملي، أمل الآمل: ٢ / ١٠، ٨٠.

(٢) الطهراني، الطبقات، الثقات العيون في سادس القرون: ٣٣٢.

(٣) القمي، هدية الأحباب: ٢١٣، وبناري ـ علي همت، ابن إدريس: ٦١ ـ ٦٢.

(٤) الأفندي، رياض العلماء: ٣ / ٣٢٦.

(٥) الأفندي، الرياض: ٣ / ٩، والطهراني، الذريعة: ٢٠ / ١٧٥.

١٠ ـ ابن شهر آشوب المازندراني:

رشيد الدين محمد بن علي.. أحد مفاخر العلماء الشيعة في القرن السادس الهجري، ذكره المحدث النوري فأثنى عليه ثناءً لا مثيل له، كما وصفه الحر العاملي: «بالعالم الفاضل الثقة، المحدث، المحقق، العارف بالرجال والأخبار.. الجامع للفضائل والصفات»[١]، وهو من مشايخ ابن إدريس الحلي[٢] توفي رحمة اللّه عليه في شعبان سنة (٥٨٨ هـ)[٣].

١١ ـ هبة اللّه بن نما:

وهو الشيخ الرئيس العفيف أبو البقاء الحلي، من مشايخ الشيخ محمد بن المشهدي صاحب (المزار) ويروي عنه في سنة (٥٦٩ هـ) وسنة (٥٧٣ هـ) فيظهر حياة أبي البقاء إلى هذا التاريخ. ويروي عنه أيضا ولده الشيخ جعفر بن أبي البقاء هبة اللّه بن نما والد الشيخ نجيب الدين أبي إبراهيم محمد بن جعفر الذي هو من مشايخ المحقق الحلي.. وجاء في صدر بعض نسخ كتاب سليم بن قيس هكذا: «أخبرني الرئيس أبو البقاء هبة اللّه بن نما بن علي بن حمدون، بداره بحلة الجامعين في جمادى الأُولى (٥٦٥ هـ)، عن الحسين بن أحمد بن طحال المقدادي مجاور النجف في (٥٢٠ هـ) عن الشيخ أبي علي ابن الطوسي في رجب (٤٩٠ هـ)»[٤].

فابن نما من المعاصرين لابن إدريس ومن أساطين وأساتذة حوزة الحلة العلمية.

كما أن هنالك علماء كبارا من أُسرة (آل نما) في طبقات المحقق والعلّامة الحلِّيين

---

(١) النوري، خاتمة المستدرك: ٣ / ٤٨٤، والحر العاملي، أمل الآمل: ٢ / ٢٨٥.

(٢) الطهراني، مصفى المقال: ٤١٥.

(٣) الأمين، أعيان الشيعة: ١٠ / ١٧.

(٤) الطهراني، الطبقات: الثقات العيون: ٢ / ٥٣٤ ـ ٥٣٥.

سوف تأتي الإشارة إليهم.

فأولئك هم نخبة من الفقهاء الذين سبقوا عصر الشيخ ابن إدريس أو من معاصريه، وبعضهم من مشايخه وأساتذته.

كما أن ابن إدريس عاصر علمين كبيرين من أعلام فقهاء أهل البيتعليهم السلام وكانت له بعض المساجلات والردود العلمية معهما، وهما:

أولاً: أبو المكارم بن زهرة الحلبي (ت ٥٨٥ هـ):

وهو من طبقة ابن إدريس ومن المعاصرين له، وكانت لابن إدريس معه مكاتبات وذكره ابن إدريس في كتابه السرائر[١]، وتنص بعض الكتب الرجالية على أنه من مشايخ ابن إدريس، وان ابن إدريس قد روى عنه[٢].

ولابن زهرة منهج نقدي في علم الأُصول كما هو واضح في كتابه الأُصولي (غنية النزوع) الذي تناول فيه بالنقاش للأدلّة الأُصولية للشيخ الطوسي في كتابه الأُصولي (العدة). فهو يشارك ابن إدرس في نقده لمنهج الشيخ الطوسي[٣] كما سوف يأتينا في محله.

رغم هذا القاسم المشترك ولمشاركته في المنهج النقدي، إلّا أنّ ابن إدريس تناول فقه ابن زهرة بالنقد الحاد، فنجده يقول عنه ـ بعد أن ينقل أحد آرائه الفقهية ـ: «والقائل بهذا هو السيّد العلوي أبو المكارم بن زهرة الحلبيرحمه الله، شاهدته ورأيته وكاتبته وكاتبني، وعرّفته ما ذكره في تصنيفه من الخطأ، فاعتذر باعذار غير واضحة...»[٤].

---

(١) السرائر الحاوي: ٢ / ٤٤٢ ـ ٤٤٣.

(٢) أُنظر: الحر العاملي، أمل الآمل: ٢ / ١٠٦.

(٣) أُنظر، محمد باقر الصدر، المعالم الجديدة: ٧٤.

(٤) السرائر: ٢ / ٤٤٢ ـ ٤٤٣.

وابن زهرة، لم يكن مجاورا لابن إدريس في الحلة، وإنما كان من أعيان السادات والنقباء بحلب وتوفي فيها عام (٥٨٥ هـ)[١].

ثانيا: الحمصي الرازي (حدود ٥٨٥ هـ):

وهو محمود بن علي بن الحسن، الشيخ الإمام سديد الدين الحمصي الرازي الحلي.

قال عنه الطهراني: «علامة زمانه في الأُصولين، ورع ثقة، له تصانيف، منها: «التعليق الكبير» و «التعليق الصغير» و «المنقد من التقليد والمرشد إلى التوحيد» و «المصادر في أُصول الفقه»»، وصفه تلميذ منتجب الدين بن بابويه بقوله: حضرت مجلس درسه سنين وسمعت أكثر هذه الكتب بقراءة من قرأ عليه..»[٢].

وسواء كان الحمصي من أهل الري مولدا أم من مدينة حمص السورية من بلاد الشام، على خلاف بين مترجميه[٣]، فإنه نزل مدينة الحلة لمدة من الزمن وتتلمذ عليه مجموعة من علمائها منها ورّام بن أبي فراس، وأ لّف هناك بعض مؤلفاته منها كتابه «التعليق العراقي» الذي أ لّفه في العراق في بلدة الحلة بالتماس علمائها[٤].

ويعبر عنه ابن إدريس في كتابه السرائر بقوله: «سألني شيخنا محمود بن علي ابن الحسين الحمصي المتكلم الرازي..» ثمّ يثني عليه بقوله: «.. وكان منصفا؛ غير مدع لما لم يكن عنده معرفة حقيقته، ولا من صنعته، وحقا ما أقول: لقد شاهدته على خلق قل ما يوجد في أمثاله، من عودة إلى الحق، وانقياده إلى ربقته، وترك المرء ونصرته،

(١) الطهراني، الطبقات، الثقات العيون: ٢ / ٨٧.

(٢) المرجع نفسه: ٢ / ٢٩٥ عن فهرست منتجب الدين: ١٠٧.

(٣) أُنظر الخنساري، روضات الجنات: ٧ / ١٥٨ وما بعدها.

(٤) أُنظر الذريعة: ٤ / ١٦٣.

كائنا من كان صاحب مقالته، وفقه اللّه وإيّانا لمرضاته وطاعته»[1].

رغم هذا المديح الذي كاله ابن إدريس للحمصي، إلّا أنّ الحمصي لم تكن نظرته ايجابية اتجاه ابن إدريس كما سوف يأتينا.

وهنالك علماء آخرون من المعاصرين لابن إدريس من مدينة الحلة ومن خارجها ذكرهم بعض الكتّاب[2]. ولم يرد لهم ذكر في كتاب ابن إدريس (السرائر).

المبحث الثالث: ابن إدريس الحلي ودورهُ في ترسيخ حوزة الحلة

بعد فترة من الركود والسُّبات العلمي الذي حلّ بحركة الاجتهاد في مدرسة أهل البيتعليهم السلام حيث هيمنت شخصية الشيخ الطوسيرحمه الله على الحياة العلمية زمنا ليس بالقصير، وركدت خلالها الحركة العلمية الابداعية، وغدت كتب الشيخ وآراؤه مدار البحث بين الفقهاء، وتهيَّب الكثير منهم مخالفته أو نقد آرائه لشدة اعتقادهم به، وحسن ظنهم بعلمه....

بعد هذه الفترة العصيبة عادت حركة الاجتهاد إلى حيويتها ونشاطها، وظهر في علماء الشيعة من تجاوز بفكره واجتهاده كثيرا عن آراء واستنباطات الشيخ الطوسي، فلاحَت في أُفق الفقه الشيعي الإمامي تباشير نهضة علمية تتقدم أشواطا بعيدة إلى الامام، وكانت بداية هذه النهضة قائمة على نقد بعض آراء الشيخ الطوسي ومخالفتها.

وكان حامل لواء هذه النهضة المباركة الشيخ (محمد بن أحمد بن إدريس الحلّي العجلي) (ت ٥٩٨ هـ). الذي وضع أقوال الشيخ الطوسي واجتهاداته موضع الدراسة والنقد العلمي، وفتح باب النقاش فيها وألف كتابه القيم (السرائر).

كذلك نجد من العلماء المعاصرين لهذه الفترة، من انبرى لمناقشة الآراء الأُصولية

---

(١) ابن إدريس، السرائر: ٢ / ١٩٠ ـ ١٩١، طبعة مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم، بلا ـ ت.

(٢) أُنظر، كمال الدين ـ حمد، فقهاء الفيحاء: ٢ / ٧٠ ـ ٩٦.

للشيخ الطوسي في كتابه (العدّة) وهو ابن زهرة الحلبي المعاصر لابن إدريس، في كتابه القيم (غنية النزوع)، يقول الشهيد الصدر في المعالم: «وكتاب السرائر من الناحية التاريخية يعاصر إلى حد ما كتاب (الغنية) الذي قام فيه حمزة ابن علي بن زهرة الحسيني الحلبي بدراسة مستقلة لعلم الأُصول.. فالكتابان متقاربان من الناحية الزمنية».

ثمّ يضيف السيّد الشهيد الصدر: «ونحن إذا لاحظنا أُصول ابن زهرة وجدنا فيه ظاهرة مشتركة بينه وبين فقه ابن إدريس تميزهما عن عصر التقليد المطلق للشيخ، وهذه الظاهرة المشتركة هي الخروج على آراء الشيخ، والأخذ بوجهات نظر تتعارض مع موقفه الأُصولي والفقهي،.. فابن إدريس يحاول في السرائر تفنيد ما جاء في فقه الشيخ من أدلة، كذلك نجد ابن زهرة يناقش في الغنية الأدلة التي جاءت في كتاب العدة، ويستدل على وجهات نظر معارضة، بل يثير أحيانا مشاكل أُصولية جديدة لم تكن مثارة من قبل في كتاب العدة بذلك النحو»[1].

وقد تكون مناقشات ابن زهرة لآراء الشيخ الطوسي أكثر عمقا من مناقشات ابن إدريس، لأنها تناقش مباني الشيخ، إلّا أن ابن إدريس هو الذي اشتهر في مواجهة آراء الشيخ وردها. كذلك ابن البراج الطرابلسي (ت ٤٨١ هـ) خالف في كتابه «المهذب البارع» آراء أُستاذه الطوسي، ولكن لا نجد صدى لهذه المخالفة.

وقد ترجمنا باختصار لابن زهرة الحلبي، فيما مضى، فلابد لنا من ترجمة أيضا لابن إدريس مع بعض التوسع في منهجه النقدي لآراء الشيخ الطوسي الفقهية.

---

(١) الصدر ـ محمد باقر، المعالم الجديدة لعلم الأُصول: ٧٤، وللتوسع أُنظر: غنية النزوع لابن زهرة، قسم أُصول الفقه: ٢ / ٢٦٥ وما بعدها.

ابن ادريس الحلي في سطور:

وابن ادريس هو «ابو عبد اللّه محمد بن منصور بن أحمد بن ادريس بن الحسين بن القاسم بن عيسى العجليّ الربعيّ»[1] ولد سنة (٥٤٣ هـ) وتوفي سنة (٥٩٨ هـ)، عن خمس وخمسين سنة.

ترجم له ابن داود في رجاله فقال في شأنه: «كان شيخ الفقهاء بالحلّة، متقنا في العلوم، كثير التصانيف...»[2].

وفي إجازة المحقّق الثاني: «ومنها جميع مصنّفات ومرويّات الشيخ الإمام السعيد المحقّق، خير العلماء والفقهاء، فخر الملة والحق والدين، أبي عبد اللّه محمد بن ادريس الحلّي الربعيّ، برد اللّه مضجعه وشكر له سعيه»[3].

ومن أهم آثار ابن ادريس الفقهية كتاب «السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي»[4] وهو بحق كتاب جامع في كلّ أبواب الفقه شحنه بالتحقيق والتفريع على الاصول واستنباط المسائل الفقهية من أدلتها الشرعية الشيء الكثير، وكان ولا زال هذا الأثر الخالد محطّا لأنظار الفقهاء وأهل النظر والاجتهاد. «وقد اثنى عليه علماؤنا المتأخرون واعتمدوا على كتابه وعلى ما رواه في آخره من كتب المتقدمين واصولهم... وقد ذكر

---

(١) المامقاني، منتهى المقال: ٢٦٠ والربعيّ نسبة إلى بني ربيعة.

(٢) ابن داود، الرجال: ٢٦٩، بتحقيق: محمد صادق آل بحر العلوم، طبعة الحيدرية ـ النجف، ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢ م، والطهراني، الطبقات، الثقات العيون في سادس القرون: ٢ / ٢٩٠، وتنقيح المقال: ٢ / ٧٧.

(٣) المجلسي، بحار الأنوار: ١٠٤ / ٧٣.

(٤) منتهى المقال: ٢٦٠.

أقواله العلّامة وغيره في كتب الاستدلال وقبلوا أكثرها»[1].

وله آثار فقهية وأُصولية أُخرى، وحاشية مهمة على تفسير «التبيان» للشيخ الطوسي[2].

ويتصل نسب الشيخ ابن ادريس بالشيخ الطوسي يقول الحر العاملي: «يروي عن خاله أبي علي الطوسي بواسطة وغير واسطة، وعن جدّه لأُمّه أبي جعفر الطوسي...»[3].

وبظهور ابن ادريس الحلّي، نهض البحث العلمي من جديد وانطلقت حركة الاجتهاد بحيوية فائقة تميزت بالعمق والشمول والسعة، على أيدي فقهاء عظام.

والذي يميّز دور ابن ادريس الحلّي عن غيره من معاصريه أنه كان من أشدهم جرأة، وأكثرهم نقدا لطريقة الشيخ الطوسي، حتى لامَه الكثيرون على هذه الطريقة، بل رأى البعض أنَّ ابن ادريس قد تجاوز الحدَّ في معارضته ونقد آراء الشيخ الطوسي، ونسب إليه أنه أساء إلى شخصية الشيخ، وهي نسبة غير صحيحة[4].

وبابن إدريس فُسِح الطريق لمناقشة آراء الشيخ وأفكاره العلمية، ولولاه لم يكن يجرأُ أحد على ذلك.

«ولم يلقَ ابن ادريس ـ في زمانه ـ أيَّ ترحيب أو استقبال، بل جُوبِه بمعارضة شديدة، ولكنّه كان الفاتح لنقد الشيخ الطوسي والمحطم للفكر التقليدي الجاف الجامد، وقد اسدى بذلك خدمة كبرى للطائفة في انفتاح باب الاجتهاد والاعتماد

---

(١) التفرشي، نقد الرجال: ٢٩١.

(٢) انظر: أمل الآمل: ٢ / ٢٤٤.

(٣) المصدر نفسه: ٢ / ٢٤٣.

(٤) أُنظر، معجم رجال الحديث: ١٥ / ٦٤.

على الفكر الحر المشوب بالصدق والصفاء»[1].

المنهج الاستدلالي لابن إدريس، وأهم النتائج لحركته العلمية:

كانت لحركة ابن ادريس العلمية آثار كبيرة على حركة الاجتهاد في القرن السادس الهجري، والقرون اللاحقة، وكان لهذه الحركة منهجها ونتائجها والتي يمكن تلخيصها بما يلي:

أولاً: كسر الجمود الذي كان عليه الفقهاء من تلامذة الشيخ وتلامذتهم، والقضاء على الركود الذي مني به الفقه الامامي خلال هذه الفترة، الذيربما لو استمر لأدى إلى انتهاء ا لاجتهاد وغلق بابه عند الامامية، وذلك بماأقدم عليه من إبداء آرائه الفقهية المخالفة لآراء من تقدمه من الفقهاء، ومناقشة ومحاكمة آراء الفقهاء السابقين عليه، فأعاد بهذا إلى الاجتهاد حيويته ونشاطه، وفتح المجال رحبا إلى استخدامه[2].

ثانيا: استخدام القواعد الأُصولية:

كما انه ليحافظ على نفس الاتجاه المعتدل الذي رسمه الشيخ المفيد، والتزمه من بعده تلامذته كالمرتضى والطوسي وتلامذتهما، ركز كثيرا في درسه وتأليفه على استخدام القواعد الأُصولية[3].

ثالثا: تربيع مصادر الفقه بذكر الدليل العقلي:

والدليل العقلي هو الدليل الرابع الذي كشف عنه السيد المرتضى في بعض

---

(١) مقدمة جامع المقاصد: ١ / ١٩.

(٢) الفضلي، تاريخ التشريع الإسلامي: ٣٤٤.

(٣) المصدر نفسه: ٣٤٥.

جواباته[1]، إلّا انه لم يدرجه في قائمة المصادر تهيبا من الإثارة، وحفاظا على الوضع الفكري القائم آنذاك من أن ينجر إلى الصراع العميق.

يقول الشيخ المظفر: «وأول من وجدته من الأُصوليين يصرح بالدليل العقلي الشيخ ابن إدريس المتوفي (٥٩٨ هـ)»[2]. ثم نقل عبارة ابن ادريس في مقدمة كتابه السرائر إذ يقول: «... فإنَّ الحقَّ لا يعدو أربع طرق:

١ ـ اما كتاب اللّه سبحانه.

٢ ـ او سنّة رسولهﷺ المتواترة المتفق عليها.

٣ ـ او الاجماع.

٤ ـ او دليل العقل.

فإذا فقدت الثلاثة، فالمعتمد في المسائل الشرعية عند المحققين الباحثين عن مآخذ الشريعة التمسك بدليل العقل فيها...»[3].

والملاحظ أن الأدوار الاجتهادية السابقة لعصر ابن ادريس لم يكن فيها للعقل والاستدلال العقلي أثر واضح في كلمات واستدلالات العلماء، إلّا اللهم عند ابن أبي عقيل العماني، وابن جنيد الاسكافي، لكن الذين جاءوا من بعدهما لم يحذوا حذوهما بالأخذ بدليل العقل في الاستنباط الفقهي.

---

(١) أُنظر، رسائل الشريف المرتضى، أجوبة المسائل الموصليات الثالثة: ١ / ٢١٠، طبعة دار القرآن ـ قم، ١٤٠٥ هـ

(٢) المظفر الشيخ محمد رضا، أُصول الفقه: ٢ / ١٢٢، ط. دار التعارف للمطبوعات ـ بيروت، ط. الرابعة، (١٤٠٣ هـ).

(٣) ابن ادريس (ابو جعفر محمد بن منصور)، مقدمة السرائر: ١ / ٤٦، طبعة جامعة المدرسين ـ قم، ط. الثالثة، (١٤١٤ هـ).

والذي يلاحظ كتاب «السرائر» ـ وهو أثر فقهي مهم خلّفه ابن ادريس ـ يجد منهج ابن ادريس العقلي متجليا في استدلالاته الفقهية، بل كان رحمه الله من دعاة الفقهاء إلى الأخذ بالاستدلال العقلي[1].

رابعا: عدم تجويزه العمل بخبر الواحد المظنون صدوره عن المعصوم:

وقد سبقه إلى هذا كل من: ابن قبة، والشريف المرتضى، وابن البراج، وأبي المكارم ابن زهرة، وأبي علي الطبرسي.

وربما نسب هذا إلى غير هؤلاء، قال الشيخ الأنصاري[2]: «فالمحكي عن السيد، والقاضي، وابن زهرة، والطبرسي، وابن ادريس ـ قدس اللّه اسرارهم ـ المنع».

وربما نسب إلى المفيد رحمه الله ـ حيث حُكي عنه في (المعارج) ـ أنه قال: «إنَّ خبر الواحد القاطع للعذر هو الذي يقترن به دليل يفضي بالنظر إلى العلم، وربما يكون اجماعا، أو شاهدا من عقل»[3].

هذه أهمُّ الآثار التي يمكن الاشارة إليها كنتائج للحركة العلمية الاجتهادية التي قام بها ابن ادريس الحلّي، حيث قطع الاجتهاد والفقه الاجتهادي بفضل جهوده مراحل جديدة وتوسعت مجالات الاجتهاد والاستدلال والابحاث الفقهية، بعد أن كان باب الاجتهاد مهددا بالغلق والاقتصار على آراء المتقدمين، وخاصة آراء الشيخ الطوسي.

---

(١) جناتي ـ محمد إبراهيم، ادوار إجتهاد: ٢٨٣.

(٢) الأنصاري مرتضى بن محمد أمين، فرائد الأُصول: ١ / ١٠٩ طبعة النعمان ـ النجف.

(٣) الفضلي ـ التشريع الإسلامي: ٣٤٧. وللتوسع: انظر ـ معارج الأُصول للمحقق الحلي: ١٣٧ وما بعدها، ط. مؤسسة آل البيت، إعداد: محمّد حسين الرضوي.

تلامذة ابن إدريس والراوون عنه:

نص بعض المترجمين لسيرة ابن إدريس على تتلمذ بعض الفضلاء عليه، وهم على قلة عددهم قد واصلوا طريق أُستاذهم في التحقيق والتأليف وصاروا من الفقهاء والأساتذة الذين يشار إليهم بالبنان.

قال صاحب الرياض وهو يترجم لابن إدريس: يروي عنه جماعة من الأفاضل منهم:

١ ـ الشيخ نجيب الدين بن نما الحلي.

٢ ـ والسيّد شمس الدين فخار بن معد الموسوي.

٣ ـ والسيّد محمد بن عبد اللّه بن زهرة الحسيني الحلبي، كما يظهر من بعض أسانيد الصحيفة[١].

٤ ـ ويروي (السرائر) عنه: علي بن يحيى الخيّاط.

٥ ـ وأجاز روايته (السرائر) عنه ليوسف بن علوان..[٢].

٦ ـ الشيخ طومان بن أحمد العاملي[٣].

ويعتبر الشيخ نجيب الدين محمد بن جعفر بن نما الحلي (ت ٦٤٥ هـ) من أبرز تلامذة ابن إدريس، وهو شيخ المحقّق الحلّي، والشيخ سديد الدين والد العلّامة الحلي، والسيّد الرضي، والسيّد أحمد بن طاووس. وهو والد الشيخ جعفر بن محمد صاحب (مثير الأحزان).. قال المحقق الكركي في ذكر المحقق الحلي ما هذا لفظه:

---

(١) الأفندي، رياض العلماء: ٥ / ٣٢ ـ ٣٣.

(٢) الحر العاملي، أمل الآمل: ٢ / ٢١٠، ٢١٤، ٣١٠.

(٣) المرجع نفسه: ١ / ١٠٣.

«وأعلم مشايخه بفقه أهل البيت الشيخ الفقيه السعيد الأوحد محمّد بن نما الحلي، وأجلّ أشياخه الإمام المحقق قدوة المتأخرين فخر الدين محمد بن إدريس الحلي العجلي بردّ اللّه مضجعه..»[1]، فالشيخ نجيب الدين حلقة الوصل بين ابن إدريس وبين المحقق الحلّي، والذي بدوره يعتبر المؤسس الحقيقي للحوزة العلمية في الحلة كما سوف يأتينا لاحقا.

كذلك يعتبر شمس الدين فخار بن معد الموسوي (ت ٦٣٠ هـ)، من تلامذة ابن إدريس المبرزين، وقد نعت في كلمات العلماء بالصفات الحسنة التي قلّ نظيرها في غيره، فهو الفقيه، والمحدث، والنسابة، والمؤرخ، والعارف بالأُصول والفروع، وممن «قلّ نظيره في مشايخ اجازاتنا الورعين، ورجال رواياتنا المطّلعين المتتبعين، بحيث لم يشذَّ عنه إجازة من إجازات الأصحاب، ولم يخل منه سندٌ من أسانيد علمائنا الأطياب، وكان رحمه اللّه تعالى من عظماء وقته، وكبراء زمانه، في الدنيا والدين، فخرا وفخارة، وفخير الطِّويين المنتجبين والفقهاء والمجتهدين»[2].

وهو أيضا يمثل حلقة الاتصال بين ابن إدريس وطبقة المحققين الكبار من أمثال المحقق الحلي، وأبناء طاووس، والشيخ سديد الدين يوسف بن علي والد العلّامة الحلّي، وغيرهم[3]، فأولئك يروون عنه، وهو يروي عن أُستاذه. وهكذا تتصل الحلقة ببعضها وتتكامل، حتى تصل إلى تلامذة تلامذتهم؛ يقول الشهيد الثاني ﵀ في اجازته:

(١) مقدمة التحقيق لكتاب السرائر: ١ / ١٠ ـ ١١، وأُنظر: الشيخ عباس القمي، هدية الأحباب: ٣٣٩.

(٢) الخوانساري، روضات الجنات: ٥ / ٣٤٧ ـ ٣٤٨، وأُنظر: المجلسي، البحار: ١٠٤ / ١٩، والقمي عباس، الفوائد الرضوية: ٣٤٦.

(٣) البحراني، لؤلؤة البحرين: ٢٨١.

«ومصنفات ومرويات السيّد السعيد العلّامة المرتضى امام الأُدباء والنساب والفقهاء شمس الدين أبي علي فخار بن معد الموسوي..»[1].

وتلامذة ابن إدريس الآخرين والراوون عنه لهم شأنهم ومكانتهم أيضا، ووردت بحقهم كثير من كلمات المدح والثناء، مما لا يسع المجال لذكرهم؛ وذكر ما يتصل بشأنهم.

وإجمالاً، كان أُولئك التلامذة والرواة عن ابن إدريس من العلماء الأفذاذ ومن شيوخ الرواية، ومن المصنفين، وتركوا لنا آثارا علمية نافعة.

*** الملاحظات النقدية على منهج ابن إدريس:**

كما كان ابن إدريس‏ عالما نقادا لأفكار العلماء وخاصة في قراءته النقدية لفقه الشيخ الطوسي، ولبعض معاصريه من أمثال ابن زهرة الحلبي.. كذلك وجهت له ولمنهجه بالذات مجموعة من النقود والملاحظات من المعاصرين له، ومن غيرهم، ومن أهم هذه الملاحظات النقدية:

أولاً: قيل فيه: «إنه مخلّط لا يعتمد على تصنيفه»:

وهو ما ينقله الشيخ منتجب الدين في الفهرست عن الحمصي، حيث قال: «وقال شيخنا سديد الدين محمود الحمصي..: هو ـ أي ابن إدريس ـ مخلط لا يعتمد على تصنيفه»[2]، ووافقه على ذلك التستري في قاموس الرجال[3]، كذلك نعته العلّامة بقلّة

---

(١) البحراني، لؤلؤة البحرين: ٢٨٢.

(٢) منتجب الدين ـ علي بن عبيد الله، فهرست أسماء علماء الشيعة: ١٧٣.

(٣) التستري، محمد تقي، قاموس الرجال: ٨ / ٤٥.

معرفته بالروايات والرجال[1].

إلّا أنّ الانصاف يقتضي أن لا نصادر جهود ابن إدريس العلمية، نتيجة خطأ علمي هنا أو هناك. وننعته بالتخليط وعدم الاعتماد بشكل مطلق.

يقول السيّد الخوئي: «ما ذكره الشيخ محمود الحمصي من أن ابن إدريس مخلّط لا اعتمد على تصنيفه، فهو صحيح من جهة وباطل من جهة، أما إنّه مخلط في الجملة فمما لا شك فيه، ويظهر ذلك بوضوح من الروايات التي ذكرها فيما استطرفه.. وأما قوله: لا يعتمد على تصنيفه، فهو غير صحيح، وذلك فإنّ الرجل من أكابر العلماء ومحققيهم، فلا مانع من الاعتماد على تصنيفه في غير ما ثبت فيه الخلاف»[2].

ثانيا: وقيل عنه: «إنه كان معرضا عن الأخبار»:

قال ابن داود في الرجال: «محمد بن إدريس، كان شيخ الفقهاء بالحلة متقنا في العلوم كثير التصانيف، لكنه أعرض عن أخبار أهل البيت [بالكلية]»[3].

وتقييم ابن داود مضطرب في نظر كثير من علماء الرجال، فهو يمدحه بقوله: «شيخ الفقهاء.. متقنا للعلوم كثير التصانيف» فهذا المدح يقتضي من ابن داود أن يذكر ابن إدريس في القسم الأول من كتابه؛ ولهذا ردّ مقولة ابن داود كثير من علماء الرجال كالبحراني، والمامقاني، وأبو علي الحائري.. وغيرهم[4]. كما أن كتب ومصنفات ابن إدريس المشحونة بروايات أهل البيت وأخبارهم عليهم السلام تكذب هذه النسبة التي يدعيها ابن داود وينفرد بها.

---

(١) الحلي ـ العلّامة، مختلف الشيعة: ٢ / ٣٥٧.

(٢) الخوئي ـ أبو القاسم، معجم رجال الحديث: ١٥ / ٦٣.

(٣) ابن داود ـ تقي الدين، كتاب الرجال: ٢٦٩.

(٤) أُنظر، مقدمة تحقيق كتاب السرائر في حياة المؤلف: ١ / ١٤ ـ ١٥.

نعم، كل ما في الأمر أنَّ ابن إدريس لا يعمل بالخبر الواحد المجرّد عن القرينة، وهو مبنى اجتهادي التزم به جملة من العلماء السابقين والمعاصرين له كالشيخ المفيد والسيّد المرتضى، وابن زهرة الحلبي[1].

ثالثا: وقيل عنه أيضا: «إنه وجَّه الإهانة واساءة الأدب للشيخ الطوسي»

وهو ما ادعاه العلّامة المامقاني في كتابه الرجالي الكبير (تنقيح المقال)، «مستحضرا جملة من العبارات والمقاطع من كتاب (السرائر) لابن إدريس شاهدا على صحّة ذلك، وينقل الشيخ المامقاني كلاما للعلّامة المجلسي في بحار الأنوار، يقوم على أنّ ابن إدريس قد أساء الأدب في حق شيخ الطائفة.. ثمّ يقول: «في مواضع من السرائر أعظم مما نقله (صاحب البحار) حتى انه في كتاب الطهارة عند ارادة نقل قولٍ بالنجاسة عن الشيخ يقول: «وخالي شيخ الأعاجم أبو جعفر الطوسي يفوح من فيه رائحة النجاسة»، وهذا منه قد بلغ في اساءة الأدب النهاية، وقد تداول على السنة المشايخ أنّ هذه الاساءة للأدب هي التي قصرت عمره...»[2].

إلّا أنّ هذه الدعوى لا أساس لها من الصحة، فابن إدريس يذكر الشيخ الطوسي في كثير من الموارد من كتابه (السرائر) مشفوعة بأسمى آيات الاحترام والتقدير، والعبارة التي ينسبها المامقاني لابن إدريس وكتابه السرائر لا وجود لها في كتابه، حتى أن أحد الباحثين في تراث ابن إدريس يقول: «لم أعثر على الجملة التي نقلها المامقاني في أيّ من النسخ المتوفرة لكتاب (السرائر) الأعم من المطبوع أو المخطوط.. وبناءً عليه، فمن الممكن أن يكون العلامة المامقاني.. قد سمع هذا النص من غيره..»[3].

---

(١) أُنظر، الخوئي، معجم رجال الحديث: ١٥ / ٦٤.

(٢) المامقاني ـ عبد الله، تنقيح المقال: ٢ / ٧٧.

(٣) بناري ـ علي همت، ابن إدريس: ٤٥١.

ومهما يكن من أمر، فابن إدريس لم يسِيء الأدب مع الشيخ الطوسي، ولا مع غيره من الفقهاء الذين ناقش آراءهم الفقهية، وإنما كانت هناك نوع من الحدة في المناقشات، وهو غير الإساءة.

رابعا: التعاطي الحادّ مع الفقهاء والمحدّثين:

وهو إشكال وارد على ابن إدريس، فقد سدد كلمات عنيفة للفقهاء عند مناقشة آرائهم الفقهية، ولم يسلم أحد منهم من هذا العنف اللفظي من قبيل تعبير «ما يضحك الثكلى»، وتعبيره «وما قاله.. أضعف من بيت العنكبوت»، أو قوله بحقِّ ابن زهرة: «.. وهذا قلة تحصيل منه لما يقوله ويودعه تصانيفه» وغيرها من العبارات الحادة[1].

لقد كان ابن إدريس عالما نقادا لآراء الآخرين، وكان قاسيا عنيفا في نقده، وفيه حدة طبع، لا ندري هل كانت هذه الشدة من بعض صفاته الأخلاقية الموروثة أو المكتسبة؟ أو أنَّ أُسلوب المواجهة كانت تقتضي منه هذا الأُسلوب من الخطاب؟

خامسا: اتهام الفقهاء بالاتباع والتقليد:

ولم يقتصر هذا الاتهام على العصر الذي تلى عصر الشيخ الطوسي، إذ توقفت عجلة الاجتهاد عن الحركة، وأُصيبت بالركود فأصبح ذلك العصر عصر التقليد، وهذا ما صرّح به غير ابن إدريس أيضا، كما ينقل عن سديد الدين الحمصي وهو أحد معاصري تلك المرحلة قوله: «لم يبقَ للإمامية مُفتٍ على التحقيق، بل كلّهم حاكٍ»[2].

---

(١) بناري-علي همت، ابن إدريس: ٤٥٢ - ٤٥٣، وأُنظر السرائر: ٢ / ٤٤٣.

(٢) الخوانساري، روضات الجنات: ٧ / ١٦١.

وإنما نجد ابن إدريس يتّهم الشيخ الطوسي نفسه بالتقليد «وإنه رضي ببعض أقوال أهل السنة لا سيما منهم الإمام الشافعي.. وإن القسم الأعظم من كتابي المبسوط والخلاف ليس سوى تلك الفروع الفقهية التي طرحها المخالفون في كتبهم..»[1].

وكلام ابن إدريس بحق الشيخ الطوسي، وابن البراج،.. ليس بصحيح على إطلاقه، لأ نّه يستلزم نفي ريادة وأصالة الفقه الشيعي وحركته التكاملية التي انتجت لنا كتاب المبسوط، والخلاف، وجواهر الفقه، وغيرها. كما أن الاقتباس والأخذ ببعض وجوه الآراء التي تلتقي مع الفقه السني لا تسمى تقليدا أو اتباعا.

ومهما يكن من أمر، فإنّ ابن إدريس «له فضله ومنزلته العالية بين علماء الطائفة، وغلطه في مسألة من مسائل الفن لا يستلزم الطعن عليه»[2]، فهو فقيه مجدد، استطاع أن يضيف شيئا جديدا إلى الموروث الفقهي، كما استطاع أن يؤسس لمدرسة فقهية منهجية فيها حيوية النقد والتجديد.

«والانتقادات ـ التي وجهت إليه ـ لم تقلل من أهمية جهوده العلمية التي أحلته مكانته في تأريخ الفكر الشيعي رئيسا للمذهب، وشيخا لعلماء عصره، فسرعان ما عاد فقهاء الطائفة إلى الاعتماد على مروياته، والتعبير عنه بما يليق ومكانته وزعامته العلمية والروحية التي تبوّأها في عصره»[3].

---

(١) بناري، ابن إدريس، المرجع نفسه: ٤٥٤.

(٢) البحراني، لؤلؤة البحرين: ٢٧٩.

(٣) القزويني، تاريخ المؤسسة الدينية: ٧٧ ـ ٧٨.

الفصل الثاني: الحوزة العلمية في الحلة بعد وفاة ابن إدريس الحلي

المبحث الأول: الأُسر والبيوتات العلمية في الحلة ودورهم في ازدهار حوزتها العلمية

توفي الشيخ الفقيه أبو جعفر محمد بن منصور بن أحمد بن إدريس الحلي (رحمة اللّه عليه) كما عن ولده (صالح) في يوم الجمعة وقت الظهر ١٨ شوال (٥٩٨ هـ)[(١)].

وبوفاته فقدت حوزة الحلة العلمية علما من علمانها، وفقيها مجددا من فقهانها، تاركا وراءه ثروة علمية تمثلت في موسوعة فقهية، ومختصرات وتعليقات علمية.

وبوفاة ابن إدريس لم تنطفئ جذوة العلم في حوزة الحلة العلمية، ولم تصب حركة العلم والاجتهاد بالركود أو التوقف، وإنما سارت سيرا حثيثا متواصلاً متكاملاً.

لقد برز بعد ابن ادريس الحلّي‌ﷺ علماء كبار، ومجتهدون ومحقّقون جهابذة، استطاعوا أن يرتقوا بالاجتهاد والاستدلال الفقهي إلى مراتب عالية تجاوز فيها الفقه الاجتهادي خطر الركود والغلق لباب الاجتهاد.

ونستطيع بحق أن نطلق على الدور الذي جاء بعد ابن إدريس في حوزة الحلة العلمية بـ(دور الاستقلال للفقه الإمامي) أو مرحلة (النمو والرشد) للفكر الاجتهادي.

ففي مدرسة الحلة بعد الشيخ ابن ادريس الحلّي، جاء دور الأُسر العلمية الحلية التي أسهم علماؤها في مجال العلوم الاسلامية بقسط وافر؛ وأعطوا لمركز الحلة الأهمية من خلال ما قاموا به من التدريس والتأليف والإضافات الجيدهالجادة في هذا المجال.

---

(١) زركوش، تاريخ الحلة: ٢ / ٥٥.

ومن أشهر هذه الأُسر في هذه الحقبة من الزمن، الممتدة من القرن السادس الهجري حتى القرن التاسع الهجري ـ أي لاكثر من ثلاثة قرون ـ أُسرة آل طاووس وأُسرة آل نما، والهذليّون، والأسديّون[1].

ولاتسع هذه الدراسة لاستيعاب جميع أعلام هذه الأُسر العلمية ونشاطهم الفقهي والأُصولي وإنما سوف نشير إلى بعض آثارهم العلمية في ثنايا هذا البحث[2].

ومن أهم أعلام مدرسة الحلة العلمية بعد ابن إدريس هو المحقق الحلّي رحمه الله (ت ٦٧٦ هـ) والذي بظهوره في حوزة الحلة العلمية يبدأ الدور الثاني من أدوار مدرسة الحلة، وتستمر باستمرار النشاط الفقهي لأعلام هذه المدرسة وحتى نهاية القرن الثامن الهجري.

وكانت الحركة العلمية في عصره بلغت شأوا عظيما، حتى صارت الحلة من المراكز العلمية في البلاد الإسلامية[3].

فأكثر من ثلاثة قرون من النشاط العلمي الدائب هي تعبير صادق عن هذه الحوزة العلمية المهمّة[4].

أولاً: المحقق الحلي:

فمن هو المحقق الحلّي؟ وما هو دوره العلمي في حوزة الحلّة؟

---

(١) الشيخ الفضلي ـ تاريخ التشريع الإسلامي: ٣٤٧ ـ ٣٤٨.

(٢) أُنظر كتابنا: تطور حركة الاجتهاد عند الشيعة الإمامية: ٢٩٥ وما بعدها، طبعة دار المصطفى العالمية، الطبعة الأُولى، ١٤٣٠ هـ ـ ٢٠٠٩ م.

(٣) لؤلؤة البحرين: ٢٢٧ الهامش.

(٤) للتوسع في معرفة هذه الأُسر والبيوتات، ودورهم العلمي في مدرسة الحلة، أُنظر، الشيخ يوسف كركوش، تاريخ الحلة: ٢ / ١٥ وما بعدها.

تنتسب هذه المرحلة من مراحل الحوزة العلمية في الحلة، وهي من مراحل تطور الاجتهاد والاستدلال الفقهي المهمة، إلى المحقق الحلّي‏ؒ حيث شهد الاجتهاد الفقهي على يد هذا العَلَم تطورا كبيرا في مستواه، كما سيأتي من خلال بيان خصائص هذه المرحلة.

يقول السيّد الشهيد الصدر في المعالم: «واستمرت الحركة العلمية التي نشطت في عصر ابن إدريس تنمو وتتسع وتزداد ثراءا عبر الأجيال، وبرز في تلك الأجيال نوابغ كبار صنفوا في الأُصول والفقه وابدعوا، فمن هؤلاء المحقق الحلي.. وهو تلميذ تلامذة ابن إدريس ومؤلف الكتاب الفقهي الكبير (شرائع الإسلام) الذي أصبح بعد تأليفه محورا للبحث والتعليق والتدريس في الحوزة، بدلاً عن كتاب النهاية...»[1].

والمحقق الحلّي هو: نجم الدين أبو القاسم جعفر بن الحسن بن يحيى بن الحسن بن سعيد الهذلي الحلّي المشتهر بـ (المحقّق) و (المحقّق الحلّي) (٦٠٢ ـ ٦٧٦ هـ).

وصفه تلميذه ابن داود في رجاله بقوله: «المحقق المدقق الإمام العلّامة، واحد عصره، كان أَلْسَنَ أهلِ زَمَانه، وأقومهم بالحجة، وأسرعهم استحضارا»[2].

وقال فيه السيد حسن الصدر في إجازته الكبيرة للشيخ الطهراني: «هو أول من نبع منه التحقيق في الفقه، وعنه أخذ وعليه تخرج ابن أُخته العلّامة الحلّي‏ؒ وأمثاله من أرباب التحقيق والتنقيح، وليس في الطائفة أجلُّ منه بعد الشيخ الطوسي...»[3].

وقال السيّد الصدر عنه أيضا: «وبرز من عالي مجلس تدريسه أكثر من اربعمائة

---

(١) الصدر، المعالم الجديدة: ٧٥.

(٢) ابن داود، الرجال: ٦٢، وعنه البحراني في لؤلؤة البحرين: ٢٢٩.

(٣) لؤلؤة البحرين: ٢٢٨ الهامش بقلم المحقق السيّد محمد صادق بحر العلوم.

مجتهد جهابذة، وهذا لم يتفق لأحد قبله»[1].

خلف (المحقق الحلي) مؤلفات كثيرة من أهمها كتاب «شرائع الاسلام في مسائل الحلال والحرام» و «المعتبر في شرح المختصر»، وفي علم الأُصول كتاب «معارج الأُصول».

وسوف نشير إلى منهجيته في مؤلفاته من خلال الحديث عن خصائص هذه المرحلة.

يقول أحد الباحثين:

«وقد هذّب «المحقق» آراء الشيخ الطوسي وبلورها ودوّن أصولها، واستفاد كثيرا من اعتراضات وانتقادات ابن ادريس، وقابل تلك الانتقادات بالدفاع عن مدرسة الشيخ[2].

*** أساتذة المحقق الحلي:**

تتلمذ المحقق الحلي وروى عن مجموعة من المشايخ، كان لهم الأثر الكبير في نشأته العلمية، بالاضافة إلى أُسرته وبيته العريق في العلم والأدب، يضاف إلى ذلك الأجواء العلمية الزاخرة بالعطاء العلمي، والملينة بجهابذة الفقهاء والعلماء والتي كانت تسود في الحلة في القرن السابع الهجري، ومن أشهر أساتذة المحقق:

١ ـ الحسن بن يحيى الأكبر بن الحسن بن سعيد الحلي، وهو والد المحقق الحلي، قرأ عليه ولده، ويروي عنه[3]. وصفه صاحب الرياض بالفقيه الفاضل[4].

---

(١) البقال ـ عبد الحسين: شرائع الإسلام، ج ١، التقديم: ٧.

(٢) جامع المقاصد ـ المقدمة: ١ / ٢٠، طبعة مؤسسة آل البيت لاحياء التراث ـ قم.

(٣) الطهراني، الطبقات، الأنوار الساطعة في المائة السابعة: ٣ / ٤٥.

(٤) الأفندي، الرياض: ١ / ١٩١.

٢ ـ أحمد بن يوسف بن أحمد الحسيني العريضي:

قال عنه في أمل الآمل: «كان فاضلاً فقيها صالحا عابدا»[١]، أخذ عنه الفقهاء: سديد الدين يوسف.. والد العلّامة الحلّي، والمحقق أبو القاسم جعفر بن الحسن، وأحمد بن طاووس[٢].

٣ ـ الحسن بن علي الدَربي، الملقب بتاج الدين، قال عنه في أمل الآمل: عالم جليل القدر، يروي عنه المحقق[٣].

٤ ـ سالم بن محفوظ بن عزيزة بن وشاح السوراوي الحلي؛ الملقب بسديد الدين، وهو عالم فقيه فاضل، له مصنّفات يرويها العلّامة عن أبيه عنه[٤]، أخذ عنه المحقق جعفر بن الحسن الحلي، علم الكلام وشيئا من الفلسفة، وقرأ عليه المنهاج[٥].

٥ ـ علي بن الحسن بن إبراهيم الحسيني العريضي الحلي، الملقب بمجد الدين؛ في رياض العلماء: «كان من سادة العلماء وقادة الفقهاء، يروي عنه المحقق»[٦] ونصّ صاحب الطبقات على أن العريضي: «من مشايخ المحقق الحلي»[٧].

٦ ـ فخار بن معد بن أحمد بن محمد الموسوي الحائري (ت ٦٣٠ هـ).

وصفه الحر العاملي بقوله: «كان عالما فاضلاً أديبا محدثا» وله كتب كثيرة، يروي

---

(١) الحر العاملي، أمل الآمل: ٢ / ٣١.

(٢) السبحاني، موسوعة طبقات الفقهاء: ٧ / ٤١.

(٣) أمل الآمل: ٢ / ٦٥.

(٤) المرجع نفسه: ٢ / ١٢٥.

(٥) طبقات الفقهاء: ٧ / ٨٣.

(٦) الأفندي، رياض العلماء: ٤ / ١٥١.

(٧) الطهراني، الطبقات: ٣ / ١٠٣.

عنه المحقّق[1]، ويروي هو عن ابن إدريس الحلي[2].

٧ ـ محمد بن جعفر بن محمد بن أبي البقاء هبة اللّه ابن نما الربعي (ت ٦٤٥ هـ). «عالم محقق فقيه جليل، من مشايخ المحقق»[3].

ويعتبر ابن نما شيخ الإمامية في عصره، وصف بأنه: شيخ الطائفة ورئيسها غير مدافع، أخذ عنه جماعة من الفقهاء والعلماء، وقام في سنة ست وثلاثين وستمائة بتعمير بيوت الدرس في الحلة، وأسكنها جماعة من الفقهاء[4].

٨ ـ محمد بن عبد اللّه بن علي بن زهرة الحسيني الإسحاقي.

قال عنه الحر العاملي: «فاضل عالم جليل، يروي عنه المحقق»[5].

٩ ـ يوسف بن أحمد العريضي.

فقيه امامي زاهد، يروي عنه المحقق الحلي[6].

فمن أُولئك الأفذاذ من الفقهاء والعلماء اكتسب المحقق الحلي علومه ومعارفه الفقهية والأُصولية والأدبية.

*** تلامذة المحقق الحلي والراوون عنه:**

يعتبر المحقق الحلي رائد مرحلة مهمة من مراحل تطور المدرسة الفقهية الشيعية الاثني عشرية، وصاحب مدرسة ومنهج متميز في مجال البحث الفقهي والأُصولي،

---

(١) الحر العاملي، أمل الآمل: ٢ / ٢١٤.

(٢) البحراني، لؤلؤة البحرين: ٢٨١.

(٣) الحر العاملي، أمل الآمل: ٢ / ٢٥٣.

(٤) السبحاني، طبقات الفقهاء: ٧ / ٢١٤.

(٥) الحر العاملي، أمل الآمل: ٢ / ٢٨٠.

(٦) المرجع نفسه: ٢ / ٣٥٠.

ولهذا انجذب طلّاب العلم والمعرفة لحلقة درسه، حتى قيل إنه: «برز من مجلس تدريسه أكثر من أربعمائة مجتهد جهابذة، وهذا لم يتفق لأحد قبله»[1].

بل إنَّ تأسيس الحوزة الحلية، وانتقال المركز العلمي من النجف إليها، يعزوه بعضهم إلى عصر المحقق الحلي، وليس إلى عصر ابن إدريس الحلي. يقول السيّد محمد صادق بحر العلوم: «إنّه في عهد المحقق الحلّي انتقل المركز العلمي من النجف الأشرف إلى الحلة السيفية»[2].

ومهما يكن من أمر، فإنّ حوزة الشيخ المحقق الحلي قد ضمت عددا من الفقهاء والأُصوليين.. يقول ابن داود في ترجمته: «وله تلاميذ فقهاء فضلاء..»[3].

ومن أبرز تلامذة المحقق الحلي:

١ ـ العلّامة الحلي، سديد الدين أبو منصور الحسن بن يوسف بن المطهر الشهير بالعلامة الحلي، وهو ابن أُخت المحقق الحلي، وتتلمذ على خاله.. وسوف يأتينا لاحقا ترجمة له، ولآثاره العلمية.

٢ ـ الفاضل الآبي، الحسن بن ربيب أبي طالب اليوسفي الآبي الحلي، وهو صاحب (كشف الرموز)، وهو شرح لكتاب أُستاذه المحقق (المختصر النافع)[4].

٣ ـ الحسن بن علي بن داود الحلي، تقي الدين (ت ٧١١ هـ) وهو صاحب كتاب الرجال المعروف باسمه، وقد ترجم لنفسه في كتابه ترجمة وافية، وترجم لأُستاذه المحقق ترجمة وافية اثنى فيها عليه، وقال: «.. قرأتُ عليه ورباني صغيرا، وكان له عليَّ

---

(١) الصدر ـ حسن، تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: ٣٠٦، طبعة الأعلمي.

(٢) بحر العلوم ـ محمد صادق، دليل القضاء الشرعي: ٣ / ١٨٥.

(٣) ابن داود، الرجال: ١ / ٦٣.

(٤) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ٢ / ١٧٢.

احسان عظيم والتفات، وأجازني جميع ما صنّفه وقرأه ورواه وكل ما تصح روايته عنه..»[1].

٤ ـ طومان أو (ظمان) بن أحمد العاملي المناري (ت ٧٢٨ هـ).

ذكره الحر العاملي في كتابه ووصفه بقوله: كان فاضلاً عالما محققا.. وتتلمذ على المحقق الحلي[2]. ويعتبر المترجم له من أبرز أساتذة علماء جبل عامل، وتتلمذ عليه جمع من علمائها منهم: جمال الدين مكي العاملي والد الشهيد الأول[3].

٥ ـ عبد الكريم بن أحمد بن موسى بن جعفر بن طاووس (ت ٦٩٣ هـ) الملقب بغياث الدين، وهو صاحب كتاب (فرحة الغري) في تعيين قبر الإمام علي عليه السلام وهو مؤلف مشهور، لمُؤَلفٍ مشهور، إذ إنّ أُسرة آل طاووس من الأُسر العلمية، ولهم مكانتهم الاجتماعية، وهم من أشراف السادات الذين تقلدوا نقابة العلويين وتوارثوها، «وإذا تتبعنا أعلام أُسرة آل طاووس في النجف والحلة نجد فيها الفقيه والنقيب وأمير الحاج، ولهم مساهمات علمية وفكرية في مدرستي النجف والحلة، وامتداداتها إلى كربلاء وبغداد»[4].

٦ ـ علي بن يوسف بن علي بن المطهر الحلي (رضي الدين) وكان عالما فاضلاً، وهو أخ للعلّامة الحلي، يروي عن والده وعن المحقق الحلي[5].

٧ ـ محفوظ بن وشاح الأسدي الحلي.. روى عن السيّد فخار بن معد الموسوي،

---

(١) ابن داود، الرجال: ٧٥، ٦٢.

(٢) الحر العاملي، أمل الآمل: ١ / ١٠٣.

(٣) المرجع نفسه: ١ / ١٠٣.

(٤) الحكيم ـ حسن، النجف الأشرف والحلة: ٢٣.

(٥) الحر العاملي، أمل الآمل: ٢ / ٢١١.

وتتلمذ على المحقق الحلي..[1].

٨ـ علي بن محمد بن أحمد بن علي، الملقب بشرف الدين، المعروف هو وأبوه بـ (ابن العلقمي) وصف في أمل الآمل بالعالم الجليل القدر، والشاعر الأديب، ومن تلامذة المحقق[2]. تقلّد ابن العلقمي (الأب) الوزارة في أواخر الدولة العباسية كذلك تقلده الابن بعده[3].

٩ ـ محمد بن يحيى بن أحمد بن يحيى بن الحسن بن سعيد الهذلي الحلي، (صفي الدين أبوه يحيى بن سعيد (ت ٦٩٠ هـ)) صاحب كتاب الجامع للشرائع، ابن عم المحقق الحلي، وولده محمد: فاضل جليل من تلامذة المحقق[4].

١٠ ـ محمد بن أحمد (جلال الدين) كان عالما فاضلاً وهو من تلامذة المحقق الحلي، وهو شيخ الشهيد الأول[5].

تلك عشرة كاملة من أبرز تلامذة المحقق الحلي، وهنالك الكثير ممن تتلمذ عليه أو ممن استجازه فأجازه مما لا يسعنا استيعابهم في هذا المختصر[6].

*** وفاة المحقق الحلي ومدفنه:**

توفي المحقق الحلي في مدينة الحلة ودفن فيها سنة (٦٧٦ هـ)، كما هو الصحيح

---

(١) العاملي ـ محسن، أعيان الشيعة: ١٥ / ٣٩١، والخوانساري: ٢ / ١٨٤ ـ ١٨٥.

(٢) أمل الآمل: ٢ / ٢٠١.

(٣) أُنظر، الزركلي، الأعلام: ٥ / ٢٢١.

(٤) الحر العاملي، أمل الآمل: ٢ / ٢١٣.

(٥) للتوسع، أُنظر الحكيم ـ حسن، مدرسة الحلة: ١٠٨ وما بعدها.

(٦) أُنظر المرجع نفسه: ٢ / ٢٩٨.

المحقق عند علماء التراجم والرجال[1]، ومرقده معروف مشهور في مدينة الحلة: «وهو مزار معروف وعليه قبة وله خدام يتوارثون أبا عن جد»[2].

*** آثاره العلمية:**

لقد خلف المحقق الحلي تراثا فقهيا وأُصوليا وكلاميا، اتسم بالدقة والتحقيق، وإنها (محررة عذبة) كما يصفها تلميذه ابن داود الذي أورد له تسعة كتب ثمّ قال: «وله كتب غير ذلك ليس هنا موضع استيفائها، فأمرها ظاهر»[3].

ومن أهم كتبه الفقهية كتابه الذي اشتهر به (شرائع الإسلام) وكتابه الأُصولي (معارج الأُصول) بالاضافة إلى كتابه الفقهي الموسوم بـ (المختصر النافع) وشرحه المعروف بـ (المعتبر في شرح المختصر).

وقد اتسمت مؤلفاته بمنهجية جديدة في تقسيم أبواب الفقه، كما أنه نقل الفقه إلى دائرة أوسع مما كان عليه، وتوسع وتعمق في مناهج الاستنباط والاستدلال.. وهذا ما سوف يأتينا الحديث عنه لاحقا في الفصل الثالث إن شاء اللّه.

ثانيا: العلّامة الحلي ودوره في حوزة الحلة العلمية:

يعتبر العلّامة الحلي من أبرز تلامذة المحقق الحلي وابن أُخته، ولو لم يتخرج من محضر درس المحقق الحلّي إلّا العلّامة لكفى به فخرا، فهو أُمة في رجل، ويحار الباحث كيف يدخل إلى رحاب شخصيته، المتعددة في جوانبها، الغزيرة في مواهبها «إنه بحر العلوم الذي لا يوجد له ساحل، وكعبة الفضائل التي تطوى إليها

---

(١) أُنظر، ابن داود، الرجال: ٦٣، والحر العاملي، أمل الآمل: ٢ / ٤٩، والبحراني: ٢٢٩.

(٢) كركوش، تاريخ الحلة: ٢ / ٢٢.

(٣) ابن داود، الرجال: ٦٢.

المراحل»[1]. ولهذا سوف نكتفي بذكر بعض الملامح من شخصيته، تاركين التفاصيل إلى كتب التراجم، وهي مليئة بالمعلومات الوافية عنه.

فمن هو العلّامة الحلّي؟ وما هو دوره في حوزة الحلة العلمية؟

العلّامة الحلي هو: «جمال الدين أبو منصور الحسن بن يوسف بن علي بن محمد بن المطهر الأسدي الحلّي المعرف بـ (العلامة الحلّي) (ت ٧٢٦ هـ)».

ترجم له ابن داود في الرجال قائلاً: «شيخ الطائفة، وعلّامة وقته، وصاحب التحقيق والتدقيق، كثير التصانيف، انتهت رئاسة الإمامية إليه في المعقول والمنقول»[2].

وترجم له من العامة الحافظ ابن حجر في لسان الميزان قائلاً: «عالم الشيعة وإمامهم ومصنفهم، وكان آية في الذكاء، شرح مختصر ابن الحاجب شرحا جيدا.. واشتهرت تصانيفه في حياته...»[3].

ومن أهم آثاره الفقهية والأُصولية:

لا يمكن في هذا المختصر استيعاب مؤلفات العلامة جميعها لأنها بدرجة لا تصدق من الكثرة. يقول السيد الصدر، في معرض حديثه عن المصنفين من علماء الشيعة، قائلاً: «ومنهم آية اللّه العلامة الحلّي... صنف في كل فنون العلوم، المعقول والمنقول ما يزيد على خمسمائة جلد»[4].

---

(١) لؤلؤة البحرين: ٢٢٦. مصدر سابق.

(٢) ابن داود، الرجال: ٧٨.

(٣) ابن حجر، لسان الميزان: ٢ / ٣١٧.

(٤) الصدر السيد حسن، تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: ٢٧٠ ـ ٢٧١.

وذكر له صاحب ريحانة الأدب مائة وعشرين كتابا[1].

«ولقد قيل: إنه وُزّع تصنيفه على أيام عمره من يوم ولادته إلى موته، فكان قسط كُلّ يوم كراسا، مع ما كان عليه من الاشتغال بالافادة، والاستفادة والتدريس والأسفار.. وهذا من العجب العجاب..»[2].

سبق العلامة الحلّي ﷺ اقرانه في فقه الشريعة، وألف فيه المؤلفات المتنوعة من المطولات والمتوسطات والمختصرات، كما فاق في علم الاصول، وألّف فيه كذلك على المستويات الثلاثة، فكانت كتبه الفقهية والأُصولية محط أنظار العلماء في عصره إلى اليوم، تدريسا وشرحا وتعليقا. وقد ترجم لنفسه في كتابه (الخلاصة) وذكر قائمة مطولة من كتبه الفقهية والأُصولية والكلامية والنحوية والمنطقية والحديثية... وأضاف عليها الحر العاملي ما لم يذكره بعد تأليفه لخلاصة الأقوال[3].

فمن مؤلفاته الفقهية المطولة:

١ ـ مختلف الشيعة.

٢ ـ تذكرة الفقهاء.

٣ ـ منتهى المطلب.

ومن المتوسطات:

١ ـ قواعد الأحكام.

٢ ـ التجريد.

---

(١) مدرسي محمد علي، ريحانة الأدب في تراجم المعروفين بالكنية واللقب (بالفارسية): ٣ / ١٠٩ ـ ١١٣، ط. مطبعة شفق ـ تبريز ـ إيران، ط. الثالثة، (بلا ـ ت).

(٢) البحراني، لؤلؤة البحرين: ٢٢٧.

(٣) أُنظر، الحر العاملي، أمل الآمل: ٢ / ٨١ ـ ٨٥، وخلاصة الأقوال في علم الرجال: ١٠٩ ـ ١١٣.

ومن المختصرات:

١ ـ ارشاد الأذهان.

٢ ـ ايضاح الأحكام.

٣ ـ تبصرة المتعلمين.

ومن مؤلفاته في علم الأُصول:

من المطولات:

١ ـ نهاية الوصول إلى علم الأُصول.

ومن المتوسطات:

١ ـ تهذيب طريق الوصول إلى علم الأُصول.

ومن المختصرات:

١ ـ مبادئ الوصول إلى علم الأُصول[1].

هذا وقد أ لّف العلامةﷺ في جميع أنواع فنون العلوم من الحكمة العقلية، إلى الفلسفة وعلم الكلام، والمنطق والجدل، وأ لّف في الردِّ على الخصوم والاحتجاج عليهم.

مشايخ وأساتذة العلّامة الحلي:

لقد كان العلّامة الحلي دوؤبا في طلب العلم من مظانه، وكان منفتحا على علماء الإسلام جميعا، ولم يقتصر على علماء الإمامية فقط، وإنما نجد في سلسلة مشايخه وفي بعض اجازاته عددا من علماء المذاهب الإسلامية من غير الشيعة.

---

(١) أُنظر البحراني، لؤلؤة البحرين ـ مع تعليقة السيد بحر العلوم على ترجمة العلامة: ٢١٠ ـ ٢١١، مصدر سابق.

وقائمة أسماء شيوخ العلّامة وأساتذته طويلة لا يمكن استيعابها في هذا المختصر، ويأتي على رأس هذه القائمة والده المعظم «سديد الدين يوسف بن علي بن محمد، الذي كان عالما فاضلاً فقيها متبحرا، وهو أُستاذ العلّامة الأقدم.. والشخص الثاني الذي قرأ عليه هو المحقق الحلّي، وذكر الحر العاملي: أنه قرأ على المحقق الحلي أكثر من غيره من الأساتذة الكبار الأماجد[1]. كذلك من أساتذته نصير الدين الطوسي، الذي قرأ عليه العلوم العقلية والهيات الشفا لابن سينا.. وغير أُولئك الكثير من علماء ومشايخ عصره».

* وأما تلامذته والراوون عنه فهم أيضا من الكثرة بمكان، وتجد فيهم من أتباع المذاهب الأُخرى أيضا. وعلى رأس تلامذته ولده فخر المحققين الذي ورث والده في العلم والعمل، وترأس المدرسة الحلية بعد وفاة والده[2].

وبالجملة: فالعلامة الحلي‌رحمه‌الله آية من آيات اللّه العلمية، وشخصية فذة، يعجز الكاتب عن احصاء فضائله[3]. توفي رحمة اللّه عليه في الحادي عشر من المحرم سنة (٧٢٦ هـ) ونقل إلى النجف وقبره معروف في حرم أمير المؤمنين‌عليه‌السلام.

ثالثا: فخر المحققين ودوره في حوزة الحلة:

من هو فخر المحققين؟ وما هو دوره في مدرسة الحلة العلمية؟ إنه: محمد بن الحسن بن يوسف الأسدي الحلّي المعروف بفخر المحققين (ت ٧٧١ هـ) وَلَدِ العلّامة الحلّي، تصدَّر بعد والده للتدريس، وتصدّى للتأليف، وترأس مدرسة الحلة

---

(١) أمل الآمل: ٢ / ٨١.

(٢) للتوسع أُنظر، الحكيم ـ حسن، مدرسة الحلة: ٢٢٦ ـ ٢٧٩.

(٣) للتوسع انظر: أعيان الشيعة: ٥ / ٣٩٨، مصدر سابق.

بعد وفاة والده.

ويكفيه ثناءً أن لُقِّب ـ وبجدارة واستحقاق بـ (فخر المحققين).

ولد سنة (٦٨٢ هـ) وكان من أبرز تلامذة والده وبلغ درجة الاجتهاد وهو في العاشرة من عمره[١]، أثنى عليه والده في مقدمة الكثير من كتبه العلمية وطلب منه إكمالها واصلاحها وتحقيقها[٢] ونظرة واحدة تلقى على كتابه (ايضاح الفوائد في شرح اشكالات القواعد) الذي ألفه بأمر والده العلامة، تبين لنا عمق درجته العلمية، ويعتبر كتاب (ايضاح القواعد) و (الرسالة الفخرية) من أهم المراجع في الفقه الاستدلالي.

وقد عبر الشيخ البهاني عن كتاب الايضاح بأنه «لا يوجد له نظير في الكتب الفقهية الاستدلالية»[٣].

«حضر الشهيد الأول درسه العالي، وسجل انطباعه عنه في بعض إجازاته بقوله: الشيخ الإمام، سلطان العلماء، ومنتهى الفضلاء والنبلاء، خاتمة المجتهدين، فخر الملة والدين»[٤].

ومن أهم آثاره الفقهية:

١ ـ إيضاح الفوائد في شرح اشكالات القواعد (قواعد الأحكام لوالده).

٢ ـ حاشية الارشاد (ارشاد الأذهان لوالده).

٣ ـ الرسالة الفخرية في معرفة النية.

---

(١) الخوانساري، الروضات: ٤ / ٢٢٢، وأُنظر مقدمة كتب العلّامة: تذكرة الفقهاء، والإرشاد، والألفين، والقواعد.

(٢) گرجي ابو القاسم، تاريخ فقه وفقهاء ـ بالفارسية ـ ٢٢٥، (مرجع سابق).

(٣) المرجع نفسه: ٢٢٥.

(٤) الفضلي الشيخ عبد الهادي، تاريخ التشريع الإسلامي: ٣٧٦، (مرجع سابق).

ومن أهم آثاره الأُصولية:

١ ـ شرح مبادئ الأُصول (مبادئ الأُصول لوالده).

٢ ـ غاية السَؤُول في شرح تهذيب الأُصول (تهذيب الأُصول لوالده).

وفاته ومدفنه:

توفي فخر المحققين في ليلة ٢٥ جمادى الثانية عام (٧٧١ هـ) ونقل جثمانه إلى النجف الأشرف ولعله دفن قريبا من والده في ايوان الصحن الشريف الذهبي بجنب المنارة الشمالية[١].

رابعا: المقداد السيوري ودوره في حوزة الحلة:

من هو المقداد السيوري؟ إنه: جمال الدين أبو عبد اللّه المقداد بن عبد اللّه بن محمد بن الحسين بن محمد الأسدي السيوري الحلّي المعروف بـ (الفاضل المقداد) (ت ٨٢٦ هـ).

«كان رحمه الله علما من الأعلام ووجها من وجوه أصحابنا، يرد إليه طلاب العلم، ورواد الفضل، فهو شيخ من المشايخ العظام، واسطوانة في الفقه والكلام، وقد تخرّج عليه جمع من الفقهاء وسمع منه كثير من مشايخ الاجازة»[٢].

ومن أهم آثاره الفقهية:

١ ـ التنقيح الرائع في شرح مختصر الشرائع.

ومختصر الشرائع هو (المختصر النافع) للمحقق الحلّي، نعته الخوانساري في

---

(١) لؤلؤة البحرين: ١٩١ الهامش والطهراني، آغا بزرك، الطبقات: الحقائق الراهنة في المائة الثامنة: ١٨٥، والأفندي، رياض العلماء: ٥ / ٧٧، والحكيم ـ حسن، مدرسة الحلة: ٢٧٩.

(٢) مقدمة «كنز العرفان» تقديم البهبودي: ١ / ٨ ـ ١٢.

(روضات الجنات) بانه: «امتن كتاب في الفقه الاستدلالي، وأوزن خطاب ينتفع به الداني والعالي»[1].

٢ ـ جامع الفوائد في تلخيص القواعد.

وهو اختصار لكتاب (القواعد والفوائد) لاستاذه الشهيد الأول.

٣ ـ نضد القواعد الفقهية على مذهب الامامية.

٤ ـ كنز العرفان في فقه القرآن.

ولم نعثر له ـ بما بين أيدينا من فهارس كتبه ـ على مؤلفات في علم الأُصول.

ومن أهم آثاره العلمية كتاباه (التنقيح) و (الكنز) وهما من أُمهات مراجع الفقه الإمامي، ولكنه اشتهر بـ (الكنز).

«وفاق (الكنز) في شهرته نظائره من كتب آيات الأحكام، ويرجع هذا إلى ما امتاز به من سلامة في المنهج، وحسن تبويب، فقد رتبه ترتيب أبواب الفقه، درس في كل باب الآيات التي تخصه، دراسة فقهية استدلالية، يعرض آراء المذاهب السنية، ويقارن ويوازن بينها وبين رأي المذهب الامامي، ثم يردها ردا علميا بما يثبت صحة ما يرتأيه في المسألة على هدي اصول المذهب»[2].

خامسا: ابن فهد الحلي، ودوره في حوزة الحلة:

من هو ابن فهد الحلي؟ إنه: جمال السالكين أبو العباس أحمد بن محمد بن فهد الأسدي الحلّي المعروف بـ (ابن فهد الحلّي) (ت ٨٤١ هـ).

وصف بانه: «جمع بين المعقول والمنقول، والفروع والأُصول... والعلم والعمل،

---

(١) مقدمة «كنز العرفان» تقديم البهبودي: ١ / ٨ ـ ١٢.

(٢) الفضلي الشيخ عبد الهادي، تاريخ التشريع الإسلامي: ٣٧٩.

بأحسن ما كان يجمع ويكمل»[1].

وهو من أبرز تلامذة الفاضل المقداد.

ومن آثار الفقهية:

١ ـ المهذب البارع إلى شرح النافع.

وهو شرح لكتاب (المختصر النافع) للمحقق الحلّي، ويعدّ من مراجع الفقه الإمامي الاستدلالي، نقل عنه الكثيرون ممن جاؤوا بعد مؤلفه.

٢ ـ شرح الارشاد (إرشاد الأذهان للعلامة الحلّي).

وأيضا هو من المراجع في الفقه الامامي الاستدلالي[2].

٣ ـ الموجز الحاوي.

وهو من المتون الفقهية المراجع.

بالإضافة إلى الكتب الفقهية الأُخرى، وهي ما بين شرح لمتن فقهي أو تأليف مستقل، وابن فهد‬ هو صاحب الكتاب القيم (عدة الداعي ونجاح الساعي) وهو من أشهر كتب الدعاء عند الشيعة.

سادسا: يحيى بن سعيد:

أبو زكريا يحيى بن أحمد بن سعيد الهذلي (ابن عم المحقق الحلي) (ت ٦٨٩ أو ٦٩٠ هـ).

ترجمه ابن داود في (الرجال) فقال: «شيخنا الإمام العلّامة الورع القدوة، كان

---

(١) الخوانساري في روضات الجنات: ١ / ٧١ ـ ٧٥، ط. مكتبة الوجداني ـ قم.

(٢) تاريخ التشريع: ٣٧٩.

جامعا لفنون العلوم الأدبية والفقهية والأُصولية..»[1].

أ ـ من أهم آثاره الفقهية:

١ ـ الجامع للشرائع.

٢ ـ نزهة الناظر في الأشباه والنظائر.

ب ـ ومن آثاره العلمية في علم الأُصول:

١ ـ المدخل في أُصول الفقه.

---

(١) ابن داود، الرجال: ٢٠٢.

الفصل الثالث: التراث الفقهي والأُصولي لعلماء حوزة الحلة العلمية

يعتبر دور علماء مدرسة الحلة من الأدوار المهمة في دنيا الاجتهاد وحركته التكاملية، حيث نستطيع أن نلمس التطور الكبير في عدّة جوانب من هذه المدرسة سواء في شكل الانتاج الفقهي ومضمونه، أو في مستواه الكمّي والكيفي.

بل نلمس هذا التطور في الأسس والمباني الفقهية، فضلاً عن المجالات والميادين المتنّوعة التي أخذ الفقه الشيعي باختراقها والدخول إليها من قبيل فقه الدولة الإسلامية، والخراج والأرض، وغيرها.

كما أنَّ الملاحظ في هذه المرحلة استقلال الفقه الشيعي عن محاكاة الفقه غير الشيعي الذي لاحظناه عند بعض علماء مدرسة بغداد.

المبحث الأول: خصائص التراث الفقهي والأُصولي لمدرسة الحلة

وفيما يلي تفصيل أهمّ الخصائص التي ميزت التراث الفقهي والأُصولي لمدرسة الحلة:

أولاً: في مجال أُصول الفقه:

مما قام به الشيخ المحقق الحلّي من دور في سبيل تطوير مسيرة الفقه الإمامي تأليفه لكتابين في أُصول الفقه وهما (المعارج) و (النهج)؛ وذلك ليواصل تنمية الفكر الأُصولي، وتجلية وتنقيح القواعد الأُصولية[1].

وهذا الاهتمام الجادُّ بعلم الأُصول أدّى إلى تنقيح مباحثه وإعادة النظر في

---

(١) الشيخ الفضلي تاريخ التشريع الإسلامي: ٣٥٦.

تنظيمها، والاستقلال في طرح المسائل الأُصولية، بنحو مبتكر متميّز؛ ليبتعد بذلك عن طريقة المحاكاة للمباحث الأُصولية عند العامة.

وانعكس هذا الاهتمام على ميدان البحث والدرس الأُصولي، إذ نجد العلامة الحلّي وهو من تلامذة المحقق ألف أكثر من مؤلَّف أُصولي وفي مستويات علمية مختلفة[1].

«وأثمر هذا الاهتمام بعلم أُصول الفقه نموا كمّيا ونوعيا في بحوث ومسائل هذا العلم، حتى تجلى في توظيف علم الأصول في مباحث الفقه الاستدلالي بشكل واضح، كما أثمر تطوير بحوث الفقه المعاملي بشكل عام على أساس القواعد العلمية التي شيّدت في علم الأُصول»[2].

كذلك استطاع المحقق ومن بعده العلّامة من تطوير وبلورة المفاهيم والمصطلحات الأُصولية، واضافة أو توضيح بعض القواعد الأُصولية.

«فمقارنة ما دوّنه المحقق في (معارج الأُصول) وتلميذه العلّامة الحلّي في (نهاية الوصول إلى علم الأُصول) مع ما دوّنه المرتضى والطوسي في (الذريعة) و (العدة) تكفي لابراز هذا المَعْلَم من معالم هذه المرحلة»[3].

وقد كانت كتب العلّامة الأُصولية كلها محور البحث والدرس والتعليق والشرح، وقامت بدور كبير في نشر الفكر الأُصولي وتركيز قواعده والتربية على الاعتماد عليها في مجال الاستنباط والاستدلال[4].

---

(١) للاطلاع انظر: المصدر نفسه: ٣٦٥، فهرست كتب العلامة في أُصول الفقه.

(٢) آل قاسم، تطور حركة الاجتهاد: ٣٠٠.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) الشيخ الفضلي ـ تاريخ التشريع الاسلامي: ٣٧٥.

ثانيا: علم الحديث / دراية الحديث

كان المذهب السائد في الدور الأول والثاني من أدوار تطور الاجتهاد هو القول: بعدم جواز العمل بخبر الواحد المظنون صدروه عن المعصوم، وقد التزم بهذا المبنى الشيخ ابن ادريس «وقد سبقه إلى هذا كل من: ابن قبة، والشريف المرتضى، وابن البراج، وأبي المكارم بن زهرة، وأبي علي الطبرسي[1] وربما نسب إلى المفيد ذلك... بل وربما نسب إلى الشيخ... وكذا المحقق، بل إلى ابن بابويه»[2] إلّا انه برز من العلماء من يقول بحجية خبر الواحد الجامع لشرائط الحجية، وقد تنامى هذا الاتجاه من حيث اتّساع دائرة القائلين به، ومن حيث تنقيح وتنظيم البحوث المرتبطة بهذا الأصل المهم جدا في عملية الاستنباط[3].

كذلك في هذه المرحلة التاريخية ـ أواسط القرن السابع الهجري ـ التي انتهى اليها الفكر الفقهي الإمامي حيث اختفت القرائن التي كان الفقهاء يقيّمون الحديث من خلالها، من حيث القطع بصدوره، وعدمه، على هدى من معرفتهم لها.

هذه الأُمور وغيرها دعت إلى وضع منهج خاص لتقييم الأحاديث من حيث الإسناد، فظهر عندنا ظاهرة (تربيع الحديث) أي التصنيف الرباعي للحديث، حيث قسّم الحديث إلى أربعة أقسام:

١ ـ الصحيح. ٢ ـ الحسن. ٣ ـ الموثق. ٤ ـ الضعيف.

---

(١) تاريخ التشريع الإسلامي: ٣٤٧ ولاحظ معارج الأُصول فصل خبر الواحد. والذريعة ومقدمة التبيان. إلّا ان نسبة ذلك إلى الشيخ الطوسي لا يخلو من تأمل فمن تصانيفه رسالة في العمل بخبر الواحد وبيان حجيّته.

(٢) انظر: الأنصاري محمد أمين، فرائد الأُصول: ١ / ١٠٩، طبعة النعمان ١٩٩٢ م.

(٣) الحكيم السيد منذر، مراحل تطور الاجتهاد، مجلة فقه اهل البيت: ١٤ / ١٥٢.

وقد اختلف مؤرخو ذلك بين إسناد هذا التقسيم الرباعي للأخبار للسيد: جمال الدين أبي الفضائل أحمد بن طاووس (ت ٦٧٣ هـ) او إلى تلميذه العلامة الحلي (ت ٧٢٦ هـ). غير أن الرأي المشهور إسناده للسيد أحمد ابن طاووس[١].

يقول السيد الخوانساري في (روضات الجنات) وهو يترجم للسيد جمال الدين بن طاووس:

«... واخترع تنويع الاخبار إلى اقسامها الأربعة المشهورة، بعدما كان المدار عندهم في الصحة والضعف على القرائن الخارجية والداخلية لا غير، ثم اقتفى اثره في ذلك تلميذه العلامة، وسائر من تأخر عنه من المجتهدين إلى أن زيد عليها في المَجْلِسيَّن أقسام اخر»[٢].

ومهما يكن من أمر هذا التقسيم، فانه من ابتكارات مدرسة الحلة وحوزتها العلمية في هذه المرحلة من مراحل تطور الاجتهاد، «وتعتبر هذه الظاهرة تطويرا ملموسا في ميدان أدوات وأُصول الاستنباط، إذ تعبّر عن تنقيح الحديث وتنعكس على النتاج الفقهي بشكل مباشر، كما انعكست على كتب الحديث من حيث تصنيف أحاديثها على أساس القيمة الفقهية لكلّ حديث من حيث درجة اعتباره ومدى إمكان الاعتماد عليه في مجال الاستنباط»[٣].

---

(١) الفضلي الشيخ عبد الهادي، تاريخ التشريع الاسلامي: ٣٥٣.

(٢) انظر: الخوانساري، روضات الجنات: ١ / ٦٦، والعاملي الشيخ حسن زين الدين، التحرير الطاووسي: ٩، ط. مؤسسة الأعلمي ـ بيروت، ط. الأولى، (١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م)، والغريفي (السيد محي الدين)، قواعد الحديث: ١٥ ـ ١٦، ط. مطبعة الآداب ـ النجف، ط. الأُولى، (١٣٨٨ هـ).

(٣) أُنظر: مجلة فقه أهل البيت، مقال: مراحل تطور الاجتهاد: العدد ١٤، ص ١٥٢ ـ ١٥٣.

ثالثا: تدوين الحديث وعلم الرجال:

يعتبر علم الرجال ـ إلى جانب علم الدرايّة ـ من أهمّ الأدوات العلمية للفقيه خلال ممارسة عملية الاستنباط والاستدلال الفقهي.

ومن أجل تمييز الأحاديث التي يستند إليها في الاستدلال الفقهي متنا وسندا برزت الحاجة لهذين العِلْمين «الدراية والرجال».

وقد مرّ بنا اهتمام الشيخ الطوسي بعلم الرجال وتأليفه لكتابه الرجالي المعروف (رجال الطوسي) ولكن كانت محاولة الشيخ﵀ محاولة تأسيسية في هذا الميدان الذي لم يسبقه أحد فيه. وجاء دور العلامة الحلّي﵀ لينهض بهذا الأمر وضمن عقلية منهجية منظمة، ومن أجل ان يحقق هدف سلفه، وهو وضعَ الهيكل العلمي المتكامل لتطوير الفكر الفقهي الإمامي، وإعداد الوسائل الوافية للنهوض بعملية الاستنباط، من خلال اعداد العدة المتكاملة للمادة الفقهية اقوالاً وادلة، وطريقة استدلال.

ومما ألفه العلامة في علمي (الحديث والرجال) يدخل في هذا المجال التطويري لعملية الاجتهاد.

فبعد أن أَلَّفَ في علم الحديث مجموعة من المؤلفات القيمة والتي منها:

١ ـ كتاب استقصاء الاعتبار في تحقيق معاني الأخبار[1].

٢ ـ كتاب مصابيح الأنوار في جمع جميع الأخبار.

٣ ـ كتاب الدر والمرجان في الأحاديث الصحاح والحسان.

٤ ـ كتاب النهج الوضاح في الأحاديث الصحاح.

بعدها عكف على تأليف الكتب الرجالية حيث لاحظ «وجود حاجة ماسّة

---

(١) طبع هذا الكتاب بتحقيق جيد من قبل مؤسسة آل البيت.

لاستقراء رجال الحديث وفرز الثقات من غيرهم، تسهيلاً لعملية الاستنباط، كما لاحظ وجود أسماء مشتركة، يبقى اشتراكها عقبة في طريق الاستنباط، ومن هنا بدأت المحاولة الجادّة لتمييز الاسماء المشتركة التي تقع في طريق الاخبار...»[1].

وقد تجلى هذا الاهتمام في آثاره الرجالية من خلال:

١ ـ خلاصة الأقوال في معرفة أحوال الرجال.

«رتّبه على قسمين: الأول فيمن يعتمد عليه، والثاني فيمن يتوقف فيه»[2].

٢ ـ كشف المقال في معرفة أحوال الرجال.

«وهو الرجال الكبير، الذي يحيل إليه كثيرا في خلاصته...».

٣ ـ ايضاح الاشتباه في أسماء الرواة.

«في ضبط تراجم الرجال على ترتيب حروف أوائل الأسماء ببيان الحروف المركبة منها أسماؤهم وأسماء آبائهم، وبلادهم. وذكر حركات تلك الحروف»[3].

هذه أهمُّ الخصائص التي ميزت تراث مدرسة الحلة في مجال أُسُس الفقه الاجتهادي وأدواته. وكان لبعض فقهاء هذه المرحلة اهتمامات أُخرى بالعلوم والمعارف التي لها بعض المدخلية في بعض الأبواب الفقهية مثل: الرياضيات، وعلم الهيئة والفلك، وعلم المنطق، والفلسفة، والكلام، والنحو، وغيرها من العلوم التي تخدم المادة الفقهية. وهذا ما نجده واضحا في الآثار العلمية للخواجة نصيرالدين الطوسي، والعلّامة الحلّي، وآل طاووس.

---

(١) مجلة فقه أهل البيت، مقال: مراحل تطور الاجتهاد: العدد ١٤، ص ١٥٣.

(٢) الطهراني آغا بزرك، الذريعة: ٧ / ٢١٤.

(٣) المصدر نفسه.

المبحث الثاني: الفقه والنشاط الفقهي الاجتهادي لحوزة الحلة العلمية

لقد شهد الفقه والنشاط الفقهي في هذا الدور تطورا ملحوظا، فاق التطور الذي حصل في المراحل السابقة من حيث الكم أو من حيث الكيف، وهذا ما سوف نلاحظه في التراث الفقهي لمدرسة الحلة العلمية إذ نلاحظ:

أولاً: الاستقلال وعدم المحاكاة:

لقد لاحظنا في المرحلة السابقة حالة المحاكاة التي ابتلي بها الفقه الشيعي من خلال مسايرته للفقه السني، وهذه مسألة طبيعية في سياق البدايات؛ حيث إنَّ بداية انطلاق الفقهاء نحو التوسع في الفقه الاستدلالي والتفريعي، ومحاولة إثبات سعة الفقه الشيعي، بل تفوقه على الفقه الآخر، كانت بطبيعة الحال تعتمد على شيء من المحاكاة، وخاصة في عناوين المباحث وأدلّتها بما يتناسب مع الاتجاه الأُصولي الشيعي.

والذي نلاحظه في هذه المرحلة وخاصة في الفقه المدون للمحقق والعلامة (رحمهما اللّه) هو رفع اليد عن حالة المحاكاة التي لاحظناها في المرحلة السابقة.

وذلك «حينما أخذ الفقه الشيعي مساره الطبيعي وبدأ الفقهاء بتنقيح أُصول فقههم وأدوات استنباطهم، فكان من الطبيعي أن تنعكس النظرة المستقلة إلى الفقه الشيعي على النشاط الفقهي الشيعي أولاً، وتنتهي هذه النظرة إلى اجتناب المحاكاة مهما امكن ثانيا.

وهكذا بدأ النشاط الفقهي ينحو باتّجاه الاستقلال التامّ عن التأثّر بالفقه غير الشيعي، وانتج هذا الاتجاه فقها متميزا بأدواته ومناهجه ومصادره وعمليات استنباطه

ومدوّناته الفقهية مضمونا وشكلاً معا»[1].

ثانيا: تطور في المنهج والعرض للبحوث الفقهية:

نلاحظ في هذه المرحلة تطورا ملموسا في حقل تنظيم ومنهجة عرض البحوث الفقهية «فتأليف المحقّق الحلي لكتاب (الشرائع) حقق به مرحلة مهمة من مراحل التطوير في المتون الفقهية، وبخاصة عند مقارنته بكتاب (النهاية) للشيخ الطوسي، حيث لم يلتزم في تأليفه ذكر متون الأحاديث وألفاظها، ولأنّه أيضا أكثر فيه من التفريع وذكر الأقوال والاشارة إلى نتائج الأدلة، مما جعله يستقطب اهتمام الدارسين والباحثين والمؤلفين؛... كذلك اختصاره للشرائع في كتابه الذي اسماه (المختصر النافع).

«وبهذين الكتابين استطاع الشيخ المحقق أن ينقل التأليف الفقهي من وضعه ومنهجه الذي كان عليه عند جماعة الفقهاء والمحدثين، حيث الالتزام بمتون الأحاديث وألفاظها، إلى التأليف بالتعبير الحر»[2].

كذلك نلاحظ هذه المنهجية وجزالة الألفاظ في منهج العلامة الحلّي في كتاب (التبصرة) حيث اقتصر فيه على مجرد الفتوى مع العرض الميسر، والأُسلوب السهل، مراعاة لمستوى المتعلمين حيث يبدأون به.

ثالثا: ظهور الموسوعات الفقهية الاستدلالية:

واثمرت هذه النظرة الاستقلالية للفقه ومستلزماته ظهور موسوعات فقهية استدلالية ضخمة أثْرَت الفقه الإمامي، ونهضت بالفقه الاستدلالي إلى مرتبة عالية من حيث

---

(١) مجلة فقه أهل البيت، مقال: مراحل تطور الاجتهاد: العدد ١٤، ص ١٥٤.

(٢) الفضلي (الشيخ عبد الهادي)، تاريخ التشريع الإسلامي: ٣٥٦ ـ ٣٥٧.

المستوى العلمي، ومن حيث حجم البحوث الفقهية وتنوعها واستيعابها، إلى جانب التنقيح والتهذيب للمباحث الفقهية الموروثة.

ويلمس الباحث هذه الخصوصية في الموسوعات الفقهية التي دونها العلّامة الحلي﵀ من قبيل: المختلف، والتذكرة، والمنتهى وغيرها.

كما نلاحظ ذلك في الآثار العلمية لعلماء هذه المرحلة.

رابعا: تطور الفقه المقارن:

وقد تطوّر في هذا الدور الفقه المقارن ـ الذي كانت بداياته مع إبداعات الشيخ الطوسي العلمية وكتابه القيم (الخلاف) ـ تطورا ملحوظا سواء من حيث كيفية العرض، أو من حيث المحتوى العلمي والاستدلال.

والمتتبع للآثار العلمية لهذه المرحلة يجد في مجال الفقه المقارن عدّة مستويات من البحث المقارن، كما هو واضح في آثار العلامة الحلي أعلى اللّه مقامه.

فقد وضع﵁ قد وضع بين يدي العلماء والمحققين والمتطلعين إلى سموِّ مرتبة الاجتهاد المطلق مجموعة فقهية متكاملة في الفقه المقارن، منها:

١ ـ كتاب مختلف الشيعة إلى أحكام الشريعة:

وعرَّفه في كتابه (الخلاصة) بقوله «ذكرنا فيه خلاف علمائنا خاصة وحجة كل شخص والترجيح لما نصير إليه» وقد اوضح﵁ الغرض من كتابه، وما دعاه إلى تأليفه[1].

---

(١) العلامة الحلي الحسن بن يوسف، مختلف الشيعة، الطبعة الحديثة، المجلد الأول، خطبة الكتاب، طبعة مركز البحوث والدراسات ـ مشهد ـ ايران.

٢ ـ كتاب تذكرة الفقهاء:

قال في خطبة الكتاب مبينا موضوعه والغاية من تأليفه: «قد عزمنا في هذا الكتاب الموسوم بـ (تذكرة الفقهاء على تلخيص فتاوى العلماء)، وذكر قواعد الفقهاء،... واشرنا بكل مسألة إلى الخلاف، واعتمدنا في المحاكمة بينهم طريق الانصاف»[١].

وتسميته بـ (تذكرة الفقهاء) يشير إلى هذا، ذلك ان (التذكرة) عند القدامى تعني الكتاب الذي يحتوي ما يحتاجه العالم في مجال تخصصه.

فهو أراد أن يضع بين يدي الفقهاء من الامامية ما يحتاجون إلى معرفته من أقوال غير الشيعة في المسائل الخلافية، وأدلة تلك الأقوال، وطريقة المناقشة للأقوال ومحاكمة الأدلة»[٢]. ولهذا يعدّ من كتب الفقه الخلافي.

٣ ـ كتاب ـ منتهى المطلب في تحقيق المذهب:

عرّفه في كتاب (خلاصة الأقوال) بقوله: «ذكرنا فيه جميع مذاهب المسلمين في الفقه، ورجحنا ما نعتقده بعد ابطال حجج من خالفنا فيه»[٣].

«وهذا يعني أن الكتاب من كتب الفقه المقارن: هدف المؤلف من تأليفه أن يكون رائد الباحث الامامي معرفة الحق في المسألة الفقهية، وهذا لا يتأتى إلّا بوضع كتاب

---

(١) العلامة الحلي الحسن بن يوسف، تذكرة الفقهاء: الطبعة الجديدة / المجلد الأول: خطبة الكتاب، طبعة مؤسسة آل البيت.

(٢) الفضلي، تاريخ التشريع الإسلامي: ٣٧٢.

(٣) العلامة الحلي ـ خلاصة الأقوال في معرفة الرجال: ١٤ مقدمة المحقق، ط. نشر الفقاهة، قم، ط. الأولى، ١٤١٧ هـ.

في الفقه المقارن»[1].

والذي يبدو أنَّ السبب في بروز كتب الفقه المقارن في هذه المرحلة هو البعد النسبي عن عصر النص وامتداد عصر الغيبة الكبرى، حيث ظهرت الاختلافات بين علماء الشيعة في حدود الأدلة وخاصة الروائية منها، والتي يستند إليها في الاستنباط الفقهي من حيث دلالتها وسندها، كذلك بروز مسائل وحالات مستحدثة تستوجب الاجابة عنها على ضوء القواعد العامة، فمن الطبيعي أن يبادر العلماء من أمثال العلامة﴿رحمه الله﴾ إلى اغناء مجال البحث والاستنباط الفقهي بمثل هذه المؤلفات القيمة.

وظاهرة بروز أبحاث الفقه المقارن في الفقه الامامي من الظواهر الإيجابية جدا الدالة على تقدم وسمو الفقه الامامي نفسه، حيث نلاحظ ذلك جليا في المراحل اللاحقة.

ولم تتوقف عملية التأليف في الفقه المقارن عند حدود تأليفات العلامة الحلّي﴿رحمه الله﴾ وإنما سار على نفس الطريق من بعده، جملة من الأعلام، حيث جاء بعد العلامة المحقق الآبي، وفخر المحققين ـ ولد العلامة ـ فنقلوا الفقه المقارن نقلة متميزة فقارنوا بين آراء علماء الشيعة واعملوا فيها النقد والابرام مكان آراء علماء السنة[2].

خامسا: تدوين القواعد الفقهية:

لم تشهد المراحل السابقة أي مؤلف مستقل في موضوع (القواعد الفقهية) وإنما كانت هذه القواعد مبثوثة في ضمن المباحث الفقهية.

ولهذه القواعد الفقهية أهميتها في عالم الاستنباط وممارسة الاستدلال الفقهي

---

(١) الفضلي ـ مصدر سابق: ٣٧٢.

(٢) جامع المقاصد ـ المقدمة: ١ / ٢٠، طبعة مؤسسة آل البيت لاحياء التراث ـ قم.

الاجتهادي، حيث يستند إليها في كثير من ابواب ومباحث الفقه، مثل، قاعدة الطهارة، والحلية، والتجاوز، والفراغ، كذلك قاعدة اليد، والملكية.. وغيرها الكثير من هذه القواعد[١].

وأول مؤلف في موضوع «القواعد الفقهية» عند الامامية هو كتاب «القواعد والفوائد» للشهيد الأول[٢] حيث احتوى الكتاب على ما يقرب من ثلاثمائة وثلاثين قاعدة إضافة إلى فوائد تقرب من مائة فائدة عدا التنبيهات والفروع، وهي جميعا قد استوعبت أكثر المسائل الشرعية.

«ومنهج المصنف في هذا الكتاب هو: انه يورد القاعدة او الفائدة ثم يبين ما يندرج تحتها من فروع فقهية وما قد يرد عليها من استثناءات إن كان هناك استثناء لها...»[٣].

ومن بعد الشهيد الأول واصل تلميذه «الفاضل المقداد السيوري» (ت ٨٢٦ هـ) طريق استاذه في التأليف والترتيب والتنسيق للقواعد الفقهية، ومن آثاره في هذا المجال:

١ ـ جامع الفوائد في تلخيص القواعد.

وهو اختصار لكتاب (القواعد والفوائد) لأُستاذه الشهيد الأول[٤].

٢ ـ نضد القواعد الفقهية على مذهب الامامية.

---

(١) للتوسع ـ انظر: القواعد والفوائد للشهيد الأول، ونضد القواعد الفقهية للمقداد السيوري، وموسوعة القواعد الفقهية للسيد البجنوردي.

(٢) وهو من تلامذة مدرسة الحلة حيث تتلمذ عند فخر المحققين كما سوف يأتينا لاحقا عند الحديث عن مدرسة جبل عامل.

(٣) العاملي (الشهيد الأول، شمس الدين محمد جمال الدين مكي)، القواعد والفوائد: ١ / ٢٠ مع تحقيق ومقدمة الدكتور السيد عبد الهادي الحكيم‌ؒ ط. افست منشورات المفيد ـ قم.

(٤) الشيخ الفضلي ـ تاريخ التشريع الإسلامي: ٣٧٨.

عرّفه الخوانساري في (الروضات) بقوله: «وهو كتاب بديع رتب فيه قواعد شيخه الشهيد على ترتيب أبواب الفقه والأُصول من غير زيادة شيء على أصل ذلك الكتاب، غير ما رسمه في مسألة القسمة منه»[1].

وظاهرة تدوين القواعد الفقهية وإفرادها بالتصنيف بعد استخراجها من بطون المباحث الفقهية من الظواهر المتقدمة في حقل النشاط الفقهي.

سادسا: تطوّر بحوث الفقه المعاملي:

من خلال التطور الكبير الذي حظي به علم الأُصول في هذه المرحلة، إلى جانب تدوين القواعد الفقهية، فقد توسعت الأبحاث الفقهية في مجال المعاملات وتطورت تطورا ملموسا في هذه المرحلة، وشهد الفقه المعاملي توسعا في أبحاثه، وعمقا علميا مبتنيا على القواعد والأُصول الاستدلالية في عملية الاجتهاد والاستدلال الفقهي.

أما في العبادات فحيث إنَّ العبادات توقيفية من جميع الجهات، مواقيتها وعددها، وأجزائها وشروطها، وكيفية امتثالها، فقد لوحظ في تشريعها وفقهها ما يطرأ من تغيرات وتقلبات على المكلف من حيث المكان والظروف والإمكانات ووضعت الصيغ الفقهية المناسبة لكلِّ حالة من حالات الضرورة والطوارئ، حسب ما تقتضيه الأدلة الشرعية الواردة في باب العبادات. ولهذا لم يحصل ذلك التطور أو التغير في قسم العبادات من أبواب الفقه.

فالعبادات ثابتة لا تغيير فيها ولا تبديل، ولا مجال فيها للاجتهاد من حيث شروطها ومواقيتها وكيفيتها واعدادها، وما فيها من خلافات بين الفقهاء لا يتعدى تفصيلات

---

(١) المقداد السيوري، كنز العرفان في فقه القرآن ـ المقدمة، تقديم البهبودي:١ / ١٤، ط. انتشارات مرتضوي ـ طهران، (بلا ـ ت).

بعض الشروط والهيئات والأجزاء.

«وأما المعاملات ـ بالمعنى الأوسع ـ فانها تشريعات متقلبة متغيرة لا تستقرُّ على هيئة واحدة، وخاصّة ما يتعلق من ذلك بالنواحي التنظيمية للمجتمع، وكافة انشطته السياسية والاقتصادية والزراعية والصناعية... وما يتصل بالثروات العامة... وغيرها»[1].

ومن جهة أُخرى فإنَّ مبدأ ـ التعبد الشرعي ـ المقتضي للجمود على النص، معلوم الثبوت في باب العبادات فقط، وأمّا في أبواب المعاملات بالمعنى الأعم، فان «التعبد الشرعي» غير معلوم الثبوت.

ولهذا شهد تطورا وتوسعا في أبحاثه في هذا المجال، ونظرة تأملية لقسم المعاملات من كتاب الشرائع للمحقق، أو الكتب الفقهية الموسوعية للعلامة، تعطينا فكرة جيدة عن سعة هذا التوسع وعمقه الفقهي والاستدلالي.

سابعا: تطوّر وعمق الفقه الاستدلالي:

لقد بلغ الفقه الاستدلالي قمة ذروته العلمية في هذه المرحلة، وذلك من خلال ما حققه المحقق الحلّي، والعلامة، وفخر المحققين، حيث جسدت آثارهم الفقهية الاستدلالية العمق والدقة والابتعاد الكامل عن منهج الفقه غير الامامي[2].

ومن الآثار العلمية المهمة في مجال الفقه الاستدلالي في هذه المرحلة:

١ ـ تأليف المحقق الحلي لكتاب (المعتبر) الذي يعد ثاني كتاب استدلالي بعد كتاب (المبسوط) للشيخ الطوسي، ذلك ان كتاب (السرائر) للشيخ ابن ادريس يقع

---

(١) شمس الدين محمد مهدي، الاجتهاد والتجديد: ١٢٧، (مصدر سابق).

(٢) مراحل تطوّر الاجتهاد: ١٤ / ١٥٦ بتصرف.

بين الكتاب الاستدلالي والكتاب الفتواني[1].

وأبان المحقق الحلي في مستهل كتابه، غايته من تأليفه، وعن منهجه في تأليفه، فقال: «احببت أن اكتب دستورا يجمع أصول المسائل وأوائل الدلائل، اذكر فيه خلاف الاعيان من فقهائنا ومعقد الفضلاء من علمائنا، وألحق بكل مسألة من الفروع ما يمكن اثباته بالحجة، وسياقته إلى المحجة...»[2].

ثم قدم المحقق ضمن مقدمته لكتاب المعتبر مقدمة في فصول، ضمّن الفصل الأول منها وصيته وتعليماته لمن يريد أن يتعامل مع كتابه هذا، وكأنّه﵀ كان مدركا لما قد يتعرض له كتابه هذا من مواقف سلبيه من قبل جماعة الفقهاء المُحدِثين والمترددين بين الاقدام والإحجام نحو هذا التطوير في منهج البحث الفقهي، وكذلك ما سوف يواجهه من قبل المقلدة، الذين جمّدوا ذهنياتهم الفقهية عن التفكير بقيمة التطوير في المنهج الفقهي[3].

٢ ـ وواصل العلامة الحلي﵀ نفس المنهج الاستدلالي في الفقه من خلال آثاره العلمية والتي من أهمها في هذا المجال كتاب (التذكرة، والمختلف والمنتهى...) حيث تطوّر في عصره الفقه الاستدلالي، ثمّ سما إلى ذروته العلمية من خلال جهود المحقق الكركي والمقدس الأردبيلي وتلامذتهم في حوزة النجف الأشرف في دورها الثاني.

ويعتبر الكتاب الفقهي (جامع المقاصد) الذي شرح فيه المحقق الكركي قواعد العلامة الحلّي من أمهات الكتب المراجع في الفقه الاستدلالي.

---

(١) الشيخ الفضلي، تاريخ التشريع الاسلامي: ٣٥٧.

(٢) المحقق الحلي ـ المعتبر في شرح المختصر ج ١، المقدمة.

(٣) الفضلي، تاريخ التشريع الإسلامي: ٣٥٧ ـ ٣٥٨.

ثامنا: التقسيم الرباعي لأبواب الفقه:

مما امتاز به المحقق الحلّي هو منهجته العلمية الفذة، وظهرت آثار هذه المنهجية في كتبه وآثاره العلمية، وخاصة كتابه المعروف باسم «شرائع الاسلام» حيث امتاز هذا الكتاب، بالأُسلوب السَلِس، والعبارة المشرقة، والمنهجية الفذة في البحث، والموضوعية في العرض، فهو كما يقول صاحب الذريعة عنه «من أحسن المتون الفقهية ترتيبا، وأجمعها للفروع...»[1].

ومن أهمِّ ما يمكن أن نلاحظه في كتاب الشرائع هو المنهجية الجديدة التي اتبعها المحقق الحلي في تقسيم أبواب الفقه حيث قسمها إلى أقسام أربعة: عبادات، وعقود، وإيقاعات، وأحكام، ثم تقسيم كل واحد منها، إلى مجموعة من الكتب، بحيث تشترك المجموعة الواحدة بقاسم مشترك أعظم، يقسم أجزاء ذلك القسم.

ومن جهة ثالثة: فإن الكتاب الواحد، هو الآخر أيضا، غالبا ما يوزّع على شكل أركان، أو فصول أو مقدمات، أو أطراف أو نظرات.

ثم انه بعد هذا كلّه، التزم بقاعدة معينة في ترتيب الأحكام، حيث ابتدأ بالواجب في كل قسم، وأتبعه بالندب، وبعده بالمكروه، وأخيرا بالمحرّم إن وجد[2].

وهذه المنهجية في الواقع تطوير جديد في التدوين الفقهي الذي سار عليه الفقهاء ممن سبق المحقق في تأليف المتون الفقهية.

فعندما نلاحظ تقسيمات الفقهاء لفروع علم الفقه وابوابه نجد مثلاً:

---

(١) الطهراني آغا بزرك، الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ١٣ / ٤٧ ـ ٤٨، (مصدر سابق).

(٢) شرائع الإسلام ١ / ن ـ س، مقدمة الاستاذ المحقق عبد الحسين البقال طبعة الآداب، النجف، ١٩٦٩م.

القاضي ابن البرّاج (ت ٤٨١ هـ) قد قسم الأحكام الشرعية في (المهذّب)[1] إلى قسمين:

١ ـ ما هو مورد ابتلاء. ٢ ـ ما ليس مورد ابتلاء.

وقسم ابو الصلاح الحلبي (ت ٤٤٧ هـ) الأحكام الشرعية إلى ثلاثة أقسم[2]:

١ ـ العبادات. ٢ ـ المحرمات. ٣ ـ الأحكام.

وفي تقريب المعارف قَسَّمَ التكاليف الشرعية إلى قسمين:

١ ـ الافعال. ٢ ـ التروك.

إما سلّار بن عبد العزيز الديلمي (ت ٤٤٨ هـ) فقد قسم الفقه إلى قسمين:

١ ـ عبادات. ٢ ـ ومعاملات.

ثم قسّم المعاملات إلى قسمين:

١ ـ عقود. ٢ ـ وأحكام.

وقسم الأحكام إلى: الأحكام الجزائية وسائر الأحكام[3].

وهكذا سار كل فقيه على الطريقة والمنهج الذي يراه مناسبا لعرض الموضوعات الفقهية. فموضوع العبادات وعددها في الكتب الفقهية نجدها تختلف من فقيه إلى

---

(١) انظر ابن البراج (ابو القاسم، عبد العزيز بن البحر الطرابلسي)، المهذب: ٤ / ١٢٣، ط. مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ـ قم، (١٤٠٦ هـ).

(٢) انظر الحلبي ابو الصلاح، تقي الدين، الكافي في الفقه: ١ ـ ٢ تحقيق: رضا استاذي، ط. منشورات أمير المؤمنين ـ اصفهان ـ ايران، (١٤٠٣ هـ) وتقريب المعارف: ٢١٩، تحقيق: رضا استاذي، ط. مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم، (١٤٠٤ هـ).

(٣) سَلّار (حمزة بن عبد العزيز الديلمي)، المراسم في الفقه الإمامي: ٢٨، تحقيق: د. محمود البستاني، ط. الأولى، (١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م)، افست الحرمين ـ قم، (بلا ـ ت).

آخر سعة او ضيقا. فقد عدّ الشيخ الطوسي، وابن زهرة اقسام العبادات خمسة[1]، وأما سلّار فقد عدها في مراسمه ستة[2]، وابو صلاح الحلبي وابن حمزة عشرة[3] ويحيى بن سعيد عدّها خمسة واربعين[4].

وعلى إثْر ذلك ألف المحقق الحلي كتابه القيم (شرائع الإسلام) فقسَّم أبواب الفقه إلى أربعة اقسام:

١ ـ العبادات. ٢ ـ العقود. ٣ ـ الإيقاعات. ٤ ـ الأحكام.

وتلقى الفقهاء هذا التقسيم الرباعي لأبواب الفقه بالقبول، وساروا على نفس المنهج والتقسيم، كما نلاحظ ذلك في منهج العلامة، والشهيدين، وغيرهم ممن جاء بعد المحقق الحلي.

أما التوجيه العلمي لهذا التقسيم الذي تبناه المحقق، ووجه حصر الفقه بهذه الأبواب الأربعة، فقد وجه ذلك الشهيد الأول في قواعده بما يلي:

«ووجه الحصر: أن الحكم الشرعي إما أن تكون غايته الآخرة، او الغرض الأهم منه الدنيا، والأول: العبادات. والثاني: إما أن يحتاج إلى عبارة، أو لا. والثاني: الأحكام. والثاني: إما ان تكون العبارة من اثنين ـ تحقيقا أو تقديرا ـ أو لا. والأول: العقود،

---

(١) الطوسي محمد بن الحسن، الاقتصاد: ٢٣٩ وابن زهرة (حمزة بن علي الحلبي)، غنية النزوع إلى علمي الأُصول والفروع، تحقيق: إبراهيم البهادري، ط. منشورات الإمام الصادق ـ قم، (١٤١٧ هـ).

(٢) المراسم: ٢٨، مصدر سابق.

(٣) الكافي: ١١٣، مصدر سابق، وابن حمزة (عماد الدين محمد بن علي)، الوسيلهإلى نيل الفضيلة، تحقيق: محمد الحسون، ط. منشورات مكتبة المرعشي ـ قم، (١٤٠٨ هـ).

(٤) الحلبي يحيى بن سعيد، نزهة الناظر في الجمع بين الاشباه والنظائر، ط. مطبعة الآداب ـ النجف، (١٣٨٦ هـ).

والثاني: الإيقاعات»[1].

وقد تطورت هذه التقسيمات بعد المحقق الحلي وخاصة في المدونات الفقهية الحديثة[2] ولكن تبقى الريادة والابداع للمحقق الحلّي‌رحمه الله.

(١) الشهيد الأول: القواعد والفوائد، القاعدة الثانية: ١ / ٣٠ تحقيق عبد الهادي الحكيم. وانظر: المقداد السيوري ـ التنقيح: ١ / ١٤، وحاشية الشرائع، ط. الحجرية، المجلد الأول.

(٢) أُنظر، الصدر السيد محمد باقر، الفتاوى الواضحة وفقا لمذهب أهل البيت: ١ / ١٣٢، ط. دار التعارف للمطبوعات ـ بيروت، ط. السابعة، (١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م).

الفصل الرابع: الملامح العامة لمدرسة الحلة العلمية

المبحث الأول: الدور السياسي لحوزة الحلة العلمية

لقد عاصرت حوزة الحلة العلمية، أحداثا سياسية هامة، شهدها العالم الإسلامي، وكانت لها تأثيراتها الكبرى في رسم الخارطة السياسية، وعلى شبكة العلاقات والولاء والانتماء السياسي للدول التي كانت الدولة العباسية تحكمها مباشرة؛ أو تبسط بعض نفوذها عليها.

وكان لحوزة الحلة العلمية وفقهائها وعلمائها دورهم الفاعل والمؤثر في سير هذه الأحداث وتوجيهها، من خلال جملة من المواقف التي يمكن تلخيص بعض مفرداتها بما يلي:

أولاً: انشاء الامارة المزيدية:

لقد تحدثنا سابقا عن ظهور الدولة المزيدية في أطراف الحلة، ثمّ تأسيسهم لمدينة الحلة عام (٤٩٥ هـ) على يد سيف الدولة صدقة بن بهاء الدولة المزيدي والذي «يعدّ أكبر حكّام هذه الامارة، وقد أخضع المناطق الجنوبية العراقية لسيطرته، وبلغ تأثير نفوذه على عاصمة الخلافة بغداد نفسها»[1].

لقد فرضت امارة بني مزيد الشيعية نفسها على الواقع السياسي الحاكم آنذاك، وأول من اعترف بوجودها في المنطقة هم البويهيون الذين كانت بيدهم مقاليد الأُمور في الدولة العباسية، ثم بلغت الامارة المزيدية اوج استقلالها الكامل في عهد قوة

---

(١) القزويني ـ جودت، تاريخ المؤسسة الدينية: ٧٣.

الدولة السلجوقية.. متخذين من مدينة الحلة عاصمة لامارتهم.

وكانت هذه الامارة الشيعية تحضى برعاية الفقهاء والعلماء والأسر العلمية الذين تتلمذ بعضهم على يد فقهاء حوزة النجف في دورها الأول، والتي بدورها قد رفدت حوزة الحلة حيث انتقل قسم من فقهائها إليها، ونقلوا أفكارهم معهم.. ثم النمو المتزايد لنفوذ الأُسر التي سكنت الحلة؛ انتج فقهاء كانوا حلقة الوصل بين المدرستين[١] (النجفية والحلية).

ويمكن الاشارة في هذا المجال إلى أُسرة (آل نما) العلمية، والتي عاصر بعض فقهائها ظهور الامارة المزيدية وما تلاها من أزمنة، حيث يستظهر صاحب الروضات أن يكون جدُّ هذه الأُسرة الكريمة (نما بن علي الربعي) قد عاصر عهد أبي علي الحسن بن الشيخ الطوسي، ويروي عنه مباشرة[٢].

ومن علماء هذه الأُسرة الشيخ أبو البقاء هبة اللّه بن نما بن علي بن حمدون الربعي الحلي، وهو يروي بالاجازة عن الحسين بن أحمد بن طحال المقدادي (أحد علماء النجف) بتاريخ (٥٢٠ هـ) فيقول في سند روايته: «.. حدثني الشيخ العالم أبو عبد اللّه الحسين بن طحال المقدادي المجاور بالحائر، قراءة عليه بمشهد مولانا أمير المؤمنين عليه السلام سنة عشرين وخمسمائة، قال: حدثنا الشيخ المفيد أبو علي الحسن بن محمد الطوسي..»[٣]

وهناك أسماء لامعة أُخرى من هذه الأُسرة كان لها دورها في هذه الحقبة، بالاضافة إلى أُسر علمية أُخرى كأُسرة آل بطريق، وأُسرة النقيب العلوي أُسامة الذي ولّي النقابة

---

(١) القزويني ـ جودت، تاريخ المؤسسة الدينية: ٦٩.

(٢) الخوانساري، روضات الجنات: ٢ / ١٨٠.

(٣) المرجع نفسه: ٢ / ١٨٠.

العلوية في الحلة سنة (٤٥٢ هـ)[١]. وأُسرة آل طاووس، وهم سادة نقباء فقهاء.. وأول من تولّى النقابة منهم جدّهم أبو عبد اللّه محمد الملقب بالطاووس في منطقة (سُورا)، وهي من المناطق التابعة لمدينة الحلة[٢].

ثانيا: حفظ الحلة والمشهدين من الغزو المغولي:

لقد عاصرت الحوزة العلمية في الحلة في بدايات ظهورها العلمي الدولة البويهية حتى سقوطها بيد السلاجقة (٤٤٧ هـ)، ثم عاصرت الدولة السلجوقية إلى حين انحلالها وسقوطها عام (٥٧٥ هـ)، وسايرت الدولة العباسية التي استعادت بعض نفوذها الذي فقدته في فترة حكم البويهين والسلاجقة والتي تمتد خلال النصف الأول من القرن السابع الهجري والتي حكم فيها آخر أربعة من خلفاء بني العباس، وهم على التوالي:

١ ـ الناصر لدين اللّه الذي توفي عام (٦٢٢ هـ)، وكانت خلافته ستا وأربعين سنة وعشرة أشهر[٣].

٢ ـ الظاهر بأمر اللّه، الذي توفي عام (٦٢٣ هـ)، فكانت خلافته تسعة أشهر وأربعة وعشرين يوما[٤].

٣ ـ المستنصر بأمر اللّه، الذي توفي عام (٦٤٠ هـ)[٥].

---

(١) القزويني، المؤسسة الدينية: ٧٠.

(٢) المرجع نفسه: ٧١.

(٣) ابن الأثير ـ عز الدين أبي الحسن، الكامل في التاريخ: ١٢ / ٤٣٨ ـ ٤٣٩، طبعة دار صادر ـ بيروت، ١٩٨٢ م.

(٤) المصدر نفسه: ١٢ / ٤٥٦.

(٥) المصدر نفسه: ١٢ / ٤٥٨.

٤ ـ المستعصم بالله، الذي قتل على يد هولاكو عام (٦٥٦ هـ).

وبالغزو المغولي للعراق عام (٦٥٦ هـ) سقطت الدولة العباسية، ووجد فقهاء الشيعة أنفسهم امام تجربة جديدة لم تتح لهم من قبل، وذلك بفضل الظروف الجديدة التي عصفت بعد سقوط الدولة العباسية..[1]، ووجدوا أنَّ الخطر محدق بهم وبمدينتهم الحلة وما جاورها من المدن التي لها قدسيتها ومكانتها الدينية ككربلاء والنجف والكوفة، فما كان منهم إلّا المبادرة بالقيام بخطوة سياسية لدرء الخطر عنهم كما في رواية العلّامة الحلي التي يقول فيها: «ولما وصل هولاكو إلى بغداد، قبل أن يفتحها، هرب أكثر أهل الحلة إلى البطائح، ولم يبق منها إلّا قليل، فكان من أُولئك القليل والدي يوسف بن المطهر، والسيّد مجد الدين بن طاووس، والفقيه ابن أبي العز، فأجمع رأيهم على مكاتبة هولاكو بأنهم مطيعون، وانفذوا به شخصا أعجميا، فأنفذ السلطان إليهم فرمانا مع شخصين.. وقال هولاكو لهما قولا لهم: «إن كانت قلوبكم كما وردت كتبكم تحضرون إلينا»، فجاء الأميران، فخافوا لعدم معرفتهم بما ينتهي إليه الحال، فقال والدي: إن جئت وحدي كفى؟ فقالا: نعم، فأُصعد معهما، فلما حضر بين يدي السلطان ـ وكان ذلك قبل فتح بغداد ـ فقال هولاكو: كيف قدمتهم على مكاتبتي والحضور عندي قبل أن تعلموا ما يؤول إليه أمري وأمر صاحبكم؟ وكيف تأمنون إذا صالحني ورجعت عنه؟ فقال والدي: إنما أقدمنا على ذلك لما رويناه عن علي عليه السلام في خطبته الزوراء، قال: وما أدراك ما الزوراء؟ أرض ذات أثل، يشتد فيها البنيان، ويكثر فيها السكان، ويكون فيها مهازم.. فعند ذلك الضم العميم والبكاء الطويل لأهل الزوراء من سطوات الترك، وهم قوم صغار الحدق، وجوههم كالمجان

---

(١) القزويني، المؤسسة الدينية: ٧٥.

المطرقة، لباسهم الحديد، جرد مرد، يقدمهم ملك جهوري الصوت، قوي القلب، عالي الهمة، لا يمر بمدينة إلّا فتحها، ولا ترفع عليه راية إلّا نكسها، الويل لمن ناواه، فلا يزال كذلك حتى يظفر». فلما وصف لنا ذلك وجدنا الصفات فيكم، رجوناك فقصدناك.

فطيب هولاكو قلوبهم، وكتب لأهل الحلة فرمانا باسم والدي يطيب فيه قلوب أهل الحلة وأعمالها. وكان ذلك سبب سلامة أهل الحلة والكوفة والمشهدين من القتل»[1] وفي بعض المرويات التاريخية تذكر وفود بعض العلويين والفقهاء يصحبهم مجد الدين ابن طاووس العلوي. ويمكن أن يكون هذا الوفد قد وفد على هولاكو بعد مقابلة يوسف بن المطهر ـ والد العلّامة الحلي ـ له.

ومهما يكن من أمر؛ فقد استطاع فقهاء الحلة وعلماؤها أن يدفعوا الخطر المحدق بالمنطقة من خلال هذا التدبير السياسي الذي ينسجم مع الظروف الموضوعية الحاكمة وروح السياسة في وقتهم، كما يقول مؤرخ الحلة المتتبع الشيخ يوسف كركوش.

ثالثا: صدور فتوى تفضيل الكافر العادل، على المسلم الظالم:

وهذه أيضا من القضايا السياسية التي كان لعلماء الحلة دور بارز فيها، وخلاصة هذه الفتوى الشهيرة كما يذكرها المؤرخون كما يلي: «عندما فتح السلطان هولاكو خان بغداد عام (٦٥٦ هـ) أمر أن يستفتى العلماء أيهما أفضل: السلطان الكافر

(١) العلّامة الحلّي، كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين: ١٠١ ـ ١٠٢، طبعة مجمع احياء الثقافة الإسلامية، وللمقارنة أُنظر، الحوادث الجامعة المنسوب لابن الفوطي، حوادث سنة ست وخمسين وستمائة: ٣٦٠، وجامع التواريخ لرشيد الدين الخطيب: ٢٢٩، طبعة دار النهضة ـ بيروت.

العادل، أم السلطان المسلم الجائر؟! ثم جمع العلماء في المدرسة المستنصرية، فلمّا وقفوا على الفُتيا أحجموا عن الجواب. وكان رضي الدين علي ابن طاووس حاضرا، وكان مقدّما محترما، فلمّا رأى أحجامهم تناول الفتيا، ووضع خطّه فيها «بتفضيل العادل الكافر على المسلم الجائر»، فوضع الناس خطوطهم بعده»[1].

واستطاعت هذه الفتوى من العالم العلوي الحلي من آل طاووس ان تحفظ البقية الباقية من علماء بغداد ومن مدرسي وأساتذة المدرسة المستنصرية، وهي فتوى شرعية لها مستندها العقلي عند العلماء.

رابعا: المساهمة في الأُمور العامة للدولة:

لم يكن موقف علماء الحلة من العهد الجديد الذي تشكل بعد الفتح المغولي لبغداد وسقوط الدولة العباسية، بالموقف السلبي والرافض لكل اشكال المشاركة في أُمورها العامة، وإنما اتسمت مواقفهم بالحكمة وبعد النظر، ولهذا تجدهم قد شاركوا في بعض الأُمور الاجتماعية والادارية والتي تصب في الصالح العام والمنافع المشتركة للأُمة؛ ومن هذه الأُمور:

١ ـ تولي النقابة العامة:

وهو منصب شريف تولاه والد الشريفين الرضيين، ثم ولداه الرضي والمرتضى ثم أولادهما وأحفادهما..، إلّا أن هذا المنصب قد تجنبه فقهاء الشيعة بعد سقوط الدولة البويهية ومجيء السلاجقة، إذ إنهم «لم ينفتحوا على مراكز الدولة، ولم يورطوا أنفسهم بالدخول في مسالكها، وقد رفض بعضهم تقلّد المناصب التي تقلّدها فقهاؤهم في زمن الدولة البويهية، كمنصب نقابة الطالبيين.. وقد تغير موقف الفقهاء

(١) ابن طقطقا ـ الفخري في الآداب السلطانية: ١٧.

في النصف الثاني من القرن السابع الهجري بعد الغزو المغولي للعراق عام (٦٥٦ هـ)، وسقوط الخلافة العباسية، ووجد الفقهاء أنفسهم أمام تجربة جديدة لم تتح لهم من قبل.. حتى قَبِل رضي الدين علي بن موسى بن طاووس تولّي منصب نقابة الطالبيين سنة (٦٦١ هـ)، وكان قد رفضه مرات عديدة نهاية العصر العباسي»[١].

كذلك تولى ابن أخيه مجد الدين بن عز الدين نقابة البلاد الفراتية.. وهو الذي خرج إلى هولاكو، وصنّف له كتاب البشارة وسلّم الحلة والكوفة والمشهدين الشريفين من القتل والنهب، ورد إليه النقابة بالبلاد الفراتية وحكم في ذلك قليلاً ثم مات[٢].

٢ ـ تولي القضاء:

كذلك نجد هنالك من تولى القضاء وفضّ الخصومات في تلك الظروف التي كثرت فيها الدعوى القضائية، حيث تولى القضاء تاج الدين محمد بن محفوظ الحلي[٣].

٣ ـ تولى الوزارة:

فقد تولى ابن العلقمي محمد بن أحمد مؤيد الدين الأسدي، الوزارة في الدولة التي تشكلت بعد سقوط بغداد، إلّا أنه سرعان ما توفي في سنة (٦٥٦ هـ) فأمر هولاكو أن يكون ولده عز الدين مكانه.. وابن العلقمي من علماء وفقهاء الحلة، يصفه ابن الفوطي في كتابه تلخيص مجمع الآداب بقوله: «ابن العلقمي الأسدي الفقيه الوزير من بيت السؤدد والفضل.. كان كاتبا كاملاً فصيح الانشاء كثير المحفوظ.. قرأ على الصنعاني، دواوين العرب، واشتغل بالفقه على الشيخ نجيب الدين بن نما

---

(١) القزويني ـ جودت، تاريخ المؤسسة الدينية: ٧٥.

(٢) ابن الفوطي في الحوادث الجامعة: ٣٣١ وكركوش ـ يوسف، تاريخ الحلة: ١ / ٩٢.

(٣) المرجع نفسه: ١ / ٩٢.

الحلي..»[1].

٤ ـ أسلمة الدولة المغولية ودور علماء الحلة في ذلك:

من أهمِّ الأحداث السياسية المذهبية التي ارتبطت بمدرسة الحلة وحوزتها العلمية قصة تشيع سلطان المغول اولجاتيو المعروف بمحمد خدابنده (ت ٧١٦ هـ) ثمَّ اعلانه التشيع كمذهب رسمي للدولة المغولية، وكان السبب الرئيسي في هذا الاعلان هو العلّامة الحلي الحسن بن يوسف بن المطهر، وهو من كبار علماء مدرسة الحلة، وكان له دور فاعل وبارز فيها، بالاضافة إلى صلته بالسياسيين المغول، وبالشخصيات الحاكمة آنذاك[2]، والتي نتج عنها تشيع سلطان المغول، واعلان التشيع مذهبا رسميا في الدولة الايلخانية.

ولقد سبق السلطان خدابنده أخوه السلطان محمود غازان (ت ٧٠٣ هـ) الذي أصدر عند توليه الحكم عام (٦٩٤ هـ) مرسوما ينصُّ على أنّ الإسلام هو الدين الرسمي لدولة المغول في إيران حيث ارتبطت أسلمة الدولة باسمه.. وتميزت سنيِّ حكمه بتقرّبه إلى التشيع سواءً في إيران أم العراق.. فقام بجولات في زيارة مراقد الأئمة في النجف وكربلاء.. وانشأ دورا للسادة في مدينة تبريز.. كما أنه زار مدينة الحلة وأمر للعلويين بمال كثير، وأشار إلى حفر نهر بأعلى المدينة سُمي بالنهر (الغازاني) يصل إلى مشهد الحسين في مدينة كربلاء..»[3].

وقد اختلفت كلمات المؤرخين في تفسير ظاهرة ميوله الشيعية التي لم يعلن عنها

---

(١) ابن الفوطي في الحوادث الجامعة: ٣٣١.

(٢) القزويني ـ جودت، تاريخ المؤسسة الدينية: ١٠٩.

(٣) المرجع نفسه: ١١٨.

رسميا في البلاد المغولية[1] حتى وفاته.

إلّا أن السلطان خدابنده الذي تسلم الحكم في (٧٠٢ هـ) تمكن من إعلان التشيع رسميا في أرجاء الدولة المغولية.

وقد اختلفت كلمات المؤرخين في سبب هذا الاعلان، وأخذ بعضهم يفسر هذه الظاهرة بطريقته في تفسير أحداث التاريخ.

إلّا أن كلمات جميع المؤرخين كادت أن تتفق على تشيع السلطان خدابنده كان بتأثير ابن المطهر المعروف بالعلّامة.

يقول الرحالة ابن بطوطة (ت٧٧٩ هـ) في رحلته المشهورة باسمه: «كان ملك العراق محمد خدابنده قد صحبه في حال كفره فقيه من الروافض الإمامية يسمى جمال الدين ابن المطهر، فلما أسلم السلطان المذكور وأسلمت باسلامه التتر زاد في تعظيم هذا الفقيه، فزين له مذهب الروافض وفضله على غيره وشرح له حال الصحابة والخلافة، وقرر لديه أن أبا بكر وعمر كانا وزيرين لرسول اللّه، وأنّ عليا ابن عمه وصهره فهو وارث الخلافة... فأمر السلطان بحمل الناس على الرفض، وكتب بذلك إلى العراقين وفارس وآذربيجان وإصفهان وكرمان وخراسان، وبعث الرسل إلى البلاد...»[2]. ثم يتحدث عن ردود الأفعال التي أحدثها هذا القرار في البلدان الإسلامية التي وصلتها رسل السلطان خدابنده.

إلّا أن قضية أسلمة الدولة المغولية لم تكن بهذه البساطة التي ذكرها ابن بطوطة

---

(١) القزويني ـ جودت، تاريخ المؤسسة الدينية: ١١٨ ـ ١١٩، وأُنظر الشيبي، الصلة بين التصوف والتشيع: ٢ / ٧٤.

(٢) ابن بطوطة ـ محمد بن عبد اللّه اللواتي الطنجي، رحلة ابن بطوطة، المسمّاة تحفة النظار في غرائب الأمصار: ٢١٩ ـ ٢٢٠، تحقيق: طلال حرب، طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٢ م.

وسار عليها بعض المؤرخين المتعصبين، وإنما هنالك جهود علمية كبيرة ومضنية بذلها العلّامة الحلي؛ سبقت هذا الإعلان المدوي في العالم الإسلامي «والأحداث التاريخية والمؤشرات تؤكدان على تأثير العلامة المباشر على سير المجريات الثقافية في عهدي السلطانين محمود غازان، ومحمد خدابنده، وظهور تأثيره الفاعل في اعلان تشيع الدولة المغولية رسميا على يد خدابنده»[1].

إنَّ النصوص التاريخية قد لا تمدنا بمعلومات وافية عن جوهر العلاقة بين العلّامة الحلي والسلطان المغولي، وإنما تناقل أصحابها بعض القصص التي يمكن فهم طبيعة هذه العلاقة من خلالها[2].

«إلّا أن طبيعة الأحداث تؤكد على وجود صلة بين العلّامة وخدابنده أوائل تسلّمه السلطة، ربما امتدت إلى فترة ما قبل تسلّمه مقاليد الحكم أيضا.

وكذلك يظهر ـ ومن خلال النصوص ـ ما للعلّامة من تأثير ثقافي كبير على السلطان خدابنده في مرحلة ما بعد تسلّمه الحكم، فقد أشرف على إعداده علميا، وأ لّف له الكتب والرسائل في العقائد، والأُصول، والفقه، وعلم الكلام، كما دأب على تدريسه بنفسه.

وكان للحماس المذهبي الذي يتميز به هذا السلطان، والخطوات التي اتخذها مباشرة بعد تسلّمه زمام الحكم في عقد الحوارات بين علماء المسلمين على اختلاف مذاهبهم، دليل على أنّ هذا السلطان كان قد نشأ، وهو متشبّع بعقائد التشيع، ومبادر بالدعوة إليها»[3].

---

(١) القزويني: ١٠٩.

(٢) أُنظر: الخوانساري، روضات الجنات: ٢ / ٢٧٩.

(٣) القزويني، تاريخ المؤسسة الدينية: ١٢٠ ـ ١٢١.

ومهما يكن من أمر في أسباب تشيع سلطان المغول خدابنده، وما رافقها من أحداث سواء كانت نتيجة لخلاف مذهبي بين أتباع بعض المذاهب أو كانت نتيجة مناظرات مذهبية بين بعض العلماء الشافعية والعلّامة الحلي، أو أنها حصلت بشكل عفوي في قصة طلاق السلطان المذكور لزوجته، ثم ندمه على ذلك..[١] فإنَّ إعلان إسلام وتشيع الدولة المغولية يعدّ من الأحداث التاريخية والسياسية والمذهبية المهمة، وكان لها صدى واسع في العالم الإسلامي آنذاك، وأحدثت ردود أفعال متفاوتة في حينها[٢].

المبحث الثاني: العلّامة نصير الدين الطوسي ودوره المتميز في الحوزة العلمية في الحلة

اقترن اسم الفيلسوف الإسلامي نصير الدين الطوسي بمرحلة ازدهار الحوزة العلمية في الحلة، وكان له تأثيره الواضح في مناهجها العقلية والكلامية من خلال بعض تلامذته النابغين، وكذلك كان له عناية خاصة بمناحي العلم وأحوال العلماء عامة، وحوزة الحلة وعلمائها خاصة، حيث حظيت برعايته ودعمه.

كذلك اقترن اسم هذا العالم بحادث الغزو المغولي لبغداد وسقوط الدولة العباسية بأيديهم، حيث اصطحبه قائد المغول هولاكو خان معه في هذه الحملة وعند فتحه لبغداد، مما عرّضه لسيل من الاتهامات والملاحظات السلبية من قبل خصومه ومن بعض المؤرخين لهذه الحقبة الحساسة من تاريخ الإسلام.

---

(١) للتوسع أُنظر: الخوانساري، روضات الجنات: ٢ / ٢٧٩ ـ ٢٨١، وتاريخ الحلة: ١ / ١٠٧ وما بعدها.

(٢)المرجع نفسه.

فمن هو نصير الدين الطوسي؟ وما هو دوره وتأثيره في الحادثين؟

لنصير الدين الطوسي ترجمة واسعة ومطولة في كتب التراجم، وكتبت عنه دراسات وبحوث مفصلة، وتناولته بالبحث مؤلفات وأُطروحات جامعية أكاديمية، واهتم بترجمته المستشرقون وكتّاب دوائر المعارف، وعلماء الفلك، والمتكلمون والفلاسفة..؛ ولا يمكن لنا أن نستوعب ما كتب عنه في هذا المختصر؛ وإنما سنحاول أن نعطي بعض الملامح المهمة عن شخصيته، وبما يرتبط بموضوع بحثنا عن الحوزة العلمية في الحلة، ونترك التفاصيل الأُخرى إلى كتب التراجم والسِّير.

ترجم لنصير الدين الطوسي صاحب الأعلام فقال: النصير الطوسي (٥٩٧ ـ ٦٧٢ هـ = ١٢٠١ ـ ١٢٧٤ م) محمد بن محمد بن الحسن، أبو جعفر، نصير الدين الطوسي؛ فيلسوف، كان رأسا في العلوم العقلية، علّامة بالأرصاد والمجسطي والرياضيات، علت منزلته عند «هولاكو» فكان يطيعه فيما يشير به عليه. ولد بطوس (قرب نيسابور) وابتنى بمراغة قبةً ورصدا عظيما، واتخذ خزانة ملأها من الكتب التي نهبت من بغداد والشام والجزيرة، اجتمع فيها نحو أربعمائة ألف مجلد، وقرّر منجمين لرصد الكواكب، وجعل لهم أوقافا تقوم بمعاشهم، وكان «هولاكو» يمدّه بالأموال، وصنّف كتبا جليلة، منها...»[1] وذكر قائمة مطولة لأسماء كتبه، سوف تأتي الاشارة إليها لاحقا.

وذكر له الصفدي في الوافي ترجمة مطولة جاء فيها: «الخواجا نصير الدين الطوسي.. الفيلسوف، صاحب العلوم الرياضية والرصد، كان رأسا في علم الأوائل لا سيما في الأرصاد والمجسطي، فإنه فاق الكبار، وكان ذا حرمة وافرة ومنزلة عالية عند

---

(١) الزركلي ـ خير الدين، الأعلام: ٧ / ٣٠ طبعة دار العلم للملايين ـ بيروت.

هولاكو.. وكان حسن الصورة، سمحا كريما جوادا حليما، حسن العشرة غزير الفضائل جليل القدر، داهية... ودفع عن الناس أذاهم، وعن بعضهم إزهاق أرواحهم، ومن حلمه ما وقفت له على ورقة حضرت إليه من شخص من جملة ما فيها يقول: «يا كلب يا ابن الكلب» فكان الجواب: وأما قولك كذا فليس بصحيح لأنّ الكلب من ذوات الأربع وهو نابح طويل الأظفار، وأنا فمنتصب القامة بادي البشرة عريض الأظفار ناطق ضاحك، فهذه الفصول والخواص غير تلك الفصول والخواص، وأطال في نقض ما قاله برطوبة وتأن، غير منزعج ولم يقل في الجواب كلمة قبيحة.

.. وولّاه هولاكو جميع الأوقاف في سائر بلاده وكان له في كلّ بلد نائب يستغل الأوقاف ويأخذ عشرها ويحمله إليه ليصفه في جامكيات المقيمين بالرصد، ولما يحتاج إليه من الأعمال بسبب الأرصاد، وكان للمسلمين به نفع خصوصا الشيعة والعلويين والحكماء وغيرهم، وكان يبرهم ويقضي أشغالهم ويحمي أوقافهم، وكان مع هذا كله فيه تواضع وحسن ملتقى،... وكان النصير قد قدم من مراغة إلى بغداد ومعه جماعة كثيرة من تلامذته وأصحابه فأقام بها مدة أشهر ومات.. وقد نيف على الثمانين أو قاربها، وشيعه صاحب الديوان والكبار وكانت جنازته حافلة، ودفن في مشهد الكاظم»[1].

وتعتبر المرحلة الزمنية التي عاش فيها نصير الدين الطوسي، والأدوار المتباينة التي قام بأدائها، من أدق وأعقد الحقب الزمنية التي عاشتها الأُمة الإسلامية آنذاك، إذ شهد العالم الإسلامي سقوط الدولتين الإسماعيلية والعباسية على يد المغول بقيادة

---

(١) الصفدي ـ صلاح الدّين بن ايبك، الوافي بالوفيات: ١ / ١٧٩ ـ ١٨٣، باعتناء: هلموت ريتر، طبعة دار نشر فرانز شتايز بقسبادن، الطبعة الثانية، ١٣٨١ هـ ـ ١٩٦٢ م.

هولاكو، واقترن اسم نصير الدين الطوسي بكلا الحادثين، إذ «كان من المتنفذين في الدولة الأُولى، ووزيرا لعب دورا فاعلاً على انقاض الدولة الثانية في ظلّ الحكم الجديد»[1].

*** محطات في حياة نصير الدين الطوسي:**

أولاً: من طوس إلى نيسابور:

ولد الطوسي نصير الدين في طوس سنة (٥٩٧ هـ) على قول أغلب المؤلفين، وتلقى دراسته الأُولى في مسقط رأسه، كما درس الحديث والأخبار على والده الذي كان من الفقهاء والمحدثين، كما أنه درس الفقه والمنطق والحكمة على خاله، بالاضافة إلى دراسته للحساب والهندسة والجبر.. وكان لا يزال في مطلع شبابه.

ثم رحل إلى نيسابور التي كانت في ذلك العهد مجمع العلماء ومنتجع الطلّاب فحضر حلقات دروس أكابر علمائها.. فقضى فيها فترة ظهر فيها نبوغه وتفوقه وصار فيها من المبرزين المشار إليهم بالبنان.

ثانيا: من نيسابور إلى قلاع الاسماعيلية:

وفي خلال وجوده في نيسابور زحف المغول زحفهم الأول بقيادة جنكيز خان حاملين معهم الدمار والموت، فاجتاحوا فيما اجتاحوا بلاد خراسان وانهزم امامهم السلطان محمد خوارزم شاه وانهارت بعده كل مقاومة وتساقطت المدن واحدة بعد الأُخرى.. والقوة الوحيدة التي حيل بينها وبين المغول، هي قلاع الاسماعيليين، حيث صمدت هذه القلاع سنوات ولم تستسلم، بينما كانت باقي مدن خراسان ومنها نيسابور قد عادت يبابا في أيدي المغول.

---

(١) القزويني ـ جودت، المؤسسة الدينية: ٩٣.

وخلال هذه الفترة العصيبة التي كان فيها الشيخ الطوسي (نصير الدين) حائرا لا يدري أين يلجأ ولا بمن يحتمي،.. جاءته دعوة من المحتشم ناصر الدين عبد الرحيم متولي قهستان والسلطة على قلاع الاسماعيلية في خراسان... وكانت له عناية بالعلماء والفضلاء.. فقبل الطوسي دعوته وسافر إلى قهستان.. فاستقبل هناك باجلال.

وخلال فترة مكوثه في قهستان ترجم للفارسية كتاب ابن مسكويه (تطهير الاعراق) وزاد عليه مطالب جديدة وسماه (اخلاق ناصري)[1] ناسبا اياهُ إلى مضيفه ناصر الدين، كما أ لّف (الرسالة المعينية) في علم الهيئة، وغيرها من الكتب الأُخرى.

ولم يطل المقام كثيرا بنصير الدين الطوسي في قهستان، إذ سرعان ما طلب علاء الدين محمد زعيم الاسماعيليين من واليه ناصر الدين نزول الطوسي عنده، فمضى ناصر الدين مصطحبا معه الطوسي إلى زعيمه علاء الدين في قلعة (ميمون دز) فاستقبله الزعيم الاسماعيلي استقبالاً يتفق ومنزلته واستبقاه لديه معززا مكرما.

وظل الطوسي في قلعة آلموت مع علاء الدين محمد، ثم مع ولده ركن الدين حتى استسلام ركن الدين للمغول في حملتهم الثانية[2].

وقد اختلفت آراء الباحثين حول اتصال نصير الدين بالاسماعيليين.

فذهب أغلب الكتّاب الإسماعيليين إلى (اسماعيلية النصير) فإن ذهابه إلى قلاع الإسماعيلية باختياره، وبقاءه تلك المدة الطويلة التي نافت على ربع قرن من الزمن، والمناصب التي تقلدها في الدولة الإسماعيلية النزارية حيث عهد إليه وظيفة استشارية لا تقل عن رتبة (الوزراء) ثم اتخذ وزيرا، ثم أُنيط به مهمة داعي الدعاة. بالاضافة إلى

---

(١) أُنظر: الطهراني ـ آغا بزرك، الذريعة: ١ / ٢٣٥.

(٢) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ١٤ / ٢٤٢ ـ ٢٤٤ بتلخيص وتصرف.

مكوناته الفكرية التي تأثر فيها بفكرَ الإسماعيلي ابن سينا (المتأثر بفكر إخوان الصفا).. كلّ هذه الأُمور، بالاضافة إلى مكوثه الطويل مع الاسماعيلية وعدم ذهابه إلى المركز الشيعي المزدهر بمدينة الحلة على يد الفقهاء الإماميين الكبار في هذه الرحلة..[1]، تؤشر إلى إسماعيلية النصير بحسب زعمهم.

أما المصادر الاثنا عشرية فقد أكّدت أ نّه تتلمذ على أبيه محمد بن الحسن الطوسي تلميذ فضل اللّه الراوندي، والراوندي هو تلميذ السيّد المرتضى، وشيخ الطائفة الطوسي، وهذا يعني انّه درس على سلسلة علماء تشبّعوا بالفكر الإمامي الاثنى عشري[2].

وبهذا أبعدت عنه كونه تأثر بالفكر الإسماعيلي، بل وسلخت عنه كلُّ ما يمتّ نسبته إلى الإسماعيلية، وفسرت دعوة حاكم قهستان له.. للاستفادة منه»[3].

وفي بعض المرويات أن نصير الدين الطوسي اختطف من قبل فدائي الإسماعيليين وحمل إلى قلعة (آلموت) قسرا، وانه كان يعيش سنواته شبه أسير أو سجين. وفي رواية أُخرى ان الطوسي نصير الدين ذهب إلى الإسماعيليين مختارا، وخلال مكوثه هناك حدث ما عكر صفو آرائهم فنقم عليه ناصر الدين واعتبره سجينا، ثم أرغمه على مصاحبته إلى (ميون دز) حيث عاش سجينا لا يبرح مكانه...[4].

إلّا انّ هذه المرويات وغيرها، والتي تحاول أن توجد تفسيرا معقولاً لعلاقة نصير

---

(١) القزويني ـ جودت، تاريخ المؤسسه الدينية: ٨٩ ـ ٩٠ نقلاً عن عارف تامر، تاريخ الإسماعيلية: ٤ / ١٠، ١٦٧ ـ ١٦٨.

(٢) المرجع نفسه: ٩١، وأُنظر: الخوانساري، روضات الجنات: ٦ / ٣١٤.

(٣) البحراني، لؤلؤة البحرين: ٢٥٠، والخوانساري، الروضات: ٦ / ٣١٥.

(٤) الأمين، الأعيان: ١٤ / ٢٤٤.

الدين بالإسماعيلية، لا يمكن تقبلها والاعتماد عليها إذ ليس لها ما يؤيدها سوى بعض الكلمات التي تُتَصيَّد من بعض المؤلفات التي كتبها نصير الدين خلال هذه الفترة والتي يصف فيها حالاته النفسية والمرارة وكدورة الأحوال التي يعيش فيها، كما جاء في آخر كتاب شرح الاشارات[1].

وهي عبارات اعتاد الكتّاب على ادراجها في كتبهم، ولا تصلح أن تكون مؤيدا.

«فالتفسير الاثني عشري الذي جعل نصير الدين أسيرا للاسماعيليين طيلة ثمان وعشرين عاما، وهي المدة التي قضاها في قلاعهم، لا يصمد أمام الوضع الفكري الذي عاشه نصير الدين هناك من خلال المؤلفات التي كتبها والمناصب التي تقلّدها في ظل هذه الدولة»[2].

ثالثا: من قلاع الإسماعيلية إلى بغداد:

بدأ الغزو المغولي الثاني بقيادة هولاكو خان حفيد جنكيز خان، ولم تستطع قلاع الإسماعيلية أن تصمد هذه المرة كما صمدت في السابق.. فايقن ركن الدين خورشاه آخر أُمراء الإسماعيلية بعدم جدوى الدفاع فجرت مفاوضات بينه وبين هولاكو انتهت باستسلام خورشاه سنة (٦٥٤ هـ) ونزوله من قلعة آلموت التي كانت ملاذا لهم على امتداد قرنين من الزمن، وانتهى عهد الإسماعيلية في إيران بعد مائة وسبع وسبعين سنة امتدت (من سنة ٤٧٧ هـ إلى سنة ٦٥٤ هـ).

وقد رافق خورشاه في نزوله الخواجه نصير الدين الطوسي، والوزير مؤيد الدين، وأبناؤه، والطبيبان رئيس الدولة ومؤيد الدولة، فصدر الأمر من هولاكو بقتل الجميع

---

(١) رضوي ـ محمد تقي، العلامة الخواجه نصير الدين الطوسي: ١٨، تعريب: علي هاشم، طبعة مشهد، ١٤١٩ هـ عن كتاب شرح الاشارات طبعة القاهرة: ١٤٥.

(٢) القزويني، المؤسسة الدينية: ٩٣.

باستثناء الخواجه نصير الدين، والطبيبان موفق الدولة، ورئيس الدولة، إذ طرق سمعه فضل الخواجه وكماله.. واستبان له صدق رئيس الدولة وموفق الدولة وحسن نيتهما.. فقد جعل هؤلاء جميعهم في ركابه وضمهم إلى بطانته»[1].

وهكذا وجد نصير الدين نفسه في ركاب هولاكو خان مرغما على ذلك، ليسير معه باتجاه بغداد سنة (٦٥٦ هـ) حيث أحاطت جنود المغول ببغداد من كلّ جانب فلم تصمد كثيرا امام الضربات المغولية العاتية، فسقطت بغداد وسقطت معها الخلافة العباسية، وقتل آخر خليفة من بني العباس (المستعصم باللّه) بعد أن استسلم لهولاكو مع أولاده وحاشيته وبطانته، وبعد أن أذله هولاكو وجرده من كل أمواله، ومن كل «ما كان الخلفاء جمعوه خلال خمسة قرون، وضعه المغول بعضه على بعض فكان كجبل على جبل»[2] وحصل في بغداد من المجازر الشنيعة ما عجز المؤرخون عن وصفها بدقة[3].

كل هذه الأحداث الدامية المذهلة جرت في بغداد ولا أحد يجرؤ على وقف حمام الدم في عاصمة الخلافة، إلّا رجل واحد استطاع بحنكته ودهائه وحسن تدبيره أن ينقذ الموقف وهو الأسير في قبضة هولاكو ولا يملك لنفسه الخيار، وذلك هو نصير الدين محمد بن محمد الطوسي، «فعزم منذ الساعة الأُولى أن يستغل هذا الموقف لانقاذ ما يمكن انقاذه من التراث الإسلامي المهدد بالزوال، وأن يحول دون اكتمال الكارثة النازلة والبلاء المنصب، وقد استطاع بحنكته أن ينفذ خطته بحزم وتضحية واصرار.

---

(١) الرضوي، العلامة نصير الدين: ٢٠.

(٢) الأمين ـ حسن، الغزو المغولي: ١٤٠ عن مؤرخ العراق رشيد الدين الهمداني.

(٣) للتوسع أُنظر: الحوادث الجامعة المنسوب لابن الفوطي، وجامع التواريخ لرشيد الدين فضل اللّه الهمداني، والمغول في التاريخ للصياد، والغزو المغولي للأمين حسن.

وقد بلغ من إحكام أمره وترسيخ منهجه أن الدولة التي أقبلت بجيوشها الجرارة لتهدم الإسلام وتقضي على حضارته، انتهى أمرها بعد حين إلى أن تعتنق هي نفسها الإسلام ويصبح خلفاء جنكيز وهولاكو الملوك المسلمين»[1].

*** من نشاطات ومنجزات نصير الدين الثقافية والعامة:**

لقد كانت مهمة نصير الدين الطوسي في بغداد بعد احتلالها مهمة صعبة ومعقدة للغاية، فهو من جانب كان عليه أن يؤدي دورا علميا واداريا في الدولة المغولية، ومن جانب آخر أن يسعى لحفظ البقية من العلماء والأُدباء والمفكرين، ومن جهة ثالثة أن يسخر العقول العلمية لنهضة علمية وثقافية جديدة، ومن جهة رابعة ـ وهي الأهم ـ أن يخطط لمستقبل الدولة المغولية ليحولها من دولة غزو وقتل و.. إلى دولة حضارية وغزو حضاري وثقافي.

والذي يبدو ومن خلال استعراض منجزات ونشاطات نصير الدين الطوسي في ظل الدولة المغولية أن الرجل كان يتمتع بعقل اداري منظم وخلاق فاستطاع ومن خلال منصبه كوزير لولد هولاكو (اباقا خان) والذي امتد لتسع سنوات (٦٦٣ ـ ٦٧٢ هـ) أن يحقق بعض الانجازات المهمة والتي يمكن تلخيصها بما يلي:

١ ـ تنظيم موارد الدولة المالية والاشراف على الأوقاف الإسلامية، والتصرف بمواردها.

٢ ـ تأسيس أكاديمية علمية، وانشاء جامعة شاملة متخصصة بالعلوم الفلكية والرصد.

٣ ـ اقامة أعظم مرصد عُرف في الشرق بمدينة مراغة.

---

(١) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ١٤ / ٢٤٥.

٤ ـ تشييد مكتبة حفلت بالكتب الثمينة، والمخطوطات التي جلبت إليها من الأقطار الأُخرى.

٥ ـ ارجاع العقول التي هاجرت بعد الغزو المغولي، والاستفادة العلمية منها في أُمور مرصد مراغة، وتشكيل لجان عُليا تُشرف على سير الثقافة في البلاد[١].

هذه شذرات اجمالية من المنجزات العامة لنصير الدين الطوسي، لا يمكننا الدخول في تفاصيلها في هذا المختصر.

*** دور نصير الدين الطوسي في المؤسسة الدينية الشيعية:**

وأما الجانب الآخر الذي اقترن اسم نصير الدين الطوسي به فهو دوره في حوزة التشيع التي كانت مزدهرة آنذاك في مدينة الحلة، فهو دور كبير تجلى في كونه يعدّ من أساتذة كبار علمائها من جهة، وله بصماته الواضحة في مناهجها العقلية والفلسفة والكلامية من جهة ثانية، وله الدور الأساسي في مشاركة علماء الحلة وحوزتها في الحياة السياسية وأحداثها آنذاك من جهة ثالثة.

وفيما يلي اجمال لهذه المنجزات وضمن نقاط محددة:

١ ـ تربية وتعليم واعداد العلماء والفضلاء:

وقد أخذ العلم والمعرفة عن نصير الدين جماعة من العلماء، منهم: السيّد عبد الكريم بن أحمد بن طاووس الحلي، وقطب الدين محمد بن مسعود الشيرازي، وشهاب الدين أبو بكر الكازروني، وأبو الحسن علي بن عمر القزويني الكاتبي، والحسن بن يوسف المعروف بالعلّامة الحلي، والحسن بن علي بن داود صاحب

---

(١) القزويني، المؤسسة الدينية: ١٠٠.

الرجال، وعبد الرزاق ابن الفوطي، وغيرهم[1].

ويعتبر العلّامة الحلي من أبرز تلامذة نصير الدين، حيث زار الطوسي الحلة كما سوف يأتينا وأعجب بنبوغ العلّامة الذي كان آنذاك في الرابعة عشرة من عمره، فاهتمّ به، وصحبه معه، «وقد نقل أن نصير الدين قد سأل العلّامة ـ وهو معه في طريقه من الحلة إلى بغداد ـ عن اثنتي عشرة مسألة من مشكلات العلوم احداها انتقاض حدود الدلالات بعضها ببعض..»[2]. فأجاب عنها وقد وصف العلّامة الحلي أُستاذه نصير الدين بقوله: «أُستاذ البشر، والعقل الحادي عشر»، وكذلك يصفه بقوله: «كان هذا الشيخ أفضل أهل زمانه في العلوم العقلية والنقلية، وله مصنّفات كثيرة في العلوم الحكمية، والأحكام الشرعية على مذهب الإمامية»[3]، ورغم أنَّ المصادر التاريخية لا تمدنا بكثير من المعلومات عن الفترة التي قضاها العلّامة الحلي مع أُستاذه نصير الدين، إلّا أن بعض الباحثين يستظهر أنّ صحبة العلّامة مع نصير الدين امتدت عقدا كاملاً، أو سنوات متقطعة حتى وفاته سنة (٦٧٢ هـ).

فيقول هذا الباحث: «وعندما زار نصير الدين مدينة الحلة عام (٦٦٢ هـ)، اصطحب العلّامة الحلي معه إلى مراغة، واختصه بالتدريس هناك. وبالرغم أنّ المصادر التاريخية.. لم تشر إلى وجود العلّامة في مراغة، إلّا أنّ العلّامة نفسه اشار إلى تلمذه على يد نصير الدين الطوسي، ونجم الدين علي بن عمر الشافعي

(١) الخوانساري، الروضات: ٦ / ٣٠٣، والمدرس، العلامة نصير الدين: ١٧٧ ـ ١٩٠، والسبحاني، طبقات الفقهاء: ٧ / ٢٤٥.

(٢) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ٩ / ١٥.

(٣) المرجع نفسه: ١٤ / ٢٤٣، وأُنظر اجازة العلّامة لبني زهرة، البحار: ١٠٧ / ٦٢.

(الكاتبي) دون أن يذكر المكان الذي تتلمذ فيه عليهما»[1]، ومن المعروف أن (الكاتبي) من علماء مرصد مراغة وبقي فيها حتى عام (٦٧٠ هـ)[2]، فقد يستفاد من هذه أن تتلمذ العلّامة عليه كان في مراغة وعند مرصدها ومكتبتها، ويستفاد من عبارة الصفدي في تاريخه حيث يقول: «.. وكان النصير قد قدم مراغة إلى بغداد ومعه جماعة كثيرة من تلامذته وأصحابه وأقام بها مدة أشهر ومات»[3]. وان العلّامة الحلي قد عاد مع أُستاذه من مراغة إلى بغداد، وبقي فيها حيث كان يعقد أُستاذه حلقات التدريس في بغداد طوال المدّة التي بقي فيها حتى وفاته[4].

٢ ـ اضافة العلوم العقلية والفلسفية والكلامية إلى منهج الدراسة في حوزة الحلة:

لقد كان نصير الدين الطوسي من كبار فلاسفة عصره، ومن أكبر المتأثرين بالفيلسوف الإسلامي حسين بن عبد اللّه المعروف بابن سينا (٣٧٠ ـ ٤٢٨ هـ) ويعتبر الشارح المتمكن لفلسفته، وأكبر الفلاسفة المشتغلين بالعلوم العقلية بعده[5].

وكان العلّامة الحلي ـ كما أسلفنا ـ من أبرز تلامذة نصير كذلك درس عند جملة من علماء مراغة وفلاسفتها دروس الفلسفة وشروح المنطق والميتافيزيقا، والعلوم الطبيعية بالاضافة إلى العلوم الرياضية والفلكية..[6].

ومن أهم المؤلفات التي أ لّفها نصير الدين كتاب اشتهر بعنوان «تجريد الاعتقاد»

---

(١) القزويني ـ جودت، المؤسسة الدينية: ١٠٢، ١٠٦.

(٢) الصفدي، الوافي بالوفيات: ١ / ١٨٣.

(٣) المصدر نفسه: ١ / ١٨٣.

(٤) القزويني، تاريخ المؤسسة الدينية: ١٠٧ نقلاً عن البحاثة الألماني: Sabine Schmideke.

(٥) المرجع نفسه: ٩٣.

(٦) أُنظر: الاجازة الكبيرة لبني زهرة التي كتبها العلّامة الحلي سنة ٧٢٣ هـ في بحار الأنوار: ٧ / ٦٣، والذريعة: ١ / ١١٦.

وهو عبارة عن مقرّر لدراسة علم الكلام على أساس فلسفي في الجامعة التي أسسها في مراغة؛ وقد مزج الطوسي ـ في كتابه هذا ـ الفلسفة لأول مرة في الإسلام بعلم الكلام مزجا تاما بحيث صارا شيئا واحدا»[1].

ولتجريد الاعتقاد شروح متعددة من أهمها شرح تلميذه العلّامة الحلي الذي سمّاه «كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد» وهو من أهم شروح الكتاب، بل قد تفوق أهميته، أهمية الكتاب نفسه[2].

وقد استطاع العلّامة أن يسرب تركة أُستاذه نصير الدين الفلسفية إلى فكر مدرسة الحلة من خلال شرحه لكتابه «تجريد الاعتقاد» وما زال الكتاب إلى اليوم كتابا دراسيا في المراكز الدينية كالنجف، وقم، لطلّاب الفلسفة وعلم الكلام[3].

٣ـ تعيين رواتب دائمة لطلّاب المدارس والمعاهد العلمية:

لقد كان لنصير الدين الطوسي مواقف مشرفة اتجاه علماء عصره، فهو الذي استطاع أن ينقذ الكثير منهم من سيوف المغلول، وأوجد لهم فرصا علمية في مجالات اختصاصهم بالاضافة إلى توفير مستلزمات الحياة الكريمة لهم، «بعد أن تكلّف بأحوال الفقهاء، والمدرسين، والصوفية في بغداد، إلى حين وفاته، كما يخبرنا معاصره ابن الفوطي، ويؤيده ابن العبري»[4].

إلى أن نصير الدين ـ ولنزعته الفلسفة والكلامية ـ نجده يقدم الفلاسفة والأطباء

---

(١) الشيبي ـ د. مصطفى كامل، الصلة بين التصوف والتشيع: ٢ / ٨٥.

(٢) أُنظر، د. علي مقلد، نظام الحكم في الإسلام، النبوة والإمامة عند نصير الدين الطوسي: ٣٥٧، طبعة دار الاضواء ـ بيروت، ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م.

(٣) القزويني، المؤسسة الدينية: ١١٥ ـ ١١٦.

(٤) الأعسم ـ عبد الأمير، الفيلسوف نصير الدين الطوسي: ١٠٢.

والحكماء على أهل الفقه والحديث، وذلك عندما وضع نظام المكافآت المالية. يقول ابن كثير في البداية والنهاية: «عمل الخواجه نصير الدين الطوسي الرصد بمدينة مراغة، ونقل إليه شيئا كثيرا من كتب الأوقاف التي كانت ببغداد، وعمل دار حكمة ورتّب فيها فلاسفة، ورتّب لكل واحد في اليوم والليلة ثلاثة دراهم، ودار طب فيها للطبيب في اليوم درهمان، ومدرسة لكل فقيه في اليوم درهم، ودار حديث لكل محدث نصف درهم في اليوم، لذلك أقبل الناس على معاهد الفلسفة والطبّ أكثر من اقبالهم على معاهد الفقه والحديث، بينما كانت تلك العلوم من قبل تدرس سرا»[1].

وكان لنصير الدين قدرة مالية كبيرة من خلال توليه لجميع الأوقاف في سائر البلاد، «وكان له في كل بلد نائب يستغل الأوقاف ويأخذ عشرها ويحمله إليه ليصرفه في (جامكيات) المقيمين بالرصد.. وكان للمسلمين به نفع خصوصا الشيعة والعلويين والحكماء وغيرهم»[2].

والذي يظهر من بعض النصوص التاريخية أن أباقاخان الذي تصدى للحكم بعد وفاة أبيه هولاكو ـ وبنصيحة اسداها إليه الخواجه الطوسي[3] ـ قدّم العون المالي بشكل سخي ومتكرر لحوالي مائة تلميذ كانوا طلبة لنصير الدين، واستنادا إلى أبي الفرج، فإنّ نصير الدين قد أجرى الرواتب للأساتذة والتلاميذ الذين كانوا معه، والراجح ان ذلك كان من أموال الوقف»[4].

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية: ١٣ / ٢٤٩، والأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ٩ / ٤١٧.

(٢) الصفدي، الوافي بالوفيات: ١ / ١٨٢.

(٣) المدرس ـ محمد تقي، الخواجه نصير الدين: ١٠٦.

(٤) آيدين صاييلي، المراصد الفلكية في العالم الإسلامي: ٣١٢، طبعة مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.

٤ ـ رعاية الحوزة العلمية وتفقد أحوالها:

لم يُصَنَّف نصير الدين الطوسي في سلك الفقهاء، ولم يشتهر في طبقات فقهاء الشيعة كفقيه من فقهائها، أو كزعيم من زعماء حوزتها العلمية؛ إذ كانت الحوزة العلمية الشيعية في زمانه تتمثل في حوزة الحلة التي كان يرأسها آنذاك المحقِّق الحلي أبو القاسم جعفر بن الحسن.

إلّا أنّ شخصية نصير الدين الفلسفية والعلمية ووجوده في قلب السلطة المغولية، جعلتا منه معلما بارزا من معالم تحوّل مؤسسة الفقهاء ذات المباني العلمية إلى مؤسسة تركّزت في قلب السياسة والأحداث»[١]. وأنّ هذه المسؤوليات الجسام لم تمنعه من متابعة أوضاع الحوزة العلمية في حاضرتها العلمية الحلة، والجلوس إلى علمائها والاستماع منهم، واكتشاف الطاقات والمواهب العلمية النابغة بين الدارسين منهم؛ وهذا ما قام به في زيارته «لمدينة الحلة سنة (٦٦٢ هـ) عندما كان مشرفا على متابعة تنظيم الموارد المالية للدولة المغولية، وشؤون الأوقاف في البلاد، ففوجيء بوجود نهضة دينية متقدمة فيها، ويبدو أنّ هذه هي الزيارة الأُولى التي يلتقي فيها نصير الدين بالفقهاء الشيعة»[٢].

وقد عبّر نصير الدين عن اعجابه بالنهضة العلمية القائمة بالحلة، وأشاد بما شاهده فيها، «ولما سئل بعد زيارته عما شاهده فيها قال: رأيت خريتا ماهرا وعالما إذا جاهد فاق»، عني بالخريت المحقق الحلي، وبالعالم العلّامة الحلي الذي كان في الرابعة عشرة من عمره آنذاك[٣].

---

(١) القزويني ـ جودت، المؤسسة الدينية: ١٠١.

(٢) المرجع نفسه: ١٠١ ـ ١٠٢.

(٣) المرجع نفسه: ١٠٢، وأُنظر أعيان الشيعة: ٩ / ١٥.

وقد حضر الخواجه نصير الدين درس المحقق الحلي، فكان البحث في القبلة، في استحباب التياسر قليلاً لأهل الشرق من أهل العراق عن السمت الذي يتوجهون إليه، فاعترض الطوسي أن التياسر إما إلى القبلة فيكون واجبا لا مستحبا، واما عنها فيكون حراما، فأجاب المحقق في الدرس، بأن الانحراف منها إليها.. ثمّ إنّ المحقق الحلي عمل في ذلك رسالة، وأرسلها إلى الطوسي فاستحسنها، وقد أورد الرسالة ابن فهد في المهذب البارع بتمامها»[1].

ومما يذكر في سفرة العلّامة نصير الدين إلى الحلة ما ذكره العلّامة الحلي في «الاجازة لبني زهرة» قال: «أنفذ هولاكو الخواجه نصير الدين الطوسي إلى الحلة، فاجتمع عنده فقهاؤها، فأشار إلى المحقق جعفر بن الحسن بن سعيد، وسأل: من أعلم هذه الجامعة بالأُصولين؟ فأشار إلى والدي سديد الدين، وإلى الفقيه مفيد الدين محمد بن جهيم؛ فقال: هذان أعلم الجماعة بعلم الكلام وأُصول الفقه، فتكدّر ابن عمه يحيى بن سعيد وكتب إليه: كيف ذكرت ابن المطهر وابن جهيم، ولم تذكرني؟ فكتب له في الجواب: ربما سألك الخواجه مسألة فوقفت وحصل لنا حياء»[2].

* التراث العلمي لنصير الدين الطوسي:

خلف الخواجه نصير الدين الطوسي تراثا فكريا ضخما كتبه في المراحل المختلفة من رحلته العلمية، منها ما كتبها في ظل الاسماعيليين عندما كان في قلاعهم «وتتلخص برسائل صغيرة أشبه ما تكون بالكتب التعليمية الدراسية..»[3].

---

(١) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ١٤ / ٢٤٧.

(٢) الطهراني ـ آقا بزرك، طبقات أعلام الشيعة، الأنوار الساطعة في المائة السابعة: ٤ / ١٥٥.

(٣) القزويني، المؤسسة الدينية: ٩٣.

وقد سلك في كتبه الأخلاقية مسلكا فلسفيا لا يخرج عن المسلك الفلسفي للفارابي، وابن سينا، وابن مسكويه، ولا يدلان دلالة قاطعة على اسماعيلية النصير ـ كما يدعي ذلك بعض كتّاب الإسماعيلية ـ وإن وضعا وصمما من أجل التعليم الإسماعيلي، وبناءً لأمر اسماعيلي، في بيئة إسماعيلية[1].

وأما مؤلفاته الأُخرى والتي كتبها بعد مغادرته لقلاع الإسماعيلية، فهي قائمة طويلة شملت أكثر علوم عصره، إذ كان متبحرا في أكثر تلك العلوم، كما أنها كتبت باللغتين العربية والفارسية، ويبدو أنه كان ملما باللغة التركية أيضا.

وهنالك فهارس متعددة لآثار الخواجه نصير الدين، وكل من ترجم له اكتفى بذكر بعض مؤلفاته، أو ما هو مشهور من مؤلفاته وآثاره.

يقول أحد الباحثين: «إن أفضل وأتم فهرس لآثار الخواجه هو الفهرس الذي نقله المؤرخان القريبان من عصره: محمد بن شاكر بن أحمد الكتبي المتوفى سنة (٧٦٤ هـ) في كتابه فوات الوفيات، وصلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي المتوفى أيضا سنة (٧٦٤ هـ) في كتابه الوافي بالوفيات. ومن الثابت أنّ مصدر الاثنين في هذا الفهرس واحد، فلا يلحظ اختلاف كبير فيه، ويحتمل أ نّهما أخذاه من شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي المتوفى سنة (٧٤٨ هـ). مع هذا فانّ الفهارس المذكورة ناقصة، إذ سقط منها كثير من آثار الطوسي المهمة التي لا شك في اسنادها إليه ولم يرد لها ذكر»[2].

وفي العصر الحديث وضع كلٌّ من بروكلمان، وجورج سارتن فهارس متعددة

---

(١) مقلد، النبوة والإمامة: ٢٥٩.

(٢) المدرس ـ محمد تقي، الخواجه نصير الدين: ٢٣٩ ـ ٢٤٠.

لكتب الخواجه؛ الأول منها فيه أسماء ستة وخمسون كتابا، والثاني أربعة وستون كتابا؛ وتوسع الدكتور عبد الأمير الأعسم أكثر، فقدم قائمة بمؤلفات نصير الدين تجاوزت (١٦٠) عنوانا[١].

ولعل أحدث وأوسع فهرس مفصل لآثار الخواجه نصير هو فهرس الباحث محمد تقي مدرس رضوي في كتابه: العلّامة الخواجه نصير الدين الطوسي حياته وآثاره، إذ أوصل عدد مؤلفات الخواجه نصير الدين في هذا الفهرس إلى مائة وتسعين مؤلفا. ولم يكتفِ بذكر عناوين هذه المؤلفات فقط، وإنما ذكر تفاصيل دقيقة عنها وعن محل تواجدها في مكتبات العالم، وعن نسخها وطباعتها وغيرها من المعلومات التي تهمُّ الباحثين كثيرا[٢].

*** وفاة نصير الدين الطوسي:**

بعد عمر حافل بالعطاء العلمي والفكري والاجتماعي والسياسي، لبى الخواجه نصير الدين الطوسي نداء ربه فتوفي في يوم الاثنين الثامن عشر من ذي الحجة سنة (٦٧٢ هـ) وشيّع جثمانه صاحب الديوان شمس الدين الجويني وعلماء بغداد وأعيانها، وحشد غفير من الناس، وأخذوه إلى الكاظمية وحفروا له قبرا في جهة اقدام الإمامين العظيمين الكاظم والجواد فظهر سرداب، فدفنوه فيه»[٣].

---

(١) الأعسم ـ عبد الأمير، الفيلسوف نصير الدين الطوسي: ٧٥ ـ ٩٥، وأُنظر سهيل الحسيني، الخواجه نصير الدين: ٨٧.

(٢) المرجع نفسه: ٢٤٢ ـ ٤٣٩.

(٣) المرجع نفسه: ٥٢.

المبحث الثالث: الصلات العلمية بين حوزة الحلة وجبل عامل

استمرت حوزة الحلة العلمية في عطاءها الفكري والثقافي ومنذ تأسيسها وإلى نهاية القرن الثامن الهجري ولمدة ثلاثة قرون من الزمن تقريبا؛ استطاعت خلالها أن تثري المكتبة الإسلامية بمبتكرات البحوث الفقهية والأُصولية والكلامية.. وأن تكون مركز الاستقطاب الأول لطلّاب العلوم الإسلامية والعلماء والفضلاء من الأقطار الأُخرى، ولا سيما من الحواضر والبلدان الشيعية.

وقد بينا سابقا كيف أن النجف الأشرف قد صبت علومها في رافد مدينة الحلة لتشكل بذلك حوزتها العلمية، ثم تأخذ بعد ذلك طابعها العلمي الخاص بها.

حيث استطاع علماء الحلة الكبار من أمثال المحقق الحلي، والعلّامة الحلي، وولده فخر المحققين، وغيرهم أن يرتقوا بهذه الحوزة إلى أوج كمالها العلمي، لتكون مركز استقطاب لعشاق العلم والمعرفة.

«وتوسعت (حوزة الحلة العلمية).. واتجهت الأنظار إليها أكثر من ذي قبل، بعدما أُصيبت (بغداد) بنكبة المغول، وتشرد أهلها.. فهاجر بعض العلماء من بغداد إلى الحلة واستقروا بها، فكثرت فيها المدارس والمكاتب وحفلت بالعلماء، وأصبحت مركزا مرموقا من مراكز الحركة العقلية في الأوساط الإسلامية.

ولولا وجود (حوزة الحلة) وانتقال بقايا الحركة العلمية من بغداد إلى الحلة، وعناية (المحقق الحلي) وتلميذه (العلّامة الحلي) وولده (فخر المحققين) بشؤون الفكر الإسلامي، والمحافظة على ما تبقّى من الثقافة الإسلامية ورجال الفكر الإسلامي.. لما بقي لنا شيء من هذا التراث الفكري الضخم الذي نتداوله اليوم فيما بين أيدينا من

كتب الفقه والحديث والتفسير والعلوم العقلية والأدبية»[1].

ومن جملة من تطلّع إلى هذه الحاضرة العلمية نخبة من أبناء جبل عامل في لبنان، فشدوا إليها الرحال وان بَعُدت عليهم الشقة.

«ويبدو أن الوشائج بين الحلة وجبل عامل تسبق عصر النهضة العلمية في جبل عامل، وأسبق هجرة إلى الحلة كانت في زمن رائد المدرسة وزعيمها آنذاك المحقق الحلي، ثم أخذت الهجرة تتزايد شيئا فشيئا خصوصا على زمن فخر المحققين»[2].

وتعتبر مدرسة جبل عامل، وحوزتها العلمية العريقة، الامتداد العلمي والوارثه لحوزة الحلة العلمية؛ وذلك من خلال بعض المهاجرين إليها من الفضلاء، وبالخصوص الشهيد الأول محمد بن جمال الدين مكي العاملي (٧٨٦ هـ) رائد الحركة الفقهية في الجبل، «فكان الشهيد الأول امتدادا لمدرسة الحلة وحركتها»[3].

وفيما يلي استعراض موجز لبعض فضلاء جبل عامل ممن هاجروا إلى الحلة وتتلمذوا في مدرستها وحوزتها العلمية:

١ ـ الشيخ يوسف بن حاتم المشغري العاملي:

يعتبر الشيخ المشغري من قدماء المهاجرين العامليين، والفاتح لباب الهجرة العاملية المباركة إلى البلدان الإسلامية.

ترجم له الطهراني في الطبقات فقال: «يوسف بن حاتم بن فوز بن مهند، الشيخ جمال الدين الشامي المشغري العاملي، المجاز من علي بن طاووس باجازات

---

(١) الآصفي ـ محمد مهدي، مقدمة اللمعة الدمشقية: ١ / ٨٦.

(٢) الحسيني ـ محمد، الفقه في جبل عامل: ١١٨، طبعة دار المحجة ـ بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤٣٠ هـ ـ ٢٠٠٩ م.

(٣) أنظر المرجع نفسه: ٩٥ ـ ٩٧.

متعددة، وله «المسائل البغدادية» سألها عن المحقق فأجاب عنها المحقق وقال: «إنها تدلّ على فضيلة موردها» وقد قرأ «الجامع» على مصنّفه يحيى بن سعيد.. وعبّر عن صاحب الترجمة بالفقيه يوسف بن حاتم الشامي. وله «الأربعين عن الأربعين»...

وقال الطهراني في الذريعة: «جوابات المسائل البغدادية» للشيخ نجم الدين أبي القاسم جعفر بن الحسن بن سعيد المحقق الحلي المتوفي (٦٧٦ هـ) هي اثنتان وسبعون مسألة فقهية يسألها من تلميذه الشيخ جمال الدين يوسف بن حاتم الشامي المشغري العاملي...»[١].

فالشيخ يوسف من فضلاء جبل عامل المهاجرين إلى حوزة الحلة ومن تلامذة المحقق الحلي، وابن طاووس رضي الدين علي (ت ٦٦٤ هـ) والشيخ يحيى بن سعيد (ت ٦٩٠ هـ) صاحب كتاب الجامع للشرائع، وهو من أعاظم العلماء وأجلة الفقهاء حيث أثنى عليه أساتذته ثناءً عطرا.

وذكره الحر العاملي وقال عنه: كان فاضلاً فقيها عابدا.. يروي عن المحقق جعفر بن الحسن بن سعيد، وعن السيّد ابن طاووس[٢].

وذكر له السيّد حسن الصدر في التكملة كتاب «الدُرُّ النَظيم في مناقب الأئمّة اللهاميم» وقال عنه انه كتاب جليل في بابه.. ثم يقول: وكان هذا الشيخ من أجلة العلماء في عصر المحقق نجم الدين صاحب الشرائع، وهو صاحب المسائل

---

(١) الطهراني ـ آغا بزرك، طبقات أعلام الشيعة الأنوار الساطعة في المائة السابعة: ٤ / ٢٠٧ ـ ٢٠٨، والذريعة إلى تصانيف الشيعة: ٥ / ١٥٣.

(٢) الحر العاملي، أمل الآمل: ١ / ١٩٠.

البغدادية التي أجاب عنها المحقق[1].

٢ ـ الشيخ محفوظ بن وشاح:

قال في التكملة: «الشيخ شمس الدين أبو محمد محفوظ بن وشاح بن محمد الهرملي العاملي، ذكره الشيخ المحقق صاحب المعالم في اجازته الكبيرة[2] قال: «كان هذا الشيخ من أعيان علماء عصره، ورأيت بخط شيخنا الشهيد الأول في بعض مجاميعه حكاية أُمور تتعلق بهذا الشيخ منها أنه كتب إلى الشيخ المحقق نجم الدين السعيد أبياتا من جملتها:

أغيب عنـك وأشـواقي تجـاذبني	إلى لقائك جذب المغرم العـاني
إلى لقاء حبيب شـبه بـدر دجـى	وقـد رمـاه بـاعراض وهجـران

فأجابه المحقق ﷺ بأبيات.. وكتب من بعدها نثرا».

ثم يضيف صاحب التكملة: «واعلم أنَّ هذا الشيخ أبو طائفة كبيرة بالهرمل يعرفون بآل محفوظ وبني وشاح، خرج منهم علماء أجلاء رؤسا نبلاء، وهو غير محفوظ بن عزيزة بن وضاح السوراني، والد الشيخ سديد الدين سالم بن محفوظ ابن عزيزة الحلي أُستاذ المحقق نجم الدين في علم الكلام الذي قرأ عليه كتابه «المنهاج في علم الكلام» فلا تتوهم الاتحاد»[3].

فالشيخ محفوظ بن وشاح عالم فاضل، هرملي عاملي، مهاجر إلى الحلة قديما على عهد المحقق الحلي، وله مع المحقق مودة تظهر من خلال متابعة المراسلات

(١) الصدر ـ حسن، تكملة أمل الآمل: ٤٣٤ ـ ٤٣٥، تحقيق أحمد الحسيني، طبعة دار الأضواء ـ بيروت، ١٤٠٧ هـ.

(٢) أنظر المجلسي، بحار الأنوار: ١٠٩ ـ ٣ ـ ٧٩.

(٣) الصدر ـ حسن، تكملة أمل الآمل: ٣٢٩ ـ ٣٣١.

الشعرية والنثرية التي كانت بينهما[1].

إلّا أنّ السيّد الأمين محسن له كلام في أعيانه يشكك في نسبته إلى الحلة[2].

٣ ـ طُمآن بن أحمد العاملي المناري (ت ٧٢٨ هـ):

الملقب بنجم الدين، قال عنه الحر العاملي: «كان فاضلاً عالما محققا، روى عن الشيخ شمس الدين محمد بن صالح عن السيّد فخار بن معدّ الموسوي وغيره من مشائخه.

وذكر الشيخ حسن بن الشهيد الثاني في اجازته: ان عنده بخط الشيخ شمس الدين محمد بن صالح اجازة للشيخ الفاضل نجم الدين طمآن بن أحمد العاملي، وذكر فيها أنه يروي عن السيّد فخار والشيخ نجيب الدين بن نما وجماعة آخرين».

وقال عند ذكره للرواية عن السيّد فخار: إنه قرأ عليه سنة (٦٣٠ هـ) بالحلة، وانه روى عن الفقيه محمد بن ادريس وغيره من مشائخه....

قال: وذكر الشهيد في بعض اجازاته أن والده جمال الدين أبا محمد مكيﷺ من تلامذة الشيخ العلّامة الفاضل نجم الدين طومان، والمترددين إليه حين سفره إلى الحجاز الشريف، ووفاته بطيبة في نحو سنة (٧٢٨ هـ) أو ما قاربها[3].

تفقه الشيخ طمان على الشيخ شمس الدين محمد بن أحمد بن صالح القسيني الذي تتلمذ بدوره على المحقق الحلي وقرأ عليه كتاب (نهج الوصول إلى علم الأُصول) كما قرأ كتاب (الجامع للشرائع) على مصنفه يحيى بن أحمد ابن عم

---

(١) الحسيني ـ محمد، الفقه في جبل عامل: ١١٩ ـ ١٢٠.

(٢) أُنظر، الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ١٥ / ٣٨٩ ـ ٣٩١.

(٣) الحر العاملي ـ محمد بن الحسن، أمل الآمل: ١ / ١٠٣.

المحقق الحلي[1] فهو من تلامذة تلامذة المحقق بواسطة واحدة.

هذا، وقد أثنى على الشيخ طمآن أُستاذه الشيخ محمد بن صالح ثناءً عطرا، قال الشيخ حسن: وفي كلام الشيخ محمد بن صالح دلالة على جلالة قدر الشيخ طمآن، وصورة لفظه في اجازة له هكذا: «قرأ على الشيخ الأجل العالم الفاضل الفقيه المجتهد نجم الدين طمآن بن أحمد الشامي العاملي كتاب النهاية في الفقه تأليف شيخنا أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي قراءة حسنة تدل على فضله ومعرفته، ثم قال: وقرأ بعد ذلك عليَّ كتاب الاستبصار.. وشرحته له وعرّفته ما وصل جهدي إليه من صحيح الأخبار وغيرها، ثم قرأ عليَّ بعد ذلك الجزء الأول من المبسوط والثاني منه.. وفصولاً من الثالث قراءة محقق لما يورده» ثم يقول الشيخ حسن: ووجدت في عدّة مواضيع غيره هذه الاجازة ثناءً بليغا على هذا الرجل ومدحا له رحمه الله[2].

٤ ـ الشيخ صالح بن مشرف العاملي الجبعي:

قال عنه الحر العاملي: «جد شيخنا الشهيد الثاني، كان فاضلاً عالما فقيها، من تلامذة العلّامة الحلي»[3] وقد مرّ بنا في الترجمة السابقة الإشارة إلى بعض جوانب شخصية المترجم له.

٥ ـ الشيخ علي بن الحسين الشفيهني أو الشهفيني:

ترجم له الحر العاملي في القسم الثاني من كتابه أمل الآمل والذي خصصه للعلماء من غير جبل عامل، فقال في ترجمته: الشيخ علي الشفيهني (الحلي) فاضل

---

(١) الأفندي، رياض العلماء: ٥ / ١١٠، والخوانساري، روضات الجنات: ٢ / ١٨٨ ـ ١٨٩.

(٢) أمل الآمل: ١ / ١٠٤ ـ ١٠٥.

(٣) الحر العاملي، أمل الآمل: ١ / ١٠٢، وأُنظر الطهراني، الطبقات الحقائق الراهنة في المائة الثامنة: ٥ / ٩٦.

شاعر أديب، له مدائح كثيرة في أمير المؤمنين والأئمةعليهم السلام[1].

وقد اختلف أرباب التراجم في الشيخ الشفيهني فعدَّه الحر (حليا) وعدّه البعض عامليا.

والظاهر أنَّ أول من نسبه إلى جبل عامل هو صاحب الرياض، فقال: «والظاهر ان الشفيهني نسبة إلى بعض قرى جبل عامل»[2] وقد تعجب الخوانساري في روضاته من الحر العاملي فقال: «والعجب ان صاحب أمل الآمل مع حرصه على جمع فضلاء جبل عامل كيف غفل عن ذكر مثل هذا الرجل الجليل الفاضل الكامل»[3]، وقوى هذا الاتجاه السيّد حسن الصدر فقال: «والظن أن الشفهيني نسبة إلى بعض قرى جبل عامل»[4]، وعلى فرض صحة كونه من جبل عامل يكون الشيخ علي بن الحسين ممن هاجر إلى الحلة وتتلمذ في مدرستها وصار من مشاهير علمائها[5].

ومهما يكن من أمر فإن الشيخ الشفهيني من العلماء الشعراء الكبار، وكان الشهيد الأول قد شرح قصيدته في مدح أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وهو أول ما صنّفه الشهيد الأول، فأُعجب الشيخ علي الشفهيني بشرحها فأرسل إليه يمدحه:

فكأنـــــه وجـــــواده وحســـــامه ... وســـنان مســـعده دليـــل أســـود

قمـــر علـــى فلـــك وراء مـــذنب ... وامامـــه والليـــل داج فرقـــد[6]

---

(١) الحر العاملي، أمل الآمل: ٢ / ١٩٠.

(٢) الأفندي، الرياض: ٣ / ٤٢٧.

(٣) الخوانساري، الروضات: ٧ / ١٥.

(٤) الصدر ـ حسن، تكملة أمل الآمل: ٢٨٨ ـ ٢٩١.

(٥) الحسيني ـ محمد، الفقه في جبل عامل: ١٢٠ ـ ١٢١.

(٦) مقدمة اللمعة: ١ / ١١٠.

٦ ـ محمد بن جمال الدين مكي العاملي، الشهيد الأول (استشهد ٧٨٦ هـ):

وهو من أبرز المهاجرين العامليين إلى الحلة، حيث تتلمذ على يد وارث علم سلفه الصالح (فخر المحققين) وأخذ من نمير علمه الصافي، ثم ساهم في بناء صرح مدرستها العلمية مساهمة فاعلة ومؤثرة فأصبح من أبرز المدرسين في مدرستها «والتف حوله طلّاب الفقه والأُصول يدرسون عليه مناهج الاستنباط والفقه، وعرف الشهيد في الحلة بتدريسه لقواعد العلّامة والتهذيب وعلل الشرائع وكتب أُخرى في الفقه والأُصول»[١].

وسوف نتوقف عند حياة الشهيد الأول وانجازاته العلمية في محله المناسب من بحث الحوزة العلمية في جبل عامل إن شاء اللّه.

٧ ـ الشيخ حسن العاملي:

قال في التكملة: «عز الدين أبو محمد الحسن بن سليمان بن محمد العاملي، من تلامذة الشهيد الأول، قرأ عليه، ورأيت اجازة له ولجماعة محكية عن خط الشهيد، وصفه الشهيد بما هذه صورته: «والشيخ الصالح الورع الدين العدل»»[٢].

والملاحظ أن صاحب التكملة يؤكد عامليته، وكذلك سيّد الأعيان يقول: «ولعل أصله كان عامليا ثم توطن الحلة»[٣]. فإذا صحت نسبته إلى جبل عامل ـ كما هو صحيح ـ فإنه يعدّ ممن هاجر إلى الحلة في منتصف القرن السابع، وكان من جملة من تتلمذ على الشهيد الأول ابان وجوده في الحلة، بل ومن أبرز من تتلمذ عليه[٤]، وهو

(١) الآصفي، مقدمة اللمعة: ١ / ١١١.

(٢) الصدر ـ حسن، تكملة أمل الآمل: ١٤٩.

(٣) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ٥ / ١٠٦.

(٤) الحسيني ـ محمد، الفقه في جنوب لبنان: ١٢٢.

ثاني الستة المجازين باجازة واحدة من الشهيد محمد بن مكي تاريخها (١٢ شعبان ٧٥٧ هـ)[١].

٨ ـ الشيخ الحسين بن علي العاملي:

قال السيّد الصدر في التكملة: «عز الدين أبو عبد اللّه الحسين بن علي العاملي، عالم فاضل محدث كامل، قرأ على الشهيد محمد بن مكي وله منه اجازة وصفه فيها: «الشيخ الفقيه العالم الكامل أبو عبد الحسين بن علي العاملي» وتاريخ الاجازة في شعبان سنة سبع وخمسين وسبعمائة، وهي اجازة له ولجماعة ممن شاركه في قراءة علل الشرائع على الشهيد، وقد وجدها بخط الشهيد صاحب رياض العلماء»[٢] وتاريخ اعطاء الشهيد الأول الاجازة للشيخ المترجم له (٧٥٧ هـ) كان فيها الشهيد في الحلة، مما يؤكد أن الشيخ عز الدين ممن هاجر إلى الحلة وشدّ الرحال إليها من الجبل[٣].

٩ ـ الشيخ علي بن بشارة العاملي:

الشيخ زين الدين أبو الحسن علي بن بشارة العاملي، هو الآخر ممن هاجر إلى الحلة وأقام فيها، وقد تتلمذ على الشهيد الأول وأجازه في شهر شعبان عام (٧٥٧ هـ) ومن تاريخ اجازته هذه استفدنا هجرته إلى الحلة كما تقدّم ذكره.

وقد مدحه الشهيد الأول في اجازته فقال: «الشيخ الأجل العالم العامل الفقيه

---

(١) الطهراني، الطبقات (الحقائق الراهنة في المائة الثامنة): ٥ / ٤١.

(٢) الصدر ـ حسن، تكملة أمل الآمل: ١٨٧، والطهراني، الطبقات: ٥ / ٥٧، والأفندي، الرياض: ٣ / ٣٧٤.

(٣) الحسيني ـ محمد، الفقه في جنوب لبنان: ١٢٢.

الكامل الزاهد العابد زين الدين أبي الحسن علي بن بشارة العاملي..»[1].

١٠ ـ الشيخ جمال الدين أحمد الكوثراني:

وهو من تلامذة الشهيد الأول، وصفه الشهيد في اجازته له: «الشيخ الفقيه الزاهد العابد»[2] وهو أحد الستة الوارد ذكرهم في اجازة الشهيد الأول التي اجازها لجمع من تلامذته ممن قرأ عليه كتاب علل الشرائع للصدوق في مدينة الحلة.

١١ ـ الشيخ عز الدين الحسن بن شمس الدين محمد بن إبراهيم بن الحسام العاملي:

قال الحر العاملي: «كان فاضلاً فقيها جليلاً، قرأ على الشيخ فخر الدين محمد ابن الحسن بن يوسف بن المطهر الحلي، ورأيت له اجازة عامة بخط الشيخ فخر الدين بن العلّامة على ظهر كتاب القواعد لأبيه تاريخها سنة (٧٥٣ هـ)، وقد أثنى عليه فيها فقال: قرأ عليَّ مولانا الشيخ الأعظم الإمام المعظم شيخ الطائفة مولانا الحاج عز الحق والدين ابن الشيخ الإمام السعيد شمس الدين محمد بن إبراهيم بن الحسام..»[3].

١٢ ـ الحسن بن ايوب:

قال الطهراني في الطبقات: «بدر الدين (اوعز الدين او فخر الدين) الشهير بابن نجم الدين الاطراوي العاملي، الراوي عن عميد الدين بن عبد المطلب الأعرجي الحسيني (ت ٧٥٤ هـ) وعن أخيه ضياء الدين عبد اللّه، وعن فخر المحققين ابن الحلي (ت ٧٧١ هـ) وعن الشيخ الشهيد (ت ٧٨٦ هـ). ويروي عنه شمس الدين

---

(١) الحسيني ـ محمد، الفقه في جنوب لبنان: ١٢٣، وأُنظر التكملة: ٢٨٥.

(٢) الصدر، التكملة: ٩٢، والطهراني، الطبقات: ٥ / ٤.

(٣) الحر العاملي، أمل الآمل: ١ / ٦٦ ـ ٦٧، والطهراني، الطبقات: ٥ / ٤٥.

محمد العريضي العاملي، وجعفر بن الحسام العيناني.. وما جاء في «اجازة الشهيد الثاني» من توصيفه بالأعرجي الحسيني بدل الاطراوي العاملي فهو من اسقاط الناسخ الواسطة.. ثم تبع الشيخ الحر في «الأمل» الشهيد فوصفه بالأعرجي الحسيني، فظنه حليا وذكره في القسم الثاني الخاص بغير العامليين، مع ان الرجل من قرية أُطري من قرى جبل عامل، وتنبّه للاسقاط صاحب (الرياض)..»[١].

١٣ ـ الشيخ زين الدين علي بن محمد الطائي:

قال في الرياض: الشيخ أبو القاسم علي بن علي بن جمال الدين محمد بن طي العاملي، الفاضل العالم الفقيه المجتهد الشاعر، المعروف بـ «ابن طي».. وهو صاحب كتاب مسائل ابن طي والمعاصر لابن فهد الحلي، وصاحب الأقوال المعروفة في الفقه...

وقال السيّد الأمين في ذكر تلامذة ابن فهد الحلي، ومنهم: «الشيخ زين الدين علي بن محمد بن طي العاملي»[٢].

١٤ ـ الشيخ عز الدين الحسن بن علي المعروف بـ «ابن العشرة»:

قال الحر العاملي: «فاضل عالم فقيه، يروي عن ابن فهد، وعن أبي طالب محمد ولد الشهيد، لا يخفى انه كان الأحرى ذكر ابن العشرة في القسم الأول لأنه من علماء جبل عامل. وقال عنه الخوانساري: الشيخ الإمام الفقيه.. الشهير بابن العشرة الكرواني العاملي»[٣].

---

(١) الطهراني، الطبقات: ٥ / ٣٧ ـ ٣٨، وأُنظر الحر العاملي في أمل الآمل: ٢ / ٦٣، والأفندي، رياض العلماء: ١ / ١٦٢، والصدر، التكملة: ١٣٦.

(٢) الخوانساري، روضات الجنات: ؟؟؟.

(٣) الأفندي، رياض العلماء: ٤ / ١٥٨، والأمين، الأعيان: ٣ / ١٤٨.

*** الصلة العلمية بين حوزة الحلة والأقطار الأُخرى:**

لم تكن الهجرة إلى حاضرة العلم الحلة مقتصرة على ابناء جبل عامل، وإنما شملت علماء وفضلاء من أقطار أُخرى، يمكن أن نشير إلى نماذج منهم والأقطار التي هاجروا منها إلى مدينة الحلة:

١ ـ الآملي، حيدر بن علي العبيدي الحسيني:

قال صاحب الروضات: هو من أجلة علماء الظاهر والباطن، وأعظم فضلاء البارز والكامن، ذكره ابن جمهور الاحسائي فقال: الفقيه العارف المشهور بعنوان السيّد العلّامة المتأخر صاحب الكشف الحقيقي. أصله من آمل طبرستان، وهي كما في وفيات الأعيان.. مدينة عظيمة من قصبة طبرستان»[١].

هاجر المترجم له إلى الحلة لتلقي العلوم على علمائها لأ نّها كانت يومئذ أعظم جامعة إسلامية، فصحب فخر المحققين ابن العلّامة الحلي، ونصير الدين القاشاني المعروف بالحلي[٢].

والمترجم له من الفلاسفة ومن أصحاب النظريات في فلسفة الإشراق وله آراء خاصة سطرها في كتبه ومؤلفاته، وخاصة كتابيه جامع الأسرار ومنبع الأنوار، وشرح النصوص.. بالاضافة إلى كتابه في تفسير القرآن.

٢ ـ الشيخ محمود الحمصي:

هو سديد الدين محمود بن علي بن الحسين الحمصي الرازي، وهو الشيخ الورع الثقة، والذي كان أعلم أهل زمانه في الأُصولين. وهو صاحب التصانيف الكثيرة التي

---

(١) مقدمة المهذب البارع: ١ / ٢٧.

(٢) كركوش ـ يوسف، تاريخ الحلة: ٢ / ١٢٣.

قال عنها منتجب الدين في فهرسته: «حضرت مجلس درسه سنين وسمعت أكثر هذه الكتب»[1]. وهو من العلماء المهاجرين إلى الحلة وكان حيا إلى حدود سنة (٦٠٠ هـ)[2]، واختلف في نسبته إلى حمص البلدة الشهيرة في بلاد الشام، أم أنه من إحدى قرى بلاد الري؟ وليس لهذا الأمر أهمية كثيرة.

٣ ـ الفاضل الآبي[3]:

وهو الحسن بن زبيب الدين، أبي طالب بن أبي المجد اليوسفي زين الدين أبو محمد الآبي الآوي الفقيه الجليل.. صاحب «كشف الرموز» الذي فرغ منه في شعبان (٦٧٢ هـ) وهو شرح رموز «المختصر النافع» [كتبه] في حياة أُستاذه المحقق الحلي مؤلف «النافع» في بعض أسفاره...»[4].

وذكر السيّد بحر العلوم أنه أول من شرح النافع، وينقل الشهيد والسيوري أقواله، ويعبران عنه بالآبي وابن الزبيب وشارح النافع وتلميذ المحقق»[5].

٤ ـ صفي الدين بن الطقطقي (٦٦٠ هـ ـ ٧٠٩ هـ):

هو صفي الدين أبو جعفر محمد بن تاج الدين أبي الحسن علي بن محمد بن

---

(١) منتجب الدين، الفهرست: ١٠٧ بتحقيق: جلال الدين أرموي والبحراني ـ يوسف، لؤلؤة البحرين: ٣٤٨.

(٢) كركوش، تاريخ الحلة: ٨٨.

(٣) قال الحموي في معجم البلدان بمادة آبة: ١ / ٥٢: بالباء الموحدة، قال: أبو سعد.. من قرى إصفهان، وقال غيره إن آبة قرية من قرى ساوة... ثم يضيف الحموي: قلت: أما آبة بليدة تقابل ساوة تعريف بين العامة بآوة وأهلها شيعة...

(٤) الطهراني، طبقات أعلام الشيعة، الأنوار الساطعة في المائة السابعة: ٣ / ٣٨.

(٥) بحر العلوم ـ محمد مهدي، رجال السيّد بحر العلوم: ٢ / ١٧٩ وما بعدها، تحقيق: السيّد محمد صادق بحر العلوم، طبعة مكتبة الصادق ـ طهران.

رمضان، ينتهي نسبه إلى إبراهيم بن إسماعيل (طبطبا) بن إبراهيم بن الحسن المثنى بن الحسن السبط عليه السلام ويعرف بالطقطقي.

يذكر أن أُسرته استوطنت الحلة منذ أيام جده رمضان.. وكان أبوه نقيب العلويين، ثمّ ولي صدارة الحلة، وبعد أبيه تولى نقابة العلويين، وقد حضر مجلسه في الحلة المؤرخ الشهير ابن الفوطي كما ذكر ذلك في معجم الأُدباء.

سافر المترجم له إلى بلاد فارس، وتزوج امرأة فارسية من خراسان ودخل مراغة سنة (٦٩٦ هـ).

ليس للمترجم من الآثار غير مؤلفه في التاريخ المسمى بالفخري في الآداب السلطانية والدولة الإسلامية.. عني بنشر كتابه وترجمته جماعة من المستشرقين في أُوروبا، وطبع في ألمانيا وفي غوطا وباريس، وترجم إلى الفرنسية وطبع بمطبعة الموسوعات بمصر..[1].

٥ ـ الشيخ رضي الدين القطيفي الشهير بابن راشد:

وهو من تلامذة ابن فهد الحلي (ت ٨٤١ هـ)[2]، قال صاحب الطبقات، نقلاً عن عوالي اللئالي: «إنّ الشيخ كريم الدين يوسف الشهير بابن أبي القطيفي، يروي عن الشيخ العلّام والبحر القمقام رضي الدين الحسين الشهير بابن راشد القطيفي عن عدّة مشايخ له، أشهرهم العالم الزاهد، جمال الدين أبي العباس أحمد بن فهد الحلي..»[3].

---

(١) كركوش ـ يوسف، تاريخ الحلة: ٢ / ١١٦ ـ ١١٩ بتلخيص.

(٢) أُنظر، مقدمة المهذب البارع لابن فهد الحلي: ١ / ٢٥.

(٣) الطهراني، طبقات أعلام الشيعة: الضياء اللامع في القرن التاسع: ٥ / ٥٠.

٦ ـ الشيخ حيدر بن علي بن أبي علي محمد بن إبراهيم البيهقي:

قال الحر العاملي: «فاضل جليل، صنّف الشيخ فخر الدين ولد العلّامة رسالة في النية بالتماسه، وأثنى عليه فيها، فقال ما هذا لفظه: يقول محمد بن الحسن بن المطهر، هذه الرسالة الفخرية في معرفة النية، حررتها بالتماس أعز الناس عليَّ وأكرمهم لدي، وهو الصاحب المعظم الزاهد العابد الورع العالم الفاضل الكامل المحقق، كهف الحاج والحرمين الحاجي فخر الملة والحق والدين حيدر بن السعيد المرحوم شرف الدين بن علي بن أبي علي محمد بن إبراهيم البيهقي»[1].

والذي يبدو من كلام فخر المحققين، ان المترجم له كان من المقربين منه والمصاحبين له، وله معرفة بخصائصه العلمية والكمالية، وكذلك معرفة بوالده الذي يعبِّر عنه بالسعيد المرحوم....

٧ ـ السيّد محمد نوربخش (الهمداني):

وهو من تلامذة ابن فهد الحلي[2]، وفي كتاب مجالس المؤمنين ما ترجمته: سمعت من بعض الثقات ان السيّد (مير) قد حضر في دار المؤمنين (الحلّة) عند الشيخ الأجل أحمد بن فهد الحلي ـ الذي كان من أعاظم مجتهدي الشيعة الإمامية في زمانه ـ ودرس في حوزة درسه الفقه والحديث ولفترة من الزمن[3].

وقال السيّد الأمين في الأعيان: ومن تلامذته ـ أي ابن فهد ـ بنقل صاحب مجالس المؤمنين، السيّد محمد نوربخش الذي هو من أكابر الأولياء الصوفيّة، وانتهت إليه في

---

(١) الحر العاملي، أمل الآمل: ٢ / ١٠٧ ـ ١٠٨.

(٢) التستري، مجالس المؤمنين بالفارسية: ٢ / ١٤٧.

(٣) المرجع نفسه: ٢ / ١٤٧.

زمانه رئاسة السلسلة العلوية الهمدانية[1].

٨ ـ السيّد محمد بن فلاح الموسوي الحويزي:

قال صاحب الأعيان في عد تلاميذ العلّامة ابن فهد: السيّد محمد بن فلاح الموسوي الحويزي الواسطي، دول سلاطين بني المشعشع ببلاد خوزستان[2].

وقال في رياض العلماء في ترجمة السيّد علي بن السيّد خلف: «واعلم أنّ جدّه الأعلى وهو السيّد محمد بن فلاح، قد كان من تلامذة الشيخ أحمد بن فهد الحلي، وقد ألّف ابن فهد له رسالة وذكر فيها وصايا له..»[3].

٩ ـ الفيروزآبادي محمد بن يعقوب الشيرازي (ت ٨١٦ هـ):

لم يكن الفيروزآبادي مؤلف كتاب اللغة المعروف (القاموس المحيط) من الشيعة الاثني عشرية، وإنما كان من أبناء العامة، إلّا أنه تتلمذ عند فخر المحققين محمد بن الحسن ابن العلّامة الحلي، وكان: «يفتخر بتتلمذه عليه، فيقول في إجازة كتبها بخطه على ظهر كتاب «التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة» لبعض أصحابه فأجازه أن يروي عنه هذا الكتاب بحق روايته اياه عن شيخه الذي وصفه بما لفظه: «عن شيخي ومولاي علّامة الدنيا، بحر العلوم وطود العلى فخر الدين أبي طالب محمد بن الشيخ الإمام الأعظم، برهان علماء الأُمم جمال الدين أبي منصور الحسن بن يوسف المطهر الحلي، بحق روايته عن والده، بحق روايته عن مؤلفه الحجة.. الحسن بن محمد الصنعاني وتاريخ خطّ الفيروزآبادي (٧٥٧ هـ)»[4].

---

(١) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ٣ / ١٤٨.

(٢) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ٣ / ١٤٨.

(٣) الأفندي، رياض العلماء: ٤ / ٨٠.

(٤) الطهراني، الطبقات (الحقائق الراهنة في المائة الثامنة): ٥ / ١٨٦.

١٠ ـ البحراني، جمال الدين أحمد بن عبد اللّه بن محمد بن علي بن الحسن بن المتوج البحراني:

قال الطهراني في الطبقات: «ترجمه الشيخ سليمان الماحوزي في رسالته «تراجم علماء البحرين» وقال: إنه كان من أعظم تلاميذ فخر المحققين، قرأ عليه في الحلة وكان كثير المعارضة والبحث مع الشهيد، وكان هو الغالب في الغالب، ثم رجع إلى البحرين واشتهر فتاواه في المشارق والمغارب، ثم اتفق اجتماعه مع الشهيد في مكة، فلما تناظرا غلب عليه الشهيد، فتعجب منه فقال الشهيد: «لا تعجب قد أسهرنا واضعتم» حكى ذلك الشيخ سليمان سماعا عن مشايخه..».

ثم يقول الطهراني معقبا على الترجمة: «أقول: الظاهر من هذه الترجمة انه كان معاصرا الشهيد ومن أعاظم تلاميذ فخر المحققين..»[1].

أُولئك نماذج لنخبة من العلماء المهاجرين من بلدانهم، إلى حاضرة العلم والعلماء آنذاك (الحلة) كما أن الحلة كانت بمثابة قطب الرحى، والمركز والواحة العلمية التي يحط عندها طلّاب العلم والمعرفة رحالهم.

«فكان الطلبة يفدون الحلة من بلاد شتى (الجزيرة والهند وفارس والشام وولايات الدولة العثمانية وأفريقيا) واستمرت حلقات الدرس في التوسع والتبصر، فنشأت في الحلة مدارس فقهية خاصة وانجبت المدينة في تلك الحقبة علماء أفذاذا طبق صيتهم البلاد الإسلامية وخلدتهم أعمالهم..»[2].

---

(١) الطهراني، الطبقات الحقائق الراهنة: ٥ / ٧ ـ ٨.

(٢) عوض ـ عبد الرضا، الحوزة العلمية في الحلة، مجلة آفاق نجفية: العدد ١٢، ص ٣٥ ـ ٣٦.

المبحث الخامس: الاضطرابات السياسية ودورها في ركود وأُفول حوزة الحلة

واصلت الحوزة العلمية في الحلة رسالتها العلمية التكاملية على أيدي أقطابها من أساطين العلماء والفقهاء الذين كان خاتمة مسكهم فخر المحققين ابن العلّامة الحلي ثم النابهين من تلامذته.

لقد استمرت مدرسة الحلة العلمية لفترة طويلة قاربت الأربعة قرون من الزمن وامتدت إلى نهاية القرن التاسع الهجري تقريبا «ولم يكد ينتهي القرن التاسع الهجري حتى انتهى أمد النهضة العلمية والأدبية التي كانت في الحلة، والتي بدأت فيها منذ نهاية القرن الخامس الهجري»[1].

وقد تشابه العامل الذي أدّى إلى ركود، ومن ثمّ أُفول مدرسة الحلة مع العامل الذي أدى إلى ظهورها وارتقائها في سلم التكامل ووصولها إلى أوج عطائها العلمي.

ويمثل هذا العامل في الحالة السياسية السيئة التي حلت بالعراق عامة، وبمدينة الحلة خاصة.

يقول مؤرخ الحلة الشهير العلّامة المتتبع الشيخ يوسف كركوش الحلي في كتابه القيم «تاريخ الحلة» وهو يبين أسباب أُفول مدرسة الحلة وانتهاء نهضتها العلمية: «انتهت هذه النهضة بسبب الارزاء التي حلت بالقطر العراقي من أدناه إلى أقصاه، لجهل الحاكمين وظلمهم وعتوهم، فقد كان العراق إذ ذاك تحت حكم قوم من التركمان، وهم على جانب عظيم من جفاء الطبع، هذا بالاضافة إلى ظهور قوة جديدة على مسرح السياسة العراقية تُنَازع التركمان حكم العراق، وهذه القوة الجديدة هي

---

(١) كركوش ـ يوسف، تاريخ الحلة: ٢ / ١٦١.

دولة المشعشعين التي أسسها السيّد محمد بن فلاح تلميذ ابن فهد الحلي».

ويقول أيضا: «أخذت هاتان القوتان تتنافسان للاستيلاء على الحلة وتوابعها فتارة يحكمها أُولئك، وتارة هؤلاء، ودام ذلك ردحا من الزمن. ولا يخفى ما يتبع مثل هذا التبدل السياسي من الاضطراب والارتباك في جميع مناحي الحياة من اجتماعية واقتصادية وثقافية. من أجل ذعر سكان الحلة، وتناقص عمرانها وشملها الخراب، ولم يكد ينتهي القرن التاسع الهجري حتى لم يبق للنهضة العلمية والأدبية في الحلة أثر يذكر»[١].

والحقبة الزمنية التي يتحدث عنها صاحب تاريخ الحلة حقبة طويلة مليئة بالأحداث وتمتد من أواخر عهد الدولة الاليخانية في بدايات القرن الثامن الهجري، إلى ظهور الدولة الجلايرية والتي «دامت نحوا من تسعين سنة وكانت عاصمتها أولاً بغداد؛ ثم انتقلت في أواخر أيامها إلى الحلة»[٢] ثم جاء العهد التركماني في عهد دولة (قراقوينلو) الخروف الأسود، الذين استعان بهم الجلايريون لمقارعة تيمور لنك، إلّا أ نّهم قضوا على الدولة الجلايرية واتسعت مملكتهم وصارت تضم اجزاء كثيرة من غير العراق، وسميت هذه الدولة بدولة الخروف الأسود (قراقوينلو) لأنّ أعلامها كان يرسم عليها خروف أسود.

«كان رجال هذه الدولة معروفين بالزندقة والاستهتار بشريعة الإسلام، هذا إلى عتوهم وارهاقهم الرعايا بالضرائب الفادحة؛ كان الأمن في عهدهم مفقودا، والطواعين تجتاح الناس من وقت لآخر، والمجاعات قضت على الكثير من الناس.. وكانت

---

(١) كركوش ـ يوسف، تاريخ الحلة: ٢ / ١٦٢.

(٢) المرجع نفسه: ١ / ١١٢.

الحالة العامة في الحلة سيئة مضطربة، لأن الحكومة المحلية في الحلة لم تكن قوية لتحفظ الأمن فيها وفي أطرافها»[1]، فتحولت الحلة في ذلك العهد إلى ساحة صراع بين القبائل المتنازعة، أدت إلى زحزحة الأمن وازهاق النفوس.

وخلال هذه الفترة العصيبة ظهرت دولة المشعشعين على يد السيّد محمد بن فلاح وهو من تلامذة الشيخ أحمد بن فهد الحلي.

والكلام حول دولة المشعشعين، ومؤسس هذه الدولة، الذي اختلف في نسبه ومسقط رأسه، وعقائده التي أظهرها.. كلام طويل لا يسعه هذا المختصر، وخلاصة ما يمكن أن نستفيده من المصادر التاريخية التي تحدثت عن هذه الدولة وعن مؤسسها محمد بن فلاح هو: «أن المشعشعين كانوا طائفة من الشيعة الغلاة يعتقدون بالحلول: ومعنى ذلك أنَّ الأئمة الاثني عشر تحلُّ أرواحهم في بعض الناس أو أن اللّه حلَّ في أرواح الأئمة.. لذا كان المشعشعون لا يحفلون بمراقد الأئمة؛ لأنهم كانوا يعتقدون أن أرواحهم من روح اللّه وان مكانها في الملأ الأعلى..»[2].

وفي عهد هذه الدولة شهد العراق عامة والحلة خاصة الويلات والمصائب العظام، وكان حكام هذه الدولة عبارة عن قُطّاع طرق لا يتورعون عن السلب والنهب وقتل النفوس «ففي سنة (٨٥٧ هـ) خرج على الحاج المولى علي بن السيّد محمد المشعشع، ونهب أموالهم ودوابهم وجمالهم، والآنية المذهبة وقماش المحمل، ونجا أُناس قلائل كانوا قد دخلوا المشهد، فأرسلوا يتضرعون إليه، فطلب منهم القناديل والسيوف، فأرسلوا إليه مائة وخمسين سيفا، واثني عشر قنديلاً ستة منها ذهبا وستة

---

(١) كركوش ـ يوسف، تاريخ الحلة: ١ / ١٢٣ ـ ١٣٤.

(٢) نفس المصدر: ١ / ١٣٠ عن تاريخ الغياثي، وابن شدقم في تاريخه الموسوم بـ تحفة الأزهار، وأُنظر، الشيخ علي الشرقي، العرب والعراق: ١٤٣.

فضة، ثم دخل عليٌّ المشعشع الحلة ونقل أموالها وأموال المشهدين إلى البصرة، وأحرق الحلة وخربها وقتل من بقي فيها من الناس، ومكث فيها (١٨) يوما ورحل يوم الأحد (٢٣ ذي القعدة) إلى المشهد الغروي والحائر، وأخذ ما تبقى من القناديل والسيوف والستور والزوالي، ودخل بالفرس إلى داخل الضريح وأمر بكسر الصندوق الذي على القبر واحراقه»[١].

وفي أثناء هذه الحقبة التاريخية جاءت دولة (آق قوينلو) وهم من قبائل التركمان.. فقارعوا دولة (قراقوينلو) وتمكنوا من تحطيمها، وفتحوا بغداد سنة (٨٧٤ هـ) وعينوا حاكما من قبلهم على الحلة، «وفي هذا العهد كانت الحالة في ولاية الحلة مضطربة بسبب وقوعها بين دولة (آق قوينلو) ودولة المشعشعين، فكانت العشائر القاطنة في أراضي الحلة عرضة لهجمات المشعشعين من وقت لآخر وما يتبع ذلك من قتل ونهب وأسر وحرق.. وأما أهل الحلة فكانوا من أجل ذلك في وجل مستمر يترقبون الأخطار تأتيهم في كل لحظة.. لذا أخذت الروح العلمية والأدبية تتدهور حتى تلاشت بالنهاية، وذهب ما كان لها من نفوذ فكري على العالم الإسلامي..»[٢].

فالاضطراب السياسي وما تمخض عنه من فقدان الأمن أدى إلى أفول مدرسة الحلة العلمية وهجرة العلماء منها، في الوقت الذي كان للاستقرار السياسي والأمني الذي توفر مع ظهور دولة بني مزيد عاملاً مهما في ظهور هذه المدرسة.

ويعلق أحد الباحثين على هذه الظاهرة بقوله: «ليس من الغريب أن يكون الدافع السياسي عاملاً لتنشيط الحركة العلمية؛ فللسياسة أثر في هذه الأدوار، والقول الذي

---

(١) كركوش ـ يوسف، تاريخ الحلة: ١ / ١٣٢، وهنالك حديث طويل في رد هذا الادعاء على المشعشعين، أُنظر تاريخ المشعشعين: ٥٣ ـ ٥٧، طبعة النجف.

(٢) نفس المصدر: ١ / ١٣٢ ـ ١٣٦ بتلخيص.

يرى أن عودة الحركة العلمية إلى النجف الأشرف (من الحلة) نتيجة عامل السياسة، سنده الصراع العنيف في حينه على مراكز القوة والدائر بين العثمانيين والصفويين، والذي تأثر به العراق فترة من الزمن، فقد اندفع الصفويون لاحياء الحركة العلمية النجفية، وجعلها قوة دفاعية عن الشيعة ومركزا مهما يقابل بغداد»[1].

*** هجرة العلماء من الحلة إلى النجف وكربلاء:**

لقد أدى عامل الاضطراب السياسي وانعدام الأمن.. إلى هجرة العلماء لحوزة الحلة الدينية والانتقال إلى النجف الأشرف أو كربلاء المقدسة، أو مدن أُخرى، لائذين بالحرم الشريف للإمام علي عليه السلام وبالحائر الحسيني للإمام الحسين عليه السلام، باحثين عن الأمن والاطمئنان.

ولعل أول المهاجرين منها من العلماء والفقهاء الكبار هو فخر المحققين محمد أبو طالب ابن العلّامة الحلي، الذي تصدى للمرجعية الدينية بعد رحيل والده العلّامة سنة (٧٢٦ هـ)، وبقي بعده ردحا من الزمن ساهرا ومحافظا على الحوزة العلمية في الحلة، وحريصا على تربية العلماء والفضلاء فيها؛ إلّا أنه فارق الحلة بعد وفاة والده. وليس بين أيدينا من نصوص التاريخ ما يفصح عن الأسباب التي دعته إلى مفارقة حوزته العلمية؛ إلّا أ نّه يظهر من كلامه في بعض ما كتبه انه كان يشكو أعداءه، وتلك الأوضاع السيئة التي ظهرت في عصره؛ وهذا ما يستفاد من كلامه في حاشيته على كتاب الألفين لوالده العلّامة والذي نصه ما يلي: «يقول محمد بن الحسن بن المطهر

---

(١) بحر العلوم ـ محمد، مجلة آفاق نجفية، العدد ٢ لسنة ٢٠٠٦ م، ص ٩٥ ـ ١٠٢، وأُنظر له أيضا، بحث: الدراسة وتاريخها في النجف، ضمن أبحاث كتاب موسوعة العتبات المقدسة، قسم النجف: ٧ / ٥٩.

حيث وصل في ترتيب هذا الكتاب وتبينه إلى هذا الدليل (الدليل الحادي والخمسين بعد المائة) في الحادي عشر جمادى الآخر سنة ست وعشرين وسبعمائة بحدود آذربيجان؛ خطر لي أن هذا [الدليل] خطابي لا يصلح في المسائل البرهانية، فتوقفت في كتابته؛ فرأيت والدي عليه الرحمة تلك الليلة في المنام، وقد سلاني السلوان وصالحني الأحزان، فبكيت بكاءً شديدا وشكيت إليه من قلة المساعد وكثرة المعاند، وهجر الاخوان وكثرة العدوان، وتواتر الكذب والبهتان، حتى أوجب ذلك لي جلاء عن الأوطان، والهرب إلى أراضي آذربيجان. فقال لي: اقطع خطابك فقد قطعت نياط قلبي، وقد سلمتك إلى اللّه فهو سند من لا سند له، وجازِ في المسيء بالاحسان، فلك ملك عالم عادل قادر لا يهمل مثقال ذرة، وعوض الآخرة أحب إليك من عوض الدنيا.. ودع المبالغة في الحزن عليَّ فاني قد بلغت من المنى أقصاها، ومن الدرجات أعلاها، ومن الغرف ذراها، واقلل من البكاء، فانا مبالغ لك في الدعاء. فقلت يا سيدي: الدليل الحادي والخمسون بعد المائة من كتاب الألفين على عصمة الأئمة، يعتريني فيه شك! فقال: لِمَ؟ قلت: لأنه خطابي! فقال: بل برهاني..»[1]، ثم نقل جميع ما ذكره والده في توجيه برهانية الدليل.

ولا تسعفنا النصوص التاريخية عن تفاصيل هذه الرحلة، ولا عن المدة التي قضاها في آذربيجان، ولا عن صلة ذلك بالأوضاع السياسية التي كانت حاكمة في إيران! كما أنّ عودته إلى الحلة لم يكن زمنها معلوما؛ إذ ربما كانت بعد موت السلطان أبي سعيد عام (٧٣٦ هـ) أو ربما قبل هذا التاريخ»[2].

(١) أُنظر، العلاّمة الحلي ـ الحسن بن يوسف، الألفين في امامة أمير المؤمنين: ١٢٥ ـ ١٢٦، طبعة مؤسسة الأعلمي ـ بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٢ م ـ ١٤٠٢ هـ.

(٢) القزويني ـ جودت، المؤسسة الدينية: ١٤٧.

ومهما يكن من أمر، فقد عاد فخر المحققين إلى مدينة الحلة وحوزتها العلمية ومارس فيها نشاطه العلمي، وتفرغ لتخريج الفقهاء واصلاح مؤلفات والده، وشرح بعضها التزاما بالوصية التي كتبها له أبوه: مستفيدا من الاستقرار النسبي في الحلة بعد سيطرة حسن الجلايري عليها، حتى توفي فخر المحققين سنة (٧٧١ هـ) عن عمر ناهز التاسعة والثمانين عاما.

وقد اختلفت الأقوال في محل دفنه!! قال المامقاني في تنقيح المقال: «... ولم أقف على من عيّن مدفنه، والمنقول على لسان المشايخ انه صار أكيل السباع ـ لقضية تُنقَلُ لا استحسن نقلها للإزراء بمعاصريه ـ فلذا لم يوجد له جسد حتى يُدفن، واللّه سبحانه العالم».

إلّا أنّ السيّد جعفر آل بحر العلوم في كتابه تحفة العالم يقول: «ونقل المولى محمد تقي المجلسي في شرح الفقيه انه ـ أي فخر المحققين ـ دفن في الحلة ثم نقل إلى النجف» وفي هامش لؤلؤة البحرين: «.. ونقل جثمانه إلى النجف الأشرف، ولعله دفن قريبا من والده بالمقبرة المعروفة في ايوان الصحن الشريف الذهبي بجنب المنارة الشمالية»[1].

*** هجرة الشيخ العتائقي إلى النجف:**

هاجر الشيخ كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن إبراهيم العتائقي الحلي من الحلة إلى النجف الأشرف عام (٧٤٦ هـ) أي في عصر مرجعية فخر المحققين وزعامته للحوزة العلمية في الحلة. وهو من تلامذة العلّامة الحلي (ت ٧٢٦ هـ) الذي

---

(١) المامقاني، تنقيح المقال: ٣ / ١٠٦، وبحر العلوم ـ جعفر، تحفة العالم في شرح خطبة المعالم: ١ / ١٧٣، طبعة مكتبة الصادق ـ طهران، ولؤلؤة البحرين: ١٩١ الهامش.

يعبر عنه بشيخنا المصنّف. ومن مشايخه أيضا نصير الدين علي بن محمد الكاشاني (ت ٧٥٥ هـ)[1]. ولم يعد العتائقي إلى الحلة بعد أن هجرها إلى النجف، وإنما استوطن النجف وشارك مشاركة فاعلة في الحياة العلمية فيها، واغنى المكتبة الإسلامية بمختلف المؤلفات الرائعة، وكان مدرسا فاضلاً، ماهرا في الحكمة والكلام، والرياضيات والطب...

توفي بالنجف سنة (٧٩٣ هـ) ودفن بالصحن الشريف بالرواق المطهر[2].

*** هجرة الشيخ المقداد السيوري إلى النجف:**

ويعتبر الشيخ المقداد من أبرز العلماء الكبار المهاجرين إلى النجف الأشرف، بعد أن استكمل سلسلة معارفه وتعليمه على أيدي أساطين علماء الحلة من أمثال فخر المحققين، والشهيد الأول العاملي، والسيّد ضياء الدين الأعرج.. ويروي عنه مجموعة من تلامذته منهم: شرف الدين المكي، والحسين بن علاء الدين القمي، وتاج الدين الحسن بن راشد الحلي، ومحمد بن شجاع القطان الحلي، وأحمد بن فهد الحلي، وله تصانيف كثيرة منها: «كنز العرفان» و «التنقيح الرائع» و «النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر» و «القواعد».. وغيرها من المؤلفات.

وقد أرخ الحسن بن راشد الحلي تلميذ صاحب الترجمة وفاة أُستاذه بقوله: «توفي شيخنا الإمام العلّامة الأعظم أبو عبد اللّه المقداد السيوري نضّر اللّه وجهه بالمشهد المقدس الغروي على مشرّفه أفضل الصلوات وأكمل التحيات، ضحى نهار الأحد ٢٦

---

(١) الطهراني، الطبقات الحقائق الراهنة: ٥١ / ١٠٩.

(٢) الفتلاوي ـ كاظم عبود، مشاهير المدفونين في الصحن العلوي: ١٨٩ ـ ١٩٠.

من شهر جمادى الآخرة (٨٢٦ هـ) ودفن بمقابر المشهد المذكور..»[١].

والشيخ المقداد السيوري أو الفاضل المقداد هو صاحب المدرسة العلمية في النجف الأشرف، والتي عرفت باسمه (مدرسة المقداد) ثم جدّدها سليم خان فعرفت باسمه (المدرسة السليمية) وقد تحدثنا عنها ضمن مدارس النجف الأشرف.

*** هجرة الشيخ أحمد بن فهد الحلي إلى كربلاء:**

وهو جمال الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن فهد الحلي (ت ٨٤١ هـ) وله رواية عن جماعة من تلاميذ فخر المحققين وتلاميذ الشهيد.. جميعا عن فخر المحققين[٢] ويروي عنه الشيخ زين الدين علي بن هلال الجزائري، وهو من أبرز مشايخ المحقق علي بن العالي الكركي[٣].

كان ابن فهد من أكابر المدرسين في المدرسة العلمية في الحلة، إلّا انه هاجر في طلب العلم ولقاء المشيخة، فدخل البحرين ولقي فيها بعض رجال الفضل فأفاد واستفاد[٤]. ثم هاجر إلى كربلاء وسكنها، حتى توفي فيها عام (٨٤١ هـ) عن عمر ناهز خمسا وثمانين سنة، وفي هامش رجال السيّد بحر العلوم قال: «وقبر ابن فهد، بكربلاء، معروف مشهور يزار، وكان وسط بستان بجنب المكان المعروف بالمخيّم، وعليه قبة مبنية بالقاشاني، وقد جدّد بناؤه في عصرنا وفتح بجنبه شارع باسمه.. ويقال: إنّ صاحب الرياض الطباطبائي الحائري‏ﷺ كان في عصره كثيرا ما يتردّد إلى قبره

---

(١) الطهراني، الطبقات الضياء اللامع في القرن التاسع: ٦ / ١٣٨ ـ ١٣٩.

(٢) المرجع نفسه: ٦ / ١٠.

(٣) أنظر الحر العاملي، أمل الآمل: ٢ / ٢١٠، والطهراني، الذريعة: ٨ / ٦٩، ومقدمة المهذب البارع: ٢١ ـ ٢٢.

(٤) كركوش، تاريخ الحلة: ٢ / ١٣٨.

ويتبرّك به»[1].

إلّا انّ مؤرخ الحلة الشيخ يوسف كركوش يقول عن مكان قبر ابن فهد الحلي: «وقبره بالحلة في محلة جبران شمال شرقي حديقة الجبل وهو معروف مشهور لدى الحليين» ويرد على صاحب روضات الجنات الذي ذكر أن قبره معروف بكربلاء المشرفة.. بقوله: «ان هذا القبر الذي ذكره صاحب روضات الجنات هو قبر أحمد بن فهد الاحسائي، لا قبر أحمد بن فهد الحلي»[2].

إلّا أنّ المؤرخ الكبير الشيخ محمد حرز الدين يقول في بيان مرقد ابن فهد الحلي: «مرقده في كربلاء المقدسة بداره التي تقع قبلة لمرقد الإمام الحسينعليه السلام قريبة منه..» ويقول عن مرقد ابن فهد الاحسائي: «مرقده في الحلة معروف مشهود عليه قبة صغيرة الحجم..» ثم يقول: «وقيل العكس؛ هو ان مرقد ابن فهد الأسدي في الحلة، ومرقد شهاب الدين الاحسائي في كربلاء، وذلك خلاف التحقيق وما عليه سيرة علمائنا الأقدمين والمتأخرين المعتضدة بالشهرة والتلقي من أن ابن فهد الأسدي الحلي مرقده بأرض الطف والحائر الحسيني ـ كربلاء المقدسة ـ والظاهر ان الاشتباه نشأ من معاصرة كل منهما للآخر، إلّا انّ الاحساني بقي حيا مدة بعد وفاة الأسدي الحلي»[3].

المبحث السادس: طرق التعليم وأماكنها في مدرسة الحلة

تكمن الأهمية الحضارية لمدينة الحلة في كونها مدينة علمية أدبية؛ «ظهرت فيها

---

(١) بحر العلوم، الفوائد الرجالية: ٢ / ١١٠ الهامش.

(٢) كركوش، تاريخ الحلة: ٢ / ١٣٩.

(٣) حرز الدين ـ محمد، مراقد المعارف: ١ / ٧٦ ـ ٨٠، طبعة أُفست، مكتبة ابن جبير ـ قم، ٢٠٠٧م.

النهضة الفكرية منذ نهوضها على يد مؤسسيها.. وقويت هذه النهضة في القرن السابع الهجري، فكانت مركز كبار علماء الإمامية وفضلائهم وأُدبائهم الذين انصرفوا إلى الدرس والتدريس وانكبوا على الانتاج والتأليف»[1].

وأما طريقة التعليم في مدرسة الحلة العلمية وأماكنها؛ فلم تختلف عن طريقة وأماكن الحوزات العلمية السابقة لها كمدرسة الكوفة وبغداد والنجف الأشرف، فكانت مجالس التعليم تنعقد حول الأُستاذ على صورة حلقات تتخذ لها مكانا خاصا بها، يسمى باسم الأُستاذ»[2] ومن هذه الحلقات الدرسية:

أولاً: حلقة درس المحقق الحلي نجم الدين أبي القاسم جعفر بن الحسن (ت ٦٧٦ هـ)، وكانت من الحلقات الدرسية المهمة والتي تضم نخبة من فضلاء الحلة وعلمائها، وقد حضرها العالم الكبير نصير الدين الطوسي (ت ٦٧٢ هـ) في إحدى سفراته وجرت فيها مناقشة بينه وبين المحقق الحلي، كما بينا سابقا.

ثانيا: حلقة درس العلّامة الحلي، جمال الدين الحسن بن يوسف (ت ٧٢٦ هـ) وقد قيل عن هذا المجلس إنَّه خرج منه خمسمائة مجتهد[3]، وقد ذكر فخر المحققين محمد بن العلّامة الحلي مجلس والده الذي كان يدرس فيه في حياته[4].

هذان نموذجان لأهم حلقات الدرس لأهم علمين من أعلام الحلة وحوزتها العلمية، والتي يمكن تعميمها على مجالس درس العلماء الآخرين ممن كانوا يعقدون مجالس درسهم في بيوتهم أو المساجد.

---

(١) آل ياسين ـ محمد مفيد، الحياة الفكرية في العراق في القرن السابع الهجري: ٢٢٩.

(٢) المرجع نفسه: ٢٣١.

(٣) الصدر ـ حسن، تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: ٢٧٠.

(٤) المجلسي، بحار الأنوار: ٢٥ / ٣٧.

وأما أماكن التعليم في حوزة الحلة، فقد وردت بعض الاشارات إليها ضمن تراجم بعض أعلام هذه الحوزة، وهي كما يلي:

١ ـ بيوت الدرس:

وهي بمثابة «دور العلم» التي كانت معروفة في بغداد وغيرها من الحواضر الإسلامية وقد ورد الاشارة إلى بيوت الدرس هذه ضمن ترجمة علم من أعلام الحلة وهو الشيخ نجيب الدين محمد بن جعفر بن أبي البقاء هبة اللّه بن نما الحلي (ت ٦٤٥ هـ) وهو شيخ فقهاء الإمامية في عصره، ومن مشايخ المحقق الحلي، وبحسب تعبير البحراني: «وكان هذا الشيخ رئيس الطائفة في زمانه، محققا مدققا»[(١)].

وفي أمل الآمل عن بعض تلامذة ابن فهد ما صورته: «حوادث سنة (٦٣٦ هـ) فيها عمّر الشيخ الفقيه العالم نجيب الدين محمد بن جعفر بن هبة اللّه بن نما الحلي بيوت الدرس إلى جانب المشهد المنسوب إلى صاحب الزمان عليه السلام بالحلة السيفية، وأسكنها جماعة من الفقهاء»[(٢)].

ويبدو، أنَّ هذه البيوت لم تكن بيوتا سكنية لغرض سكن العلماء فقط، وإنما كان الغرض منها أن تكون محلاً للتدريس أو ما يصطلح عليه بـ (المَدْرَسْ)، أو إنها تؤدي وظيفة مزدوجة بين كونها محلاً للسكن والدرس معا. إلّا «أنَّ هذه البيوت لم تستمر طويلاً، ولعلها زالت بوفاة مؤسسها، إذ لم نجد لها أيّةَ إشارة بعده»[(٣)].

---

(١) البحراني ـ يوسف، لؤلؤة البحرين: ٢٧٢، تحقيق: محمد صادق بحر العلوم، طبعة مؤسسة آل البيت.

(٢) المرجع نفسه: ٢٧٢ الهامش عن تكملة أمل الآمل.

(٣) آل ياسين ـ محمد مفيد، الحياة الفكرية: ٢٣١.

٢ ـ بيوت العلماء:

وقد اتخذ بعض علماء الحلة من بيوتهم مكانا للتدريس؛ بأن يخصص بعض غرف المنزل أو سطح الدار أو صحنه لهذا الغرض.

وهي سنة حسنة ورثها علماء مدرسة الحلة من سلفهم الصالح من علماء مدرسة بغداد والنجف الأشرف؛ إذ كان الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان (ت ٤١٣ هـ) يدرِّس في بيته، وكذلك الشيخ الطوسي محمد بن الحسن (ت ٤٦٠ هـ) قد اتخذ من بيته مدرسا، وترد الاشارة إلى بيوت العلماء في مدرسة الحلة ضمن تراجم بعض العلماء، فقد ورد أنَّ أبا البقاء هبة اللّه بن نما الحلي (ت حدود ٥٧٣ هـ) كان يدرِّس بالحلة في داره سنة (٥٦٥ هـ)[1].

ورد أيضا أنَّ جمال الدين أباالفضل أحمد بن محمد بن المهنا الحسيني النسابة (ت ٦٨٢ هـ) يدرِّس «بمنزله بالحلة السيفية في رجب سنة إحدى وستين وستمائة»[2].

وكان بالحلة معلمون ومؤدبون يقرأ عليهم المبتدأون في الدراسة (في بيوتهم) فقد ذكر الخاقاني في شعراء الحلة «ان بدء دراسة العلّامة الحلي كانت على معلم خاص يدعى (محرم)»[3].

٣ ـ الجوامع والمساجد:

وهي دور العباده التي كانت منتشرة وبكثرة في مدينة الحلة، وكانت تؤدي دورها في التربية والتعليم كمعاهد للدرس والتدريس، ومما لا شك فيه أنَّ بعض العلماء كان

---

(١) الطهراني، طبقات أعلام الشيعة، الثقات العيون في سادس القرون: ٣ / ٣٣٤.

(٢) الخاقاني ـ علي، شعراء الحلة: ٢ / ٨٩.

(٣) آل ياسين ـ محمد مفيد، الحياة الفكرية: ٢٣٣ عن الخاقاني في شعراء الحلة: ٢ / ٨٩.

يتخذ منها مدرسا لتدريس طلّابه، ونجد اشارة إلى ذلك، في ترجمة السيّد مجد الدين أبي الفوارس محمد بن علي الأعرج، الذي قال عنه ابن شدقم واسمه مرقوم في حائر الحسين عليه السلام ومساجد الحلة..»[1].

٤ ـ المدارس الدينية في حوزة الحلة العلمية:

رغم أهمية حوزة الحلة العلمية وامتدادها الزمني، ورفاهها المالي والاقتصادي، وتمركز أساطين العلماء والمرجعية الدينية فيها، ووفود آلاف الطلبة إليها.. رغم كل هذه العوامل المساعدة، إلّا أننا لا نجد فيها ظاهرة انشاء المدارس الدينية التي انتشرت آنذاك في بغداد زمن حكم السلاجقة وما بعدها من الأزمنة!

وهذه الظاهرة أثارت استغراب بعض الباحثين في الحركة الفكرية والمؤرخين لها، فكتب: يقول: «ومما يجلب الانتباه ويثير الاستغراب، عدم ورود ذكر لانشاء مدرسة بالحلة، أو لاقامة مؤسسة تعليمية نظامية فيها خلال هذه القرون، وخاصة القرن السابع الذي أُسست فيه المدرسة المستنصرية ببغداد (٦٣١ هـ) وشاع فيها تأسيس المدارس فانتشرت في العاصمة وغيرها من مدن العراق».

ويجيب هذا الباحث بنفسه عن هذه الظاهرة التي أثارت استغرابه بقوله: «ولعل ابتعاد الحلة عن التعليم المدرسي يعود إلى طبيعة مذهب الإمامية، وطبيعة دراستهم الفقهية ذاتها، فقد كان المذهب الإمامي في انفصال عن الحكم والسلطة، وكانت دوافع البحث والدراسة عند فقهائه بعيدة عن حاجات ورغبات الحاكمين، أو الظروف السياسية، وكان يقوم على مبدأ الاجتهاد والذي استفاد الفكر الإمامي منه نماءً

---

(١) البحراني، لؤلؤة البحرين: ١٨٧ الهامش.

وثراءً»[1].

ومن خلال تتبع بعض تراجم علماء الحلة يمكن للباحث أن يرصد أسماء بعض المدارس التي اقترن اسمها ببعض العلماء دون الاشارة إلى تفاصيل أُخرى حول هذه المدارس من ناحية نظامها التعليمي، ومناهجها الدراسية، وأساتذتها وطلّابها.. وغير ذلك، ومن هذه المدارس:

١ ـ مدرسة الشيخ محمد بن ادريس الحلي (ت ٥٩٨ هـ):

فقد ورد ضمن ترجمته انه «كانت له مدرسة خاصة تجاور مسكنه، وبقي في الحلة لغاية سنة (٥٩٨ هـ) وهي سنة وفاته، ودفن في ضمن حدود مدرسته..»[2] وليس بين أيدينا تفاصيل أُخرى عن هذه المدرسة!

٢ ـ المدرسة الزينبية أو الزعيّة أو الشرعية:

وهي المدرسة التي يذكرها علماء الرجال والتراجم ـ وبأسماء متعددة ـ في ترجمة الشيخ أحمد بن فهد الحلي، حيث جاء في بعضها: «.. واستمر على بساط التلمذة مستفيدا من فيوضات هؤلاء العلماء حتى ترقّى إلى درجة الاجتهاد في الفقه، ثم أصبح مرجعا وملاذا للعلماء في الحلة، وفرش بساط التدريس في المدرسة (الزينبية) في الحلة السيفية واجتمع حوله جمع غفير من الطلّاب ينهلون من ينابيع علمه ومعرفته..»[3].

---

(١) آل ياسين ـ محمد مفيد، متابعات تاريخية لحركة الفكر في الحلة: ٥٨ ـ ٥٩، طبعة المكتبة العصرية ـ بغداد، الطبعة الأُولى، ١٤٢٥ هـ ـ ٢٠٠٤ م.

(٢) عوض ـ عبد الرضا، مقال: الحوزة العلمية في الحلة؛ مجلة آفاق نجفية، العدد ١٢، السنة الثالثة، ص ٣٦.

(٣) المهذب البارع، المقدمة: ١٢ عن نامه دانشوران: ١ / ٣٧٢.

وقال اسماعيل باشا البغدادي: «ابن فهد الحلي أحمد بن شمس الدين محمد ابن فهد، جمال الدين الحلي الأسدي الشيعي، كان يدرّس في المدرسة (الزعية) بالحلة السيفية من علماء الإمامية»[1].

وجاء ذكر هذه المدرسة في ترجمة محمد بن فلاح المشعشع: «توفي والده وهو صغير وتزوج الشيخ أحمد بن فهد الحلي بأُمه، فرباه وأحسن تربيته، ولما شبّ أدخله مدرسته (الزعية) وأخذ يدرسه العلوم والمعارف...»[2].

وهذه المدرسة تسمى تارة بالمدرسة (الزينبية) وأُخرى بالمدرسة (الزعية) وسماها مؤرخ الحلة الشيخ يوسف كركوش بالمدرسة (الشرعية) وقال في تعريفها: «كانت المدرسة الشرعية في الحلة تضم فئة من رجال العلم والأدب والفلسفة، ولم تكن بغداد في ذلك الوقت تضاهيها من هذه الناحية، فقد هاجر عنها العلماء ورجال الفكر إلى أنحاء أُخرى، وكان أكبر مدرسي المدرسة (الشرعية) الشيخ أحمد بن فهد الحلي، وقد تخرّج عليه جماعة من العلماء الأفاضل منهم: عز الدين المهلبي، والشيخ عبد الشفيع بن فياض الأسدي الحلي، والسيّد محمد بن فلاح المشعشع.. إلى غير هؤلاء»[3].

٣ ـ مدرسة صاحب الزمان:

وقد ذكر هذه المدرسة المؤرخ يوسف كركوش في هامش تاريخه عن مدينة الحلة معلقا على كلام الرحالة ابن بطوطة الذي زار الحلة ووصفها وذكر أثناء ذكر مشهد صاحب الزمان، فقال الشيخ كركوش معلقا وموضحا ما نصه: «ولعلّه هو مدرسة

---

(١) البغدادي ـ اسماعيل باشا، هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: ١ / ١٢٥.

(٢) كركوش ـ يوسف، تاريخ الحلة: ٢ / ١٤٣.

(٣) المرجع نفسه: ١ / ١٢٨.

صاحب الزمان أو كانت بالقرب منه، فإنّ من مدارس الحلة المندثرة مدرسة صاحب الزمان، وقد كتب بها الأخوان جعفر والحسين ابنا محمد كتاب قواعد الأحكام للعلّامة الحلي، كتب كل منهما مجلدا بتاريخ سنة (٧٧٦ هـ) وصححاه عن نسخة في الحلة في مدرسة صاحب الزمان، والنسخة في مكتبة (غرب) بهمدان في إيران برقم (٩٢٧). وقد فات مؤلف هذا الكتاب أن يذكر هذه المدرسة فلاحظ. كما كتب بها أيضا المختصر النافع للمحقق الحلي وتاريخه يوم الخميس (١٦ ربيع الأول) سنة (٩٥٧ هـ) في مدرسة صاحب الزمان في الحلة، والنسخة في مكتبة عبد المجيد الموسوي الشخصية في خراسان..»[(١)].

وليس بين أيدينا تفاصيل أُخرى عن هذه المدرسة، أو مدارس أُخرى ربما كانت واندثرت كهذه المدرسة ولم يكتب أحد تاريخها، أو كتب عنها ولكنها أيضا تلفت مع ما تلف من تراثنا وتاريخنا.

٤ ـ المدرسة السيارة:

وهي المدرسة التي صنعها السلطان محمد خدابنده الذي تولى حكم الدولة الاليخانية خلال الفترة (٧٠٣ ـ ٧١٦ هـ) والذي أظهر المذهب الشيعي وجعله المذهب الرسمي في جميع انحاء مملكته.. فكان هذا أول ظهور رسمي للتشيع في إيران، وكان ذلك بجهود العلّامة الحلي والذي بقي في إيران بصحبة السلطان ثلاث سنوات.. وبلغ من شغف السلطان بالعلّامة الحلي أن صنع له مدرسة سيارة معمولة من الأدم (الجلود) تنقل معه في أسفاره فإذا حلّ في مكان أُقيمت له تلك المدرسة،

---

(١) كركوش ـ يوسف، تاريخ الحلة: ١ / ١١٧، وأُنظر رحلة ابن بطوطة: ١٣٩.

وفيها جميع ما يلزم من غرب واواوين ولوازم أُخرى..»[1].

وليس لدينا تفاصيل دقيقة أُخرى عن هذه المدرسة.

المبحث السابع: المناهج التدريسية في حوزة الحلة

مما لا شك فيه أن التراث العلمي الذي خلفته مدرسة بغداد؛ وورثته مدرسة النجف الأشرف وحوزتها العلمية في دورها الأول؛ كان تراثا علميا كبيرا ومتنوعا وشاملاً لأغلب المعارف والعلوم السائدة آنذاك؛ وخاصة تركة الشيخ الطوسي العلمية، والتي خلفها في مجال علم الفقه، وأُصوله، والرجال، والتفسير، والحديث، وعلم الكلام وغيرها من العلوم التي «رفعته.. عن مستوى النقد، وجعلت آراءه ونظرياته شيئا مقدسا لا يمكن أن ينال باعتراض أو يخضع لتمحيص»[2].

وأصبح منحى «التقليد» هو المنحى السائد في الحوزة العلمية التي أعقبت وفاة الشيخ الطوسي (٤٦٠ هـ) إلى فترة استمرت لأكثر من قرن من الزمن، ومن برز من علماء هذه الفترة لم يستطع تجاوز آراء الشيخ الطوسي ومبتكراته الفقهية والأُصولية.

وعلى ضوء هذا الواقع السكوني للحوزة العلمية بعد رحيل الطوسي، بقيت المناهج والمتون الدراسية التي أ لّفها الشيخ هي السائدة في الحوزة ولم يؤلف بديلاً عنها طيلة أكثر من قرن من الزمن، وما كُتب من مؤلفات فقهية أو أُصولية لم تستطع أن تحل محل كتب الشيخ في مجال التدريس.

فنجد كتاب «النهاية» في علم الفقه للشيخ الطوسي هو الكتاب والمتن التدريسي لهذا العلم طيلة هذه الفترة، بل ان بعضهم قد أسبغ على هذا الكتاب هالة قدسية

---

(١) كركوش ـ يوسف، تاريخ الحلة: ١ / ١٠٨.

(٢) الصدر ـ محمد باقر، المعالم الجديدة: ٨٦ ـ ٨٧، الطبعة الثالثة، ١٤٢٩ هـ.

عجيبة فادعى انه رأى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في المنام يخبره بصحة كافة فتاوى الشيخ في كتاب النهاية[١].

كذلك الأمر في كتاب «العدة» في علم الأُصول للشيخ أيضا، إذ لم يحل محله كتاب آخر في هذا العلم إلى زمن ظهور كتاب (المعارج) المحقق الحلي (ت ٦٧٦ هـ)، رغم أنه خلال هذه المرحلة قد كتبت مؤلفات أُصولية متعددة كان من أهمها كتاب «التقريب» الذي أ لّفه حمزة بن عبد العزيز الديلمي المعروف سلّار (ت ٤٦٣ هـ) وكتاب «المصادر في أُصول الفقه» للشيخ سديد الدين الحمصي «كان حيا حدود سنة ٦٠٠ هـ» كذلك كتاب «غنية النزوع إلى علمي الأُصول والفروع» للشيخ حمزة بن علي بن زهرة الحلبي (ت ٥٨٥ هـ)[٢].

إلّا ان هذه المؤلفات وغيرها لم تستطع ان تزيح كتاب الشيخ الطوسي وتحل محله، حتى ظهور مدرسة الحلة.

وتعتبر مدرسة الحلة وحوزتها العلمية، مدرسة تجديدية مبدعة، استطاعت ومن خلال جهود علمائها أن تجدد في الموروث الفقهي والأُصولي والرجالي، وكان لها ابداعها في المجال العقلي والفلسفي والكلامي.

ومن يسبر غور تراث هذه المدرسة العلمي ـ وهو تراث ضخم تحدثنا عنه سابقا ـ يجد معالم هذا التجديد جليا؛ ويلمس حضور مدرسة جديدة في الاجتهاد، لها ابداعها في جميع المجالات العلمية، ومنها الكتب الدراسية المنهجية الحوزوية.

ويعتبر المحقق الحلي نجم الدين جعفر بن الحسن (ت ٦٧٦ هـ) من أهم

---

(١) جناتي، ادوار الاجتهاد: ٢٥٧، وأُنظر كتابنا: تطور حركة الاجتهاد: ٢٨٥.

(٢) القزويني ـ جودت، المؤسسة الدينية: ٨٧.

الشخصيات العلمية في مدرسة الحلة وله إبداعه في كافة المجالات العلمية والمعرفية وخاصة في مجال وضع المناهج الدراسية البديلة عن المنهج القديم المتبع منذ زمن الشيخ الطوسي، «فإنّه استطاع أن يغير المناهج الدراسية باستبدال كتابه الفقهي المسمّى بـ «شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام» كبديل لكتاب (النهاية) للشيخ الطوسي، لما رآه من ضرورة نقل الفقه إلى دائرة أوسع مما كان عليه، لأنّ كتاب الطوسي لم يتعدّ إيراد أُمهات مسائل الفقه، وأُصوله، في حين أنّ كتاب الشرائع اشتمل على التفريع، وتخريج الأحكام، فإنَّ اقرار كتاب الشرائع رسميا في الدراسة الفقهية والعناية به بحثا وتعليقا قاد إلى توسيع مناهج الاستنباط والتصنيف» وقد اهتمَّ الفقهاء منذ عهد تأليف الشرائع اهتماما كبيرا به، ولا يزال من الكتب التي عليها مدار الدراسة في مراكز العلم..»[1].

كذلك نجد له متنا فقهيا مختصرا خاليا من الاستدلال يعرف بـ (المختصر النافع) وهو اختصار لكتابه الموسع الشرائع، وأما في مجال علم أُصول الفقه، فنجد له أيضا كتاب «معارج الأُصول» وكتاب «نهج الوصول إلى معرفة علم الأُصول» والذي استطاع من خلالهما «أن يقدّم تنقيحات في علم الأُصول أعطت للاجتهاد مدلولاً جديدا نقلت بعض مباحثه من طورها التقليدي إلى طور آخر أكثر شمولاً واستيعابا»[2]، و قد حلَّ هذان الكتابان محلَّ كتاب (العدة في علم الأُصول) للشيخ الطوسي وكتاب (الذريعة في علم الأُصول) للمرتضى.

ثم جاءت من بعد كتب المحقق الحلي المنهجية التدريسية، كتب العلّامة الحلي

---

(١) القزويني ـ جودت، المؤسسة الدينية: ٩٨.

(٢) المرجع نفسه: ١٠٠.

في الفقه والأُصول، والتي كتبها على مستويات متعددة ـ كما مر بنا سابقا ـ وفي علم الأُصول الذي له فيه أكثر من مؤلف وعنوان، كالمبادئ، والتهذيب، والنهاية...

كذلك نلمس معالم التجديد في المناهج الدراسية في حوزة الحلة العلمية من خلال تسرب الأفكار الفلسفية والكلامية لنصير الدين الطوسي (ت ٦٧٢ هـ) إلى المعاهد التعليمية في مدرسة الحلة من خلال كتابه «تجريد الاعتقاد» الذي شرحه تلميذ الطوسي العلّامة الحلي، والذي لا زالت المراكز العلمية إلى اليوم قائمة بتدريسه، والجديد في هذا الكتاب أنّ نصير الدين «مزج فيه الفلسفة لأول مرّة بعلم الكلام مزجا تاما بحيث صارا شيئا واحدا»[1].

كذلك استطاعت مدرسة الحلة ان تنفتح على المناهج السائدة في المدارس الفقهية الأُخرى آنذاك.

فنجد من بين التراث الأُصولي للعلّامة الحلي شروحا لبعض المتون الدراسية التي كانت سائدة عن اتباع المذاهب الأُخرى والتي أ لّفها كبار علمائهم، فنجد له شرحا في أُصول الفقه للغزالي (ت ٥٠٥ هـ) وهو من أئمة المذهب الشافعي، وكتابا آخر لأبي بكر الجصاص (ت ٣٧٠ هـ) وهو أيضا من كبار علماء المذاهب السنية سماه «الشرح المختصر في أُصول الفقه»[2].

كذلك نجد من بين المؤلفات الأُصولية للعلّامة الحلي شرحا لكتاب مختصر الأُصول لابن الحاجب، المتوفى سنة (٦٤٦ هـ) وهو من علماء السنة، وهو شرح مزجي، أسماه (غاية الوصول وايضاح السبل في شرح مختصر منتهى السؤل والأمل).

---

(١) القزويني ـ جودت، المؤسسة الدينية: ١٠٧، عن مصطفى الشيبي، الصلة بين التصوف والتشيع: ٢ / ٨٦.

(٢) نفس المصدر: ١١٩.

وعلّل بعض الباحثين عمل العلّامة الحلي على الكتب الأُصولية هذه انه ناشئ من التقارب في وجهات النظر بين بعض المذاهب السنيّة والمذهب الإمامي[1]؛ إلّا أنّ الهدف الذي أراده ابن المطهر هو محاولة ادخال نفس جديد في مباحث الكتب السنيّة وتحويلها بما يلائم الطريقة التي يؤمن بها في التفكير. ففي كتاب المختصر للجصاص حاول ان يضع له شرحا مزجيا معتمدا على طريقته الخاصة في الاجتهاد[2].

ولم تتنكر مدرسة الحلة للتراث الفقهي والأُصولي للشيخ الطوسي، وانما تعاملت معه بروح علمية نقدية، كما هو منهج ابن ادريس في تعامله مع آراء الشيخ الطوسي، كذلك نجد المحقق الحلي ومن بعده تلميذه العلّامة الحلي يتعاملان مع آراء الشيخ بروح علمية وبمنهجية فريدة في تقبل تلك الآراء أو ردِّها؛ بالاضافة إلى شرح وبيان لتلك الآراء الفقهية، كما هو واضح من خلال مؤلف المحقق الحلي المعروف بـ (نكت النهاية) والذي شرح فيه المتن الفقهي التدريسي للشيخ الطوسي (النهاية).

وبما أن بعض المتون والمناهج الدراسية بحاجة إلى شروح وتوضيحات للدارسين لها، فقد انبرى بعض أُولئك الأعلام إلى شرحها وتوضيحها، إمّا مباشرة من قبلهم كما فعل ذلك المحقق الحلي في شرحه لكتاب (المختصر النافع) والذي اسماه بـ (المعتبر في شرح المختصر)؛ وإمّا بواسطة تلامذتهم الدارسين عندهم كما نجد ذلك عند أبرز تلامذة المحقق الحلي الشيخ حسن بن أبي طالب المعروف بـ (الفاضل الآبي) الذي كان حيا في (حدود ٦٧٢ هـ) والذي كتب شرحا لكتاب أُستاذه

---

(١) عمرو ـ يوسف، أُصول الفقه الجعفري: ١٥١.

(٢) القزويني ـ جودت، المؤسسة الدينية: ١٢٠.

(المختصر النافع) سماه (كشف الرموز). كذلك نجد للشيخ المقداد السيوري (ت ٨٢٦ هـ) ـ وهو من كبار علماء الحلة ـ شرحا مزجيا لكتاب (المختصر النافع) عرف بـ (التنقيح الرائع في شرح مختصر الشرائع).

كذلك نجد لابن فهد الحلي (ت ٨٤١ هـ) شرحه الموسوم بـ (المهذب البارع إلى شرح المنافع)، وهكذا توالت الشروح والتوضيحات على هذا المتن الدراسي الفقهي، حتى أحصى له الشيخ الطهراني أكثر من ثلاثين شرحا بالاضافة إلى الحواشي المتعددة[١].

كذلك نجد الشروح والحواشي المتعددة على كتاب (شرائع الإسلام) للمحقق الحلي، ومنذ عصر المحقق (ت ٦٧٦ هـ) وإلى يومنا هذا، وقد أحصى الشيخ الطهراني الكثير من هذه الشروح والحواشي، ولكبار العلماء والفضلاء، وقال واصفا كتاب الشرائع: «من أحسن المتون الفقهية ترتيبا وأجمعها للفروع، وقد ولع به الأصحاب من لدن عصر مؤلفه إلى الآن، ولا يزال من الكتب الدراسية في عواصم العلم الشيعية، وقد اعتمد عليه الفقهاء خلال هذه القرون العديدة فجعلوا ابحاثهم وتدريساتهم فيه، وشروحهم وحواشيهم عليه، وللعلماء عليه حواشي كثيرة.. وله شروح متعددة.. بل إنَّ معظم الموسوعات الفقهية الضخمة التي أُلفت بعد عصر المحقق شروح له كما توضحه أسماؤها.. هذا ما حضرني من الشروح التي لها عناوين خاصة تذكر في محلها، وسيأتي قرب مائة شرح بعنوان شرح الشرائع ليس له عنوان خاص..»[٢].

---

(١) الطهراني، آقا بزرك، الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ٦ / ١٤١ و ١٤ / ٣٦ ـ ٣٩.

(٢) المرجع نفسه: ٦ / ٧٧ ـ ٧٩ و ١٣ / ٣٠ ـ ٣١.

كذلك نجد كتب العلّامة الحلي (ت ٧٢٦ هـ)، قد حظيت بدورها أيضا بالشرح والتوضيح من قبل تلامذته وتلامذة تلامذته ومن تلاهم من العلماء والفضلاء، وكان على رأس أُولنك الشراح ولده محمد بن الحسن المعروف بفخر المحققين (ت ٧٧١ هـ) الذي تصدر بعد والده للتدريس، وتربية الطلّاب والفضلاء في حوزة الحلة العلمية وقد شمر عن ساعد الجد في شرح كتب والده الفقهية والأُصولية، وله من الشروح كتاب (شرح قواعد الأحكام) الموسوم بـ (ايضاح الفوائد في شرح اشكالات القواعد) كذلك له حاشية على الارشاد (ارشاد الأذهان) لوالده وله أيضا شروح على الكتب الأُصولية لوالده، فله (شرح مبادئ الأُصول) و (غاية السؤول في شرح تهذيب الأُصول) وكلا الكتابين لوالده أيضا.

وجاء من بعد ذلك تلامذة العلّامة وتلامذة ولده، وتلامذتهما وامتداد مدرسته وفروعها الباسقة المثمرة، لتصل تراث العلّامة شرحا وتعليقا وتوضيحا واختصارا، فبرزت لدينا عناوين كثيرة لهذه المؤلفات احصى عناوينها الشيخ الطهراني في ذريعته[1].

كذلك حظيت كتب العلّامة العقائدية والكلامية بنفس الدرجة من الاهتمام من قبل تلامذته وامتدادهم في حوزة الحلة العلمية، فنجد الشروح والحواشي على كتاب (نهج الحق وكشف الصدق)، وكذلك حظي الكتاب المختصر (نهج المسترشدين) بنفس الدرجة من الاهتمام، بالاضافة إلى كتاب (شرح التجريد) الموسوم بـ (شرح المراد في شرح تجريد الاعتقاد) والذي تحدثنا عنه سابقا.

وخلاصة الأمر؛ فإن مدرسة الحلة العلمية جددت مناهج الحوزة العلمية وأبرزت

---

(١) أُنظر، الطهراني ـ آقا بزرك، الذريعة: ١٤ / ١٢ ـ ١٥، ٣٣ ـ ٣٤.

متونا دراسية بديلة عن المتون الدراسية السابقة عليها، كما ظهر فيها منهجية جديدة في التأليف والتدوين وبيان المصطلحات والمفاهيم[1].

كما أن هذه المناهج والمتون الدراسية قد تداولها العلماء والفقهاء من عصر مؤلفيها وإلى الوقت الحاضر بالدرس والتدريس، وكتبت عليها الشروح والحواشي والتعليقات الكثيرة، ولا زال الكثير من هذه المتون الدراسية هي السائدة الآن في الحوزات العلمية والمدارس الدينية كمتون دراسية رغم مرور قرون من الزمن على تأليفها وتدوينها.

المبحث الثامن: مصادر التمويل المالي في حوزة الحلة

لقد كانت الحوزة العلمية في الحلة وعلى طول تاريخها المديد من الحوزات العلمية المتمكنة ماليا، إذ كان يفيض عليها الخير والعطاء من كلّ صوب وحدب، وكانت بدورها تفيض علما ومعرفةً وفكرا وعطاءً للإسلام والمذهب، فكانت مقصدا ودار هجرة لطلّاب العلوم والمعارف والآداب، فقصدها عشاق الفضيلة ليدرسوا العلوم على علمائها الأعلام، فنبغ فيها العلماء والحكماء والأُدباء، وذاع صيتهم مدى الآفاق»[2].

وتعود مصادر التمويل إلى عوامل متعددة منها:

أولاً: موقعها التجاري المتميز:

يصف البلدانيون مدينة الحلة بأنها: «مدينة زاهرة في موضع عامر بالخصب.. وتقع بالجانب الأيمن للفرات.. وسمّوا أرضه «بالسواد» لخضرته بالنخل والزرع..».

---

(١) أُنظر، الطهراني ـ آقا بزرك، الذريعة: ١٣ / ٨٥ ـ ٨٩ و ١٤ / ٩٧ ـ ٩٩.

(٢) كركوش ـ يوسف، تاريخ الحلة: ٢ / ٣.

لقد كان لهذه المدينة بموقعها الجغرافي المتميز وأنهارها الجارية، وأرضها الخصبة، وقراها المتصلة بها.. اقتصاد قوي، وموارد مالية كبيرة أدت إلى ازدهارها ورفاه أهلها ماليا، مما انعكس إيجابيا على أبنائها ممن تفرغ لطلب العلم في حوزتها الدينية، إذ كان أغلبهم ممن ينتسب إلى الحلة أو إلى قراها المجاورة لها كالنيل، وبرس، وسورى، والسيب، والعتانق.. وغيرها، من القرى الكثيرة والتي تتفرع منها قرى أُخرى كما هو في قرية النيل التابعة للحلة، والواقعة على نهر النيل، حيث يقول المؤرخون بأنه «كان على نهر النيل أربعمائة قرية آهلة بالسكان»[1].

ثانيا: كرم الأُمراء المزيدين:

لقد بدأت النهضة العلمية والأدبية في الحلة منذ مصرها الأمير سيف الدولة صدقة بن مزيد مؤسس الدولة المزيدية وباني مجدها التليد.

وقد عرف الأمير صدقة ومن تلاه من أُمراء هذه الأمارة الكريمة بسجايا ومكارم كثيرة من أهمها، محبتهم للعلوم والمعارف، وكرمهم «ولغرام أُولئك الأُمراء الكرام بالعلوم والآداب، كانوا يدنون منهم مجالس أرباب العلوم والأدب، وينتشلونهم من مهاوي البؤس والفاقة.. لذلك تقاطر إليها العلماء والأُدباء والشعراء ليتمتعوا بحرية تامة وعيشة راضية، فرسخت فيها الروح العلمية والأدبية حتى اينعت وأثمرت وجادت بما يستطاب». يقول العماد الإصفهاني: «ملوك العرب وأُمراؤها بنو مزيد الأسديون النازلون بالحلة السيفية على الفرات، كانوا ملجأً للاجنين، وثمال الراجين، وسوئل المعتفين، وكنيف المستضعفين، تشد إليهم رحال الآمال، وتنفق عندهم فضائل

(١) كركوش ـ يوسف، تاريخ الحلة: ١ / المدخل ص ١ وما بعدها.

الرجال.. وأثرهم في الخيرات أثير، والحديث عن كرمهم كثير..»[1].

ثالثا: رعاية نصير الدين الطوسي للعلم والعلماء:

لقد كانت لشخصية محمد بن محمد بن الحسن الطوسي المعروف بالمحقق الطوسي وبالخواجه نصير الدين الطوسي، دور فاعل ومؤثر في الحياة العلمية في القرن السابع الهجري، وفي فترة عصيبة من تاريخ الأُمة الإسلامية، حيث استطاع وبجهوده ووجاهته ومكانته العلمية أن يحفظ ما تبقى من تراث المسلمين، وأن يحفظ حياة الكثير من علماء المسلمين بغض النظر عن انتماءهم المذهبي، وكانت له اليد البيضاء الكريمة على علماء المسلمين عامة وعلى علماء الشيعة وحوزتها العلمية في الحلة خاصة.

لقد وفر نصير الدين الطوسي للعلماء والفقهاء والمحدثين والحكماء والفلاسفة حياة حرة كريمة «وقرر رواتب دائمة لطلّاب المدارس والمعاهد بحسب أهميتها»[2] وقد تحدثنا عن ذلك فيما سبق من البحث، وليس هنالك من اضافة إلّا مقطع من رسالة أنشأها عالم دمشق مؤيد الدين العرضي، وهو أحد العلماء العرب الذين لبوا دعوة الطوسي فترك دمشق ومضى إلى مراغة عاملاً تحت لواء الطوسي في الميدان العلمي الواسع، وإليك ما كتبه في رعاية الطوسي للعلماء في مقدمة رسالته: «.. وذلك باشارة مولانا المعظم والإمام الأعظم العالم الفاضل المحقق الكامل قدوة العلماء وسيد الحكماء، أفضل علماء الإسلاميين بل المتقدمين، وهو من جمع اللّه سبحانه فيه ما تفرق في كافة أهل زماننا من الفضائل والمناقب الحميدة وحسن السيرة، وغزارة

(١) كركوش ـ يوسف، تاريخ الحلة: ٢ / ٤ عن العماد الإصفهاني في كتابه (الخريدة).

(٢) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ١٤ / ٢٤٦.

العلم وجزالة الرأي وجودة البديهة والاحاطة بسائر العلوم، فجمع العلماء إليه، وضمَّ شملهم بوافر عطائه، وكان بهم أرأف من الوالد على ولده، فكنا في ظله آمنين، وبرؤيته فرحين كما قيل:

نميـــل علـــى جوانبـــه كأنـــا نميـــل إذا نميـــل علـــى أبينـــا

ونغضـــبه لنخبـــر حالتيـــه فنلقـــى منهمـــا كرمـــا ولينـــا

وهو المولى نصير الملة والدين محمد بن محمد الطوسي أدام اللّه أيامه، ولقد كنت:

واســتكبر الأخبــار قبــل لقائــه فلما التقينـا صـغر الخُبـر الخَبـرْ

فلله أيام جمعتنا بخدمته، وأبهجتنا بفوائده، وإن كانت قد أبعدتنا عن الأوطان والعشيرة والولدان، فإن في وجوده عوضا عن غيره، ومن وجده فما فاته شيء، ومن فاته فقد عدم كل شيءٍ، فلا أخلانا اللّه منه وامتعنا بطول بقائه»[1]. وهنالك الكثير من الروايات حول بعض العلماء الذين كانوا على درجة من الفقر ثمّ أثروا ثروة ضخمة، بفضل نصير الدين الطوسي[2].

رابعا: اسلام الدولة الاليخانية:

لقد كان لإسلام الدولة الاليخانية ثمّ اعتناقهم مذهب الإمامية الاثني عشرية بواسطة العلّامة الحلي الحسن بن يوسف، دور كبير في دعم الحوزة العلمية في الحلة، إذ وفّر سلطان هذه الدولة المعروف بـ(محمد خدابنده) للعلّامة الحلي مدرسة

---

(١) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ١٤ / ٢٤٦ ـ ٢٤٧ نقلاً عن مقدمة رسالة العرضي التي انشأها في شرح آلات مرصد مراغة وأدواته، والتي يوجد منها نسخة خطية في مكتبة الإمام الرضاعليه السلام في مشهد خراسان.

(٢) أُنظر، تاريخ الحلة: ٢ / ٤٢.

سيارة تحتوي على كل المقومات الضرورية للدعوة والارشاد والتدريس، وكانت لها نفقات سخية تحدثنا عنها سابقا.

ونجد في ترجمة العلّامة الحلي بعض الاشارات التي أطلقها المترجمون له تشير إلى تمكنه المالي، ففي كتاب الدرر الكامنة يقول ابن حجر العسقلاني في ترجمة العلّامة الحلي: «وكان صاحب أموال وغلمان وحفدة، وكان رأس الشيعة بالحلة..» ثم يقول: «.. ويقال إنه تقدم في دولة خربندا [هكذا] وكثرت أمواله، وكان مع ذلك في غاية الشح...» وقد ردّ السيد الأمين كلام ابن الحجر حيث نسبه إلى الشح فقال: اما نسبته إلى غاية الشح فلا تكاد تصلح ولا تصدق في عالم فقيه عظيم عرف مذام الشح وقبحه، فهو ان لم يكن سخيا بطبعه فلابد أن يتسخى بسبب علمه، مع اننا لم نجد ناقلاً نقلها غيره..»[1].

---

(١) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ٩ / ١٧ ـ ١٨.

الخاتمة: خلاصة عامة لأدوار مدرسة الحلة

بعد هذا السبر التاريخي لحوزة الحلة العلمية منذ انطلاقها العلمي في القرن السادس الهجري، على يد الشيخ ابن ادريس العلمي، وإلى حين أُفولها في أواخر القرن التاسع الهجري، لابد لنا من خاتمة نلخص فيها أهم الأدوار الرئيسية التي مرّت بها هذه المدرسة والحوزة المباركة في عمرها المتمادي، منذ تأسيسها ولأربعة قرون.

لقد اتضح لنا ومن خلال استعراض مفردات تاريخ هذه الحوزة والعلماء الكبار الذين عاصروها، ان هذه الحوزة المباركة مرّت بثلاث مراحل:

المرحلة الأُولى: مرحلة التأسيس

وتبدأ من تأسيس مدينة الحلة على يد بني مزيد الأسديين، والكرد الجاوانيين سنة (٤٩٥ هـ) وبواسطة أعظم أُمرائها الأمير سيف الدولة صدقة بن منصور بن مزيد الأسدي (ت ٥٠١ هـ)، إذ كان هذا الأمير ومن جاء بعده من الأُمراء المزيديين من محبي العلوم والآداب والمعارف، ومن المشجعين عليها والمؤازرين لها.

فظهر خلال هذه الفترة والتي تزامنت مع بداية القرن السادس للهجرة، علماء وفقهاء وفضلاء اشتهروا بفروع معينة من المعرفة كالفقه والحديث والتفسير والأدب، وعلى رأسهم الفقيه المجدد محمد بن إدريس بن أحمد العجلي الحلي أبو عبد اللّه (ت ٥٩٨ هـ) الذي استطاع أن ينهض بحركة تجديدية في مباني الاجتهاد، وأن يكسر طوق التقليد الذي كاد ان يغلق أبواب الاجتهاد عند الشيعة الإمامية.

المرحلة الثانية: مرحلة الازدهار والتوسع

وتبدأ هذه المرحلة من أوائل القرن السابع الهجري، وتتوج بروائدها وقطب حركتها

المحقق المدقق الإمام نجم الدين أبي القاسم جعفر بن الحسن بن يحيى المعروف بالمحقق الحلي (ت ٦٧٦ هـ).

وقد سبق هذا العلم الفذ، ولحقه نخبة من أعلام الفقهاء وأسماء لامعة في دنيا العلوم والمعارف، كانوا من أساتذة هذا المحقق، أو من تلامذته الأفذاذ، وعلى رأسهم وقطب رحاهم العلّامة الحلي جمال الدين الحسن بن يوسف بن المطهر (ت ٧٢٦ هـ) الذي تلمذ للمحقق الحلي ثم كان شيخ الطائفة الإمامية ورئيسهم إلى حين وفاته.

وقد شهدت حوزة الحلة العلمية في هذا الدور ازدهارا وتوسعة بلغت القمة في العطاء، ان على مستوى الحضور الواسع لطلّاب العلم والمعرفة حتى قيل إنَّ درس العلّامة الحلي قد تخرج منه خمسمائة مجتهد في الفقه والأُصول[1]، أو على مستوى التراث العلمي الضخم الذي وصلنا من المحقق والعلّامة والعلماء الذين سبقوهم أو عاصروهم أو كانوا من تلامذتهم وتلامذة تلامذتهم. وكان على رأس أُولئك ولد العلّامة فخر المحققين محمد بن الحسن (ت ٧٧١ هـ) الذي واصل خُطى والده العلمي. «ويمكن اعتبار العلّامة الحلي حلقة وصل بين القرنين السابع والثامن الهجريين، إذ قضى في السابع ثلثيّ عمره ثمّ ثُلثه الأخير في الثامن»[2].

المرحلة الثالثة: مرحلة الركود والأُفول

وهي المرحلة التي أعقبت رحيل العلّامة الحلي (ت ٧٢٦ هـ) والتي بدأت تدريجيا مع عصر فخر المحققين الذي واصل مدرسة والده وزعامته للحوزة الحلية

---

(١) الصدر ـ حسن، تأسيس الشيعة: ٢٧٠.

(٢) آل ياسين ـ محمد مفيد، متابعات تاريخية: ٤١.

إلى حين وفاته عام (٧٧١ هـ) ثم أعقبه بعض اللامعين من تلامذة والده وتلامذته حتى هجرة بعض أعلام الحلة إلى النجف وكربلاء من أمثال الشيخ المقداد السيوري أبي عبد اللّه (ت ٨٢٦ هـ) الذي هاجر إلى النجف الأشرف وأسس فيها مدرسته العلمية، وتوفي فيها، والشيخ أحمد بن فهد الحلي (ت ٨٤١ هـ) الذي هاجر إلى كربلاء وواصل حركته العلمية فيها حتى توفي ودفن هناك.

ومن أبرز المعالم الايجابية لهذه المرحلة هجرة بعض طلّاب العلم إلى حوزة الحلة في عصر الشيخ فخر المحققين، «وكان من أهم هؤلاء الطلبة فتى (جزين)، محمد بن جمال الدين مكي العاملي الذي وصل إليها ـ الحلة ـ سنة (٧٥٠ هـ) ودرس على يد علمائها وأصبح فيما بعد الرائد الأول لعلماء جبل عامل الشيعة، ورئيسا للطائفة الشيعية في بلاد الشام»[1].

هذه هي أهم المراحل الرئيسية لحوزة الحلة العلمية في تاريخها العلمي عبر القرون الأربعة، والتي رافقها أحداث سياسية هامة في الحلة، وفي بغداد، وغيرها من مدن العراق، والعالم الإسلامي، وقد توقفنا عند بعضها لملامستها لموضوع بحثنا.

وينبغي أن نشير إلى أن نهاية المرحلة الثالثة لا تعني بالضرورة النهاية التامة لحركة العلم والعلماء في هذه المنطقة، إذ ظهر فيها بعض العلماء والأُدباء والشعراء، بل وبعض الأسماء اللامعة في عالم المرجعية الشيعية، كالشيخ حسين الحلي (ت ١٣٩٤ هـ) أُستاذ الحوزة العلمية في النجف، وأُستاذ الفقهاء الكبار المعاصرين كالسيد علي السيستاني، والسيّد محمد سعيد الحكيم (حفظهما اللّه).

وينبغي أن نشير أيضا، إلى أننا رغم اطالتنا في مباحث (حوزة الحلة العلمية) إلّا

---

(١) القزويني ـ جودت، المؤسسة الدينية: ١٤٧.

أننا لم نتمكن من استيعاب جميع أبحاثها، وذلك لامتدادها الزمني وكثرة علمائها، ووفرة نتاجها العلمي، والأحداث المفصلية الهامة التي رافقتها، فاكتفينا بالاشارة والتلميح في بعض جوانب البحث، كما أهملنا ذكر بعض الأحداث الجانبية.

الحوزة العلمية في كربلاء

الفصل الأول: نشأة مدينة كربلاء

المبحث الأول: نشأة مدينة كربلاء ومكانتها وقدسيتها

المبحث الثاني: العوامل التي ساعدت على تمصير كربلاء وتوسعتها

الفصل الثاني: حوزة كربلاء في أدوارها الثلاثة

الدور الأول: دور التكوين والانطلاق العلمي

الدور الثاني: دور التوسع والازدهار والتكامل العلمي

الدور الثالث: دور الاستمرار والتواصل والعطاء العلمي

الفصل الثالث: من معطيات الحركة العلمية في كربلاء

المبحث الأول: الهجرة العلمية إلى حوزة كربلاء

المبحث الثاني: المدارس الدينية في كربلاء

المبحث الثالث: عمق وسعة التراث العلمي لحوزة كربلاء

المبحث الرابع: الأوضاع المالية والمعيشية لطلّاب حوزة كربلاء

المبحث الخامس: الأحداث السياسية التي رافقت مسيرة الحوزة العلمية في كربلاء

الخاتمة: تلخيص واستنتاج لأهم أدوار حوزة كربلاء

الفصل الأول: نشأة مدينة كربلاء

المبحث الأول: نشأة المدينة ومكانتها وقدسيتها

لقد كانت أرض كربلاء، وقبل أن تتحول إلى مدينة من المدن الإسلامية، معروفة كبعض الأماكن التي كانت تُعرف قبل تمصيرها، فقد ورد إسمها ـ كما يقول الباحثون ـ قبل الفتح العربي للعراق، وقبل سكنى العرب هناك، وقد ذكرها بعض العرب الذين رافقوا خالد بن الوليد.. في غزوته لغربي العراق سنة (١٢ هـ)، قال ياقوت الحموي: «ونزل خالد عند فتحه الحيرة كربلاء..»[١].

ومن أقدم الشعر الذي ذكرت فيه كربلاء قول معن بن أوس المزني، من مخضرمي الجاهلية والإسلام.. وذكر ياقوت هذا الشعر في مادة «النوائح» من معجمه للبلدان، وذكره قبله أبو الفرج الإصفهاني في ترجمة معن من الأغاني، وقال ضمن قصيدة له:

إذا هـي حَلَّـتْ كـربلاء فلعلَعـا — فَجـوزَ العُـذيبِ دونهـا فالنَّوائحـا

وبانـت نواهـا مـن نـواك وطاوعـت — مع الشانئين الشـانئات الكواشـحا[٢]

ومما يدل على قدم كربلاء أيضا ووجودها قبل الفتح الإسلامي، ما ذكره الخطيب البغدادي بسنده إلى أبي سعيد التيمي قال: «أقبلنا مع علي عليه السلام من صفين فنزلنا كربلاء، فلما انتصف النهار عطش القوم» وروى بسنده عنه أيضا: «أقبلت من الأنبار مع علي نريد الكوفة، وعلي في الناس،.. فقال الناس: يا أمير المؤمنين إنا نخاف

---

(١) الحموي ـ ياقوت، معجم البلدان، مادة كربلاء: المجلد الرابع، الجزء السابع: ١٢٥ / ١٢٦.

(٢) الإصفهاني ـ أبو الفرج، الأغاني: ١٢ / ٨٠، طبعة دار الفكر ـ بيروت، ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٦ م، والحموي، المعجم: ٨ / ٤٠٤.

العطش، فقال: إنّ اللّه سيسقيكم، وراهب قريب منا، فجاء عليٌّ إلى مكانه فقال: احفروا هاهنا فحفرنا، وكنت فيمن حفر، حتى نزلنا فعرض لنا حجر، فقال علي: ارفعوا هذا الحجر، فأعانونا عليه حتى رفعناه، فإذا عين باردة طيبة، فشربنا ثمّ سرنا ليلاً أو نحو ذلك، فعطشنا، فقال بعض القوم: لو رجعنا فشربنا. فرجع ناسٌ وكنت فيمن رجع، فالتمسناها فلم نقدر عليها، فأتينا الراهب فقلنا: أين العين التي هاهنا؟ قال: أيّة عين؟ فقلنا: التي شربنا منها واستقينا، والتمسناها فلم نقدر عليها. فقال الراهب: لا يستخرجها إلّا نبي أو وصي»[1].

ويعلّق الدكتور مصطفى جواد على هذا الحديث بقوله: «والمهم من هذا الحديث أنّ الإمام علياً عليه السلام مرّ بكربلاء ولجّج في الصحراء قبل سنة أربعين الهجرية، ولم يذكر أحد من المؤرخين انشاء مدينة باسم كربلاء في أثناء تلك السنين الأربعين...»[2].

وأما معنى كربلاء: فقد اختلفت كلمات اللغويين في تحديد معناها لغويا.

فبينما يقول ابن فارس في المعجم: «كرب: الكاف والراء والباء أصلٌ صحيح يدلُّ على شدَّةٍ وقوةٍ، يقال: مَفاصل مُكرَبَة، أي شديدة قوية، وأصله الكرب، وهو عقد غليظ في رشاء الدَّلو، يجعل طرفُه في عَرقوة الدَّلو ثمّ يُشدّ ثنايته رباطا وثيقا، يقال منه اكربتُ الدَّلو؛ ومن ذلك قول الحطيئة:

قـــومٌ إذا عَقَـــدوا عَقـــدا لجـــارِهم ... شدُّوا العِناج وشـدّوا فوقـه الكَربـا[3]

يقول ياقوت الحموي: «وهو الموضع الذي قُتل فيه الحسين بن علي عليه السلام، في طرف

---

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ١٢ / ٣٠٥ ـ ٣٠٦.

(٢) مصطفى جواد، كربلاء قديما، ضمن بحوث كتاب موسوعة العتبات المقدّسة، قسم كربلاء: ٨ / ١٧.

(٣) ابن فارس ـ أبي الحسن أحمد، معجم المقاييس في اللغة: مادة كرب: ٥ / ١٧٤ ـ ١٧٥.

البريّة عند الكوفة، فأما اشتقاقه، فالكربلة رخاوة في القدمين، يقال: جاء يمشي مُكربلاً، فيجوز على هذا أن تكون أرض هذا الموضع رخوة، فسميت بذلك، ويقال: كربَلتُ الحنطة إذا هذبتها ونقيتها.. فيجوز على هذا أن تكون هذه الأرض منقاة من الحصى والدخل فسميت بذلك..»[١].

وذكر الفيروزآبادي في القاموس، وابن منظور في اللسان، معاني متعددة لكلمة (كرب) منها: «الحُزنُ والغَمُ الذي يأخذُ بالنَّفس، وجمعه كُرُوب. وكربَهُ الغَمُّ فاكترب، فهو مكروبٌ وكريب..»[٢]، وقد يؤيد هذا المعنى بعض الروايات المروية عن أهل البيتعليهم السلام.

فقد روي أنّ الإمام الحسينعليه السلام حينما وصل إلى كربلاء.. سأل: «فما اسمُ هذه الأرض التي نحن فيها؟ قالوا كربلاء، فقال: «أرض كرب «وبلاء»، وفي رواية الخوارزمي: «.. فدمعت عينا الحسينعليه السلام حين ذُكر كربلاء، وقال: اللهم إني أعوذ بك من الكرب والبلاء»[٣].

ولبعض الباحثين رأي في اشتاق كلمة كربلاء، فذكر السيّد هبة الدين الشهرستاني أن «كربلاء» منحوتة من كلمتي «كُوَر بابل» بمعنى قرى بابلية[٤].

وقال الأديب اللغوي انستاس الكرملي: «والذي نتذكره فيما قرأناه في بعض كتب الباحثين أن كربلاء منحوتة من كلمتين، من (كرب) و (إل) أي حرم اللّه، أو مقدس اللّه»[٥].

---

(١) الحموي ـ ياقوت، معجم البلدان، مادة كربلاء المجلد الرابع؛ الجزء السابع: ١٢٥.

(٢) أُنظر الفيروزآبادي، القاموس المحيط، وابن منظور، لسان العرب: مادة كرب: ١٢ / ٦٠.

(٣) الخوارزمي، مقتل الحسين: ١ / ٢٣٤، طبعة بصيرتي ـ قم.

(٤) الشهرستاني، نهضة الحسين: ٦.

(٥) الكرملي، مجلة لغة العرب: ٥ / ١٧٨ لسنة ١٩٢٧ م.

ومهما يكن من أمر في معنى أو معاني كلمة (كربلاء)، فإنّ بعض الجغرافيين قد حسبها قرية من القرى القديمة وناحية من نواحي نينوى. قال ياقوت في المعجم: «نِينوى بكسر أوله وسكون ثانيه، وفتح النون والواو بوزن طِيْطَوى.. وبسواد الكوفة، ناحية يقال لها نينوى، منها كربلاء التي قُتِّل بها الحسين‹ع›»[1].

ويقول أحد الباحثين في تاريخ كربلاء: «ولهذه البقعة.. أسماء مختلفة كما يحدثنا التاريخ، وكانت تطلق عليها هذه الأسماء دون أي فرق أو تمييز، فكان يطلق عليها اسم: (الغاضرية، ونينوى، ومارية، وعمورا، والنواويس، وشط الفرات، وشاطئ الفرات، والطف، وطف الفرات، والحائر، والحَيز، ومشهد الحسين، وكربلاء) ولم يكن الاسم الأخير غير أحد تلك الأسماء المختلفة الكثيرة..، فتغلب بمرور الزمن على غيره من الأسماء شيوعا وانتشارا في العرف والتاريخ حتى أصبح الآن هو الوريث الوحيد لها، فصارت لا تعرف اليوم هذه البقعة إلّا بهذا الاسم..»[2].

ومن الواضح في هذه الألفاظ التي ذكرت لهذه البقعة من الأرض بعضها أسماء وبعضها الآخر صفات.

وقد ذكر بعض الباحثين معاني هذه الألفاظ يمكن مراجعتها في مظانها[3].

*** كربلاء: الأرض المقدسة:**

لم تكن أرض كربلاء سوى صحراء قاحلة، وبقعة جرداء، معروفة عند أهلها بأسماء

---

(١) الحموي ـ ياقوت، معجم البلدان، مادة نينوى، المجلد الرابع، الجزء الثامن: ٤٢٩.

(٢) الكليدار ـ عبد الجواد، تاريخ كربلاء وحائر الحسين‹ع›: ٢٥، طبعة أُفست الشريف الرضي ـ قم، ١٤١٨ هـ.

(٣) المرجع نفسه: ٢٦ وما بعدها، وموسوعة العتبات المقدّسة: ٨ / ١٨ وما بعدها.

أو أوصاف متعددة، ولم تكن لها خصوصية تذكر.

إلّا أنّ هذه الأرض قد اقترنت بأعظم حادث وقع في دنيا الإسلام، وأعظم رزية صَغُرت دونها الرزايا، وأجل مصيبة ومأساة هانت دونها كل المصائب والمآسي في تاريخ الإسلام، بل وفي تاريخ البشرية؛ على طول تاريخها المديد؛ إنها مأساة الحسين عليه السلام في قصة استشهاده والكرام البررة من أهل بيته وصحبه؛ حيث امتزجت تلك الدماء الطاهرة بأرض كربلاء ورمالها؛ فاكسبتها قدسية وخلودا لا يزول مع تمادي الزمن، وكر الدهور والأيام.

يقول الكاتب المصري الكبير عباس محمود العقاد في كتابه (أبو الشهداء) عن أرض كربلاء: «لو أعطيت حقها من التنويه والتخليد لَحقَّ لها أن تصبح مزارا لكل آدمي يعرف لبني نوعه نصيبا من القداسة، وحظا من الفضيلة لأننا لا نذكر بقعة من بقاع هذه الأرض يقترن اسمها بجملة من الفضائل والمناقب أسمى والزم لنوع الإنسان من تلك التي اقترن باسم كربلاء بعد مصرع الحسين فيها، فكل صفة من تلك الصفات العِلوية التي بها الإنسان انسان، وبغيرها لا يحسب غير ضرب من الحيوان السائم، فهي مقرونة في الذاكرة بأيام الحسين عليه السلام في تلك البقعة الجرداء»[1].

لقد اقترنت هذه الأرض، بأسمى المعانى الوجدانية في ضمير الإنسان المسلم، إذ أضحت ترمز إلى التضحية في سبيل الحق والدين، بل وفي سبيل الإنسانية جميعا، فأصبح الإنسان المسلم، بل وحتى غير المسلم يستلهم منها دروس العزة والاباء والتحرر والانعتاق من نير الخضوع والخنوع والعبودية والاذلال:

«فيا كربلا؛ كهف الاباء مجسما ويا كربلا؛ كهف البطولة والعلا

(١) العقاد ـ عباس محمود، أبو الشهداء: ١٥٤، طبعة مصر.

ويـا كـربلا؛ قـد حـزت نفسـا نبيلـة	وصيرت بعد اليوم رمـزا إلـى السـما
ويا كربلا؛ قـد صـرت قبلـة كـل ذي	نفـس تصـاغر دون مبـدئها الـدّنا
ويا كربلا؛ قـد حـزت مجـدا مـؤثلاً	وحزت فخارا ينقضي دونهالمدى»[1]

*** كربلاء في الحديث:**

لقد اقترن استشهاد الإمام الحسين عليه السلام بأرض كربلاء، ولهذا نجد هذا الاقتران بين كربلاء ومصرع الحسين في الأحاديث المروية بشكل واسع، وشغلت مساحة كبيرة من موسوعات الحديث، ولا يمكن استيعابها تحت العنوان الذي ذكرناه. يقول الدكتور حسين علي محفوظ: «الأحاديث في فضل كربلاء، وتربتها، وزيارة قبر سيّد الشهداء الحسين عليه السلام كثيرة جدا، تضيق بها الكتب الكبيرة...»[2].

وفيما يلي بعض الأحاديث عن كربلاء وقدسيتها ومكانتها:

١ ـ عن أبي عبد اللّه الصادق عليه السلام: «موضع قبر الحسين بن علي (صلوات اللّه عليهما) ـ منذ يوم دفن فيه ـ روضة من رياض الجنة»[3].

٢ ـ وعنه أيضا: «موضع قبر الحسين تُرعة من ترع الجنة»[4].

٣ ـ وقال أبو عبد اللّه الصادق عليه السلام: «شاطئ الوادي الأيمن؛ الذي ذكره اللّه ـ تعالى ـ في القرآن[5]، والبقعة المباركة، هي كربلاء»[6].

---

(١) العلايلي ـ عبد اللّه، «سمو المعنى في سمو الذات» أو أشعة من حياة الحسين عليه السلام: ١٢٦ ـ ١٢٧.

(٢) محفوظ ـ حسين علي، كربلاء في المراجع العربية ضمن موسوعة العتبات.

(٣) المجلسي، بحار الأنوار: ٢٢ / ١٤٠ ـ ١٤١.

(٤) المصدر نفسه: ٢٢ / ١٤٠.

(٥) القصص: ٣٠.

(٦) أنظر، وسائل الشيعة: ٣ / ٣٨٩.

٤ ـ وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام: «خلق اللّه ـ تبارك وتعالى ـ أرض كربلاء.. وقدسها وبارك عليها، فما زالت قبل خلق اللّه الخلق مقدسة مباركة، ولا تزال كذلك، حتى يجعلها اللّه أفضل أرض في الجنة وأفضل منزل ومسكن، يُسكن اللّه فيه أولياءه في الجنة»[1].

٥ ـ وعن أبي الحسن علي بن محمد (الهادي) عليه السلام قال: «.. إنّ للّه ـ تبارك وتعالى ـ بقاعا يحب أن يدعى فيها، فيستجيب لمن دعاه، (والحيرُ) منها»[2].

المبحث الثاني: العوامل التي ساعدت على تمصير كربلاء وتوسعتها

لقد اجتمعت عوامل كثيرة جعلت من أرض كربلاء المجردة القاحلة وغير الآهلة، منطقة آهلة بالسكان والعمران ومزدحمة ـ وعلى طول العام ـ بعشرات الوافدين إليها.

ومن هذه العوامل بنحو الاجمال:

أولاً: رمزية كربلاء:

لقد أصبحت كربلاء وفي أعقاب مقتل الإمام الحسين بن علي وصحبه وأهل بيته عليهم السلام، ومدفنهم فيها، عام واحد ستين للهجرة، ترمز إلى أسمى معاني الإباء، والكرامة، والعزة، والايثار، والفضيلة، والشجاعة.. وغير ذلك من المعاني الإنسانية والتي يتطلع إليها كلّ انسان يبتغي الحياة الحرّة الكريمة.

ثانيا: روحانية وعاطفية المكان:

ولحرم الإمام الحسين عليه السلام وللبقعة التي تضمنت ذلك الجسد الطاهر، وأُولئك

(١) المجلسي، بحار الأنوار: ٢٢ / ١٤٠.

(٢) المصدر نفسه: ٢٢ / ١٤١.

الصفوة من الشهداء (رضوان اللّه عليهم)، روحانية وعاطفية جياشة يستشعرها الإنسان في أول خطوة يخطوها نحو الحرم.

ثالثا: جاذبية المكان:

ولأرض كربلاء، ولحرم الإمام الشهيد الحسين بن علي عليه السلام جاذبية روحية عجيبة، يستشعرها الإنسان المؤمن في أعماق نفسه، فينجذب بقوة نحو تلك البقعة المباركة، انجذاب المحب نحو حبيبه.

ولهذا هانت الأخطار والمصاعب والأهوال عند محبي الحسين والعاشقين له والمنجذبين نحو قبره، فاندفعوا نحوه غير مبالين ببطش الطواغيت وجلاوزتهم ومسالحهم وحراسهم، وهذا ما يشهد به تاريخ كربلاء منذ أول زيارة له من قبل الصحابي جابر بن عبد اللّه الأنصاري، وعطية العوفي، وأهل بيت الحسين عليه السلام، وإلى يومنا هذا حيث تندفع في كلِّ موسم الملايين اتجاه كربلاء، بمنظر يعجز القلم والبيان عن وصفه.

هذه العوامل وغيرها، بالاضافة إلى العوامل الاقتصادية المساعدة للمنطقة، والموقع الجغرافي المتميز، ووجود الحالة الأمنية المستقرة جعلت الكثيرين من هؤلاء المحبين، والمنجذبين، والموالين، والباحثين عن صفاء الروح وقدسية المكان ورمزيته.. متشبثين بهذه الأرض ومتخذين منها مسكنا وملاذا، مما أسفر عن تمصر المدينة وتوسعها وعمرانها وازدهارها بمرور الزمن، فأصبحت من المدن الإسلامية الآهلة بالسكان، وتميزت بتنوع عِرقي لا مثيل له في المدن الأُخرى.

والذي يبدو ومن خلال سياق تاريخ كربلاء وحرم الإمام الحسين عليه السلام، أن السكن في مجاورة قبر الإمام الحسين عليه السلام في عصر الدولة الأموية لم يكن ممكنالشيعته

ومحبيه للظروف الأمنية الصعبة آنذاك، فكان زواره يكتفون بمراسم الزيارة للقبر الشريف سرا، متحملين من أجل ذلك الأخطار الجسام والأهوال، والتي قد تكلفهم حياتهم في بعض الأحيان.

إلّا أنه وبعد سقوط الدولة الأموية، وقيام الدولة العباسية، واستقرار الوضع الأمني ـ نسبيا ـ بدأت رحلة الزيارة من قبل الشيعة لمرقد الإمام الحسين عليه السلام بشكل علني وظاهر، وكان على القبر الشريف ومنذ زمن بني أُمية سقيفة ومسجد، واستمر ذلك إلى زمن هارون الرشيد من بني العباس، ولكن لا يعلم أول من بنى ذلك.. ويدل الخبر الذي رواه السيّد ابن طاووس في الإقبال أنه كان سقيفة لها باب في آخر زمن بني أُمية وبقيت هذه القبة إلى زمن الرشيد، فهدمها وكرب موضع القبر وكان عنده سدرة فقطعها.. ثمّ أُعيد ـ أي البناء ـ على زمن المأمون وغيره[1].

وفي النصف الأول من القرن الثالث الهجري، كثر زوار الإمام الحسين عليه السلام وبني حول قبره الشريف المنازل والدور، حتى برزت إلى الوجود نواة مدينة متواضعة حول الحرم لها سكانها وروادها، مما أثار واستفز رأس السلطة العباسية آنذاك، المعروف ببغضه لأهل البيت عليهم السلام وهو المتوكل العباسي، فأمر بهدم القبر الشريف، وهدم ما حوله من المنازل والدور.. في قصة مأساوية ذكرها المؤرخون في كتبهم بالتفصيل.

قال الطبري في تاريخه ضمن حوادث السنة السابعة والثلاثين والمائتين: «وفيها أمر المتوكل بهدم قبر الحسين بن علي صلوات اللّه عليه، وهدم ما حوله من المنازل والدور، وأن يُحرَث ويُبذر ويسقى موضع قبره عليه السلام، وأن يمنع الناس من إتيانه، فذكر أنّ عامل صاحب الشرطة نادي في الناحية: من وجدناه عند قبره بعد ثلاثة بعثنا به إلى

---

(١) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ٢ / ٤٥٩ ـ ٤٦٠.

المطبق، فهرب الناس، وامتنعوا من المصير إليه، وحُرث ذلك الموضع، وزُرع ما حواليه»[1].

وبنفس المضمون ذكرها ابن الأثير في الكامل وأضاف: «وكان المتوكل شديد البغض لعليّ بن أبي طالب عليه السلام ولأهل بيته، وكان يقصد من يبلغه عنه أ نّه يتولّى عليّا وأهله بأخذ المال والدم..»[2].

والذي يبدو أن اعتداء المتوكل على قبر الإمام الحسين عليه السلام وعلى زائريه قد تكرر ولأكثر من مرّة[3]، حتى قُتل، وخلفه ولده المنتصر سنة سبع وأربعين ومائتين.

وفي خلافة المنتصر العباسي ـ والتي لم تدم سوى ستّة أشهر ـ «أمر الناس بزيارة قبر عليّ والحسين عليهما السلام فأمّن العلويين، وكانوا خائفين أيّام أبيه، وأطلق وقوفهم، وأمر بردّ فدك إلى ولد الحسين والحسن ابني علي بن أبي طالب عليه السلام»[4].

«والشائع على ألسنة الباحثين والمؤرخين أن كربلاء كانت مطلع القرن الثالث مملوءة بالأكواخ وبيوت الشعر التي كان يشيدها المسلمون الذين يفدون إلى قبر الحسين عليه السلام، وهكذا ظلت كربلاء حتى مطلع القرن الرابع الهجري.

وأهم عمارة تمت للحائر الحسيني المقدس، هي التي قام بها عضد الدولة البويهي، «.. وقد ازدهرت كربلاء في عهده وعهد البويهيين، وتقدمت معالمها الدينية

---

(١) الطبري ـ محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ٦ / ٢٢٧، طبعة دار الكتاب العربي، بغداد، ٢٠٠٥ م.

(٢) ابن الأثير ـ عز الدين، علي بن أبي المكرم، الكامل في التاريخ: ٧ / ٥٥، طبعة دار صادر ـ بيروت، ١٩٨٢ م.

(٣) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ٢ / ٤٦٠.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٧ / ١١٥ ـ ١١٦.

والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، فاتسعت تجارتها، واخضلت زراعتها، وأينعت علومها وآدابها، فدبّت في جسمها روح الحياة والنشاط، فتخرج منها علماء فطاحل وشعراء مجيدون، وتفوقت في مركزها الديني المرموق»[١]

وهكذا توسعت مدينة كربلاء بعد أن آمن الناس، وتوالت عمليات الإعمار للمرقد الشريف، وقد وصفها الرحالة الشهير ابن بطوطة في رحلته التي في بدايات القرن الثامن الهجري، قال: «ثمّ سافرنا منها ـ أي مدينة الحلة ـ إلى مدينة كربلاء، مشهد الحسين بن علي عليهما السلام، وهي مدينة صغيرة، تحفها حدائق النخل، ويسقيها ماءُ الفرات، والروضة المقدّسة داخلها، وعليها مدرسة عظيمة وزاوية فيها الطعام للوارد والصادر. وعلى باب الروضة الحجاب والقومة، لا يدخل أحد إلّا عن إذنهم، فيقبل العتبة الشريفة وهي من الفضة. وعلى الضريح المقدّس قناديل الذهب والفضلة، وعلى الأبواب أستار الحرير..»[٢].

وبعد هذا التاريخ توالت عمارات أُخرى للمرقد الشريف[٣]، وتوسعت معها مدينة كربلاء حتى أصبحت من المدن الواسعة المترامية الأطراف، ولم يكدر صفو هذه المدينة سوى الهجمة الوهابية التي قادها سعود بن عبد العزيز الوهابي النجدي سنة (١٢١٦ هـ)، إذ جهز جيشا من أعراب البادية وحاصر مدينة كربلاء مغتنما فرصة غياب جل الأهلين في النجف لزيارة الغدير، ثمّ دخلها يوم ١٨ ذي الحجة عنوة وأعمل في أهلها السيف، فقتل منهم ما بين أربعة آلاف إلى خمسة آلاف.. ونهب البلد، ونهب الحضرة الشريفة، وأخذ جميع ما فيها من فرش وقناديل وغيرها، وهدم القبر الشريف،

---

(١) آل طعمة، تراث كربلاء: ٢٣١، وعبد الجواد الكليدار، تاريخ كربلاء: ١٧١.

(٢) ابن بطوطة، الرحلة: ٢٣٣.

(٣) أنظر، الأمين، أعيان الشيعة: ٢ / ٤٦٠ ـ ٤٦١.

واقتلع الشباك الذي عليه.. ثمّ كرّ راجعا إلى بلده»[1].

ولا ننسى تلك الهجمة العنيفة التي قادها جلاوزة حزب البعث على المرقد الشريف بعد انتفاضة صفر سنة (١٩٩١ م)، والتي أدّت إلى تخريب أجزاء من الحرم وقتل المعتصمين فيه، وانتهاك الحرمات.. في قصة مأساوية سجلتها ذاكرة العراقيين، قبل كتب التاريخ؛ إلى جانب قصص المأساة والظلم التي تعرّض إليه العراق على أيدي النظام البعثي البائد، حتى اقتص اللّه منهم، وأخذهم أخذ عزيز مقتدر.

وبعد سقوط النظام البعثي البائد عام (٢٠٠٣ هـ)، بدأت عمليات اعمار المشاهد والمراقد الشريفة في العراق ومنها مراقد كربلاء على ساكنيها آلاف التحية والسلام، ولا زالت عمليات الاعمار والتوسعة هذه مستمرة.

---

(١) الأمين، أعيان الشيعة: ٢ / ٤٦١ ـ ٤٦٢. وأُنظر، لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث: ٢٦٠ ـ ٢٦٢، ترجمة جعفر الخياط، أُفست الطبعة الرابعة، المكتبة الحيدرية ـ قم، ١٤٢٥ هـ

الفصل الثاني: حوزة كربلاء في أدوارها الثلاثة

الدور الأول: دور التكوين والانطلاق العلمي

لقد شهدت مدينة كربلاء ومنذ أن تمصرت وأصبحت مدينة لها معالمها العمرانية والحضارية، نشاطا علميا ملحوظا، وازدهرت فيها حركة فقهية وأدبية، وشهدت حضورا علمائيا مكثفا، كان من بينهم كبار العلماء والفقهاء ممن تُشد إليهم رحال طلّاب العلم، حتى أ نّها أصبحت الحوزة العلمية الرئيسية عند الشيعة في حقبة من الزمن كما سوف يأتينا لاحقا.

والذي يظهر من بعض النصوص التاريخية، «أن مشهد الإمام الحسين عليه السلام، اتسعت رقعته، وكثر سكانه في القرن الرابع للهجرة.. ففي سنة (٣٧١ هـ) ورد مشهد الحسين عليه السلام عضد الدولة البويهي، «فزار وتصدق وأعطى الناس على اختلاف طبقاتهم، وجعل في الصندوق دراهم ففرقت على العلويين فأصاب كل واحد منهم اثنان وثلاثون درهما، وكان عددهم الفين ومائتي اسم، ووهب العوام والمجاورين عشرة آلاف درهم وفرّق على أهل المشهد من الدقيق والتمر مائة ألف رطل، ومن الثياب خمسمائة قطعة، وأعطى الناظر عليهم ألف درهم»[1].

ويمكن أن تؤخذ كثرة السكان، وانقسامهم إلى طبقات، قرينة على أن بعضهم في الأقل كانوا من بين طلبة العلم وشيوخه»[2].

---

(١) ابن طاووس، فرحة الغري: ٢٩٢ ـ ٢٩٣، بتحقيق: محمد مهدي نجف، طبعة العتبة العلوية، ١٤٣١ هـ ـ ٢٠١٠ م.

(٢) الفياض ـ عبد الله، تاريخ التربية: ٣٠١.

ولو تتبعنا ومن خلال كتب الرجال والتراجم مسار الحركة العلمية في كربلاء، والعلماء والفقهاء الذين واكبوها في كل عصر من عصور حركتها عبر القرون المتمادية لعثرنا على قائمة طويلة لأسماء لامعة من أعلام الفقه والفقاهة والمعارف والعلوم الإسلامية، تبدأ من أواخر القرن الثالث الهجري، وتستمر وباتساع عبر القرون اللاحقة لها وإلى يومنا هذا، وإنها مرت بأدوار علمية ثلاثة ولم تنقطع حركة العلم والعلماء خلالها عن هذه المدينة المقدّسة عبر القرون والأزمان، وإنما فترت في بعض القرون وأصابها الركود في بعضها الآخر، ووصلت إلى قمة الحركة والعطاء العلمي في برهة من الزمن.

*** حوزة كربلاء في دورها الأول:**

لقد بدأت الحركة العلمية في كربلاء مع بدايات تمصيرها حيث سكنها بعض الفضلاء والمحدّثين.

وفيما يلي قائمة لأهم الشخصيات التي واكبت الحركة العلمية في كربلاء في دورها الأول وقبل عصر الشيخ الوحيد البهبهاني وتلامذته، حيث وصلت حوزة كربلاء في عصره إلى قمة عطائها العلمي، مقتصرين فيها على أبرز الأسماء التي كانت لهم بصماتهم العلمية، وتركوا آثارا فقهية أو أُصولية أو كانوا من البارزين في ميادين التدريس والتصدي لأُمور المجتمع.

١ ـ عثمان بن عيسى الكلابي:

قال النجاشي في ترجمته: «روى عن أبي الحسنعليه السلام وأقام بالحاير حتى مات ودُفن هناك»[1].

---

(١) النجاشي، الرجال: ٣٠٠.

٢ ـ محمد بن شهاب البارقي:

يروي ابن طاووس في كتابه فرحة الغري، «ان أحد الشيعة قال: حدثني محمد بن شهاب بن صالح البارقي، شيخ من أهل الكوفة لقيته بمشهد مولانا الحسين عليه السلام..»[1].

٣ ـ حميد بن زياد النينوي الدهقان (ت ٣١٠ أو ٣٢٠ هـ):

وهو من أقدم وأبرز العلماء الذين يشار إليهم في حوزة كربلاء في القرن الرابع الهجري وله ترجمة واسعة في كتب التراجم القديمة منها والحديثة، فذكره الشيخ الطوسي في كتابيه الفهرست والرجال فقال عنه: «محقق كثير التصانيف..، عالم جليل واسع العلم،.. كان ثقة واقفا وجها فيهم، سمع الكتب وصنّف»، وهكذا ذكره النجاشي[2]، وذكروا له قائمة من المصنّفات والآثار العلمية.

والذي يبدو من خلال مفردات ترجمته أنه كوفي المولد، ثمّ سكن سورى وانتقل إلى نينوى، قرية إلى جانب الحائر الحسيني (على ساكنه السلام)، وأما عن دراسته وأساتذته، فمن المحتمل أن المترجم قد تلقى علومه في مدرسة بغداد إذ كانت هي الحوزة العلمية الرئيسية حتى منتصف القرن الخامس الهجري، بالاضافة إلى كون الرجل واقفي المذهب، ويروي عن كثير من رجال الواقفة[3].

والمترجم له من رواة الأُصول، ووقع في اسناد كثير من الروايات عن أئمة أهل

---

(١) ابن طاووس، فرحة الغري: ٢١٨.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، الفهرست: ٦٠، الرجال: ٤٢١، والأمين ـ محسن، الأعيان: ٩ / ٥٤٠ ـ ٥٤١، وفي رجال المامقاني ترجمته وافية عنه، وتعداد لتلامذته وآثاره: ٢٤ / ٣٢٢ من طبعة مؤسسة آل البيت، المحققة في طبعتها الأُولى، ١٤٢٧ هـ.

(٣) الطهراني، الطبقات: ١ / ١٢٥.

البيت عليهم السلام، تبلغ خمسمائة وستة عشر موردا[1]. إلّا أنه لم يروِ عن الأئمة مباشرة.

«ويظهر من أسانيده أنه كان من المعمرين، وله مشايخ معمرون، فإنه روى بواسطة واحدة عن أبي حمزة ثابت بن دينار الذي توفي سنة (١٥٠ هـ).. وكذا يروي بواسطة واحدة عن جابر بن يزيد الجعفي المتوفى سنة (١٢٨ أو ١٣٢ هـ)..»[2].

٤ ـ هشام بن الياس الحائري (ت ٤٩٠ هـ):

كان فاضلاً جليلاً صالحا، له المسائل الحائرية، ويروي عن الشيخ أبي علي الطوسي،.. قال صاحب الرياض: «وتقدم الياس بن هشام الحائري، وما هنا موجود في بعض الاجازات، ولعله ابن ذاك ـ كذا أفاد الشيخ المعاصر في أمل الآمل ـ ثمّ يرجح صاحب الرياض وقوع النسخ في الاسم فيقول: «والحق أن هشام بن الياس الحائري من قلب النساخ.. والصواب الياس بن هشام الحائري»[3]، وترجم له بهذا الاسم.

ومهما يكن من أمر فليس لدينا معلومات اضافية عن المترجم له، ولا عن مؤلفاته الأُخرى، سوى أنه توفي في حدود سنة (٤٩٠ هـ) ودُفن في الحائر الحسيني»[4].

٥ ـ عماد الدين الطوسي (من أعلام القرن السادس):

وهو عماد الدين محمد بن علي بن حمزة الطوسي المشهدي المكنى بابن حمزة، صاحب الكتاب الفقهي «الوسيلة إلى نيل الفضيلة»، وقد ضمنه جميع أبواب الفقه في

---

(١) السبحاني، طبقات الفقهاء: ٤ / ١٨٩.

(٢) الطهراني، الطبقات: ١ / ١٢٥ ـ ١٢٦.

(٣) أفندي، رياض العلماء: ١ / ٩٢ و ٥ / ٣١٨، والحر العاملي، أمل الآمل: ٢ / ٣٤٤، والأمين، محسن، أعيان الشيعة: ١٠ / ٢٦٤.

(٤) آل طعمة، تراث كربلاء: ٢٣٤.

أثواب لها من تحقيقاته الجميلة، وهو من أحسن متون الفقه ترتيبا وتهذيبا»[1].

ذكره يحيى بن سعيد الهذلي الحلي سنة (٦٨٩ هـ أو ٦٩٠ هـ) في كتابه «نزهة الناظر» فأثنى عليه وعلى كتابه (الوسيلة)[2]، مما يدل على تقدّم منزلة الرجل على منزلة غيره. إذ تجد في هذا الكتاب منهجية جديدة في تبويب مبتكر أضاف فيه أبوابا أُخرى لم تكن في الكتب السابقة عليه.

واستظهر صاحب الروضات أن المترجم له كان في طبقة تلاميذ شيخ الطائفة أو تلاميذ ولده الشيخ أبي علي.. وأنه ـ رغم التحقيق في حق الرجل ـ لم يعرف تاريخ مولده ووفاته[3].

ولم تذكر كتب التراجم سنة ولادته ولا سنة وفاته، إلّا أنّ بعضهم ذكر في كتابه أن المترجم له أحد أعلام الإمامية في القرن الخامس الهجري، وأنه مدفون في وادي أيمن بكربلاء، وقبره مزار معروف[4].

٦ ـ السيّد أحمد بن إبراهيم الموسوي (من علماء القرن السادس):

وهو من الشخصيات اللامعة في القرن السادس الهجري، وكان نقيبا في الحائر الحسيني، ومن أعلام الدين والفضيلة في كربلاء[5].

---

(١) الخوانساري، روضات الجنات: ٦ / ٢٣٦. وأُنظر: مقدمة كتاب الوسيلة: ٨.

(٢) ابن سعيد ـ يحيى، نزهة الناظر: ٦ بتحقيق: أحمد الحسيني، طبعة الآداب ـ النجف، ١٣٨٦ هـ.

(٣) الروضات: ٦ / ٢٦٦.

(٤) آل طعمة ـ سلمان، تراث كربلاء: ٢٣٤.

(٥) أُنظر ترجمته في أعيان الشيعة: ٢ / ٤٦٤.

٧ ـ السيّد فخار بن معد بن فخار الموسوي الحائري (ت ٦٣٠ هـ):

وهو من أبرز العلماء المهاجرين من حوزة الحلة العلمية إلى كربلاء كما ذكرنا في محله من البحث، ومن الشخصيات العلمية المرموقة، ومن أعلام الفقاهة، وحظي بمكانة محترمة في الأوساط الكربلائية العلمية آنذاك[١].

وللمترجم له سيرة عطرة ذكرها أرباب التراجم والسير، لا يسع البحث للدخول في تفاصيلها فهو من تلامذة ابن إدريس الحلي (ت ٥٩٨ هـ) وشاذان بن جبرئيل القمي، ويروي عنهما، وهما يرويان عن أبي المكارم ابن زهرة[٢].

كما أنه يروي عن الفقهاء الكبار، ووالده معد بن فخار، والحسن الدربي.. كذلك يروي عن بعض علماء السنة من أمثال أبي الفرج بن الجوزي الحنبلي...

ويروي عنه جمع من الرواة الفقهاء من أمثال: ولده عبد الحميد بن فخار، وجعفر بن الحسن المعروف بالمحقق الحلي، ونجيب الدين يحيى بن سعيد، ورضي الدين بن طاووس، وأبي الفضائل أحمد بن طاووس، وسديد الدين يوسف بن علي بن المطهر والد العلّامة الحلي...

ومن آثاره العلمية كتابه الشهير: «حجة الذاهب إلى تكفير أبي طالب»[٣].

لقد كان المترجم له من الأعلام الأفذاذ في كربلاء، وتوفي فيها سنة (٦٣٠ هـ) ودُفن في الحائر الحسيني[٤].

---

(١) ترجمته في أعيان الشيعة: ٢٣٦.

(٢) الطهراني، الطبقات (الأنوار الساطعة في المائة السابعة): ٤ / ١٣٠.

(٣) المرجع نفسه: ٤ / ١٣٠، وطبقات الفقهاء: ٧ / ١٩٢ ـ ١٩٣.

(٤) الشاهرودي ـ نور الدين، تاريخ الحركة العلمية في كربلاء: ٤٠.

٨ ـ الشيخ أبو طالب بن دريد الحائري (من علماء القرن الثامن):

وهو إبراهيم بن سبيبي أو (السيبي) ابن إبراهيم بن علي بن دريد الحائري المكنى بالشيخ أبي طالب، من علماء عصر فخر المحققين، وقد كتب الجزء الأول من (المختلف) للعلّامة الحلي، لنفسه في الحائر..»[١].

٩ ـ الشيخ علي الخازن الحائري (ت ٧٩٣ هـ):

وهو من أبرز العلماء المهاجرين من الحلة إلى كربلاء فنسب إليها فعرف بـ (الحائري) حيث تتلمذ في مدرسة الحلة على الشيخ الشهيد الأول العاملي، الذي أجازه وأثنى عليه في تلك الاجازة بقوله: «.. المولى الشيخ العالم التقي الورع المحصل القائم باعباء العلوم، الفائق أُولي الفضل والفهوم..»[٢].

كما أن ابن فهد الحلي أبا العباس أحمد (ت ٨٤١ هـ) قد تتلمذ عليه وروى عنه[٣].

١٠ ـ السيّد عميد الدين عبد المطلب بن السيّد جد الدين أبو الفوارس (ت ٧٥٤ هـ):

وهو حلي المولد، وبغدادي الوفاة، ونجفي المدفن «وفي بعض الاجازات المعتبرة أنّه كان حلّي المولد حائري المحتد»[٤].

والمترجم له من أجلاء علماء الحلة المهاجرين، قال فيه الحر العاملي: «فاضل من مشايخ الشهيد (أي الشهيد الأول).. قال ابن معية عند ذكر روايته عنه: درة الفخر،

---

(١) الطهراني، الطبقات (الحقائق الراهنة في المائة الثامنة): ٥ / ٢.

(٢) القمي ـ عباس، الفوائد الرضوية في أحوال العلماء الجعفرية: ٢٩٠.

(٣) الطهراني، الطبقات الحقائق الراهنة: ٥ / ١٣٧، والسبحاني، طبقات الفقهاء: ٨ / ١٣٧.

(٤) الخوانساري، روضات الجنات: ٤ / ٢٦٨.

فريدة الدهر مولانا الإمام الرباني، وأثنى عليه وبالغ فيه، وهو ابن أُخت العلّامة»[1].

ويعتبر السيّد عميد الدين: «من أعلام كربلاء في القرن الثامن»، «وكان باعث شهرته هو تدريسه في الحائر الحسيني، وملازمته للروضة الحسينية المقدّسة، واحتكاكه بالوافدين.. الذين كانوا يقصدونه ويحضرون مجلسه ويتلقون منه الدروس في العلوم العقلية والنقلية»[2].

١١ ـ الشيخ أحمد بن فهد الحلي (ت ٨٤١ هـ):

يُعد ابن فهد الحلي من أبرز العلماء المهاجرين من حوزة الحلة العلمية إلى حوزة كربلاء في القرن التاسع الهجري، بل يعتبره بعض الباحثين من أعمدة حوزة كربلاء حيث انتقلت بواسطته الحوزة العلمية من الحلة إلى كربلاء، فبعد أن كانت: «الحركة العلمية في الحلة الفيحاء في أوج عظمتها، ما لبثت أن انتقلت في منتصف القرن التاسع إلى كربلاء، بسبب هجرة الزعيم الديني المجاهد الشيخ أحمد بن فهد الحلي إليها..»[3].

ويعتبره كاتب آخر: «المؤسسّ الأول للمركز المرجعي في مدينة كربلاء، التي كانت قبل وفوده إليها، مدينة عامرة بالعلماء والحركة العلمية، ولكنها لم تَرقَ إلى مستوى المركز المرجعي الذي يحمل ملامحه وشروطه الخاصة»[4].

وقد ترجمنا لابن فهد ترجمة مختصرة ضمن علماء الحلة، ونضيف هنا، بأن

---

(١) الحر العاملي، أمل الآمل: ٢ / ١٦٥.

(٢) آل طعمة، تراث كربلاء: ٢٢٨، والشاهرودي، تاريخ الحركة العلمية في كربلاء: ٤٢.

(٣) آل طعمة، تراث كربلاء: ٢٤١.

(٤) الأسدي ـ محمد هادي، كربلاء ودورها العلمي والمرجعي: ٦٤٠، ضمن بحوث كتاب دراسات حول كربلاء ودورها الحضاري، طبعة مؤسسة الزهراء ـ الكويت، الطبعة الأُولى، بلا ـ ت.

مصادر ترجمة ابن فهد الحلي ـ وعلى كثرتها ـ لا تحدد لنا بدقة تاريخ هجرته إلى كربلاء من الحلة، رغم أن الأسباب لهذه الهجرة معلومة وقد أشرنا إليها في نهاية بحثنا عن مدرسة الحلة في دور أُفولها والتي كان سببها الرئيسي هو الاضطرابات السياسية الذي سبب انعدام الأمن في الحلة.

ومهما يكن من أمر، فإن هذا العَلم الفَذ كانت له خدمات جليلة في حوزة كربلاء، وذلك من خلال «مرجعيته الدينية التي تجاوزت حدود كربلاء والعراق إلى حدود الشام غربا والخليج والجزيرة العربية جنوبا.. فألف المسائل الشاميات، والرسائل البحرانيات..»[1]، أو من خلال الأسماء اللامعة التي تخرّجت من محضر درسه، وقد أشرنا إلى بعضهم سابقا ضمن قائمة أسماء العلماء المهاجرين من جبل عامل إلى الحلة. وبالرجوع إلى كتب التراجم والسير يمكن التعرف على أسماء كثيرة من أُولئك الأسماء اللامعة من تلامذة ابن فهد الحلي[2].

لقد عاش ابن فهد الحلي أواخر أيام حياته في كربلاء وتوفي فيها. يقول السيّد الأمين: «وتوفي سنة (٨٤١ هـ) عن (٨٥ سنة) ودُفن بكربلاء بالقرب من مخيم سيّد الشهداء في بستان هناك تسميه العامة ببستان أبو فهد، وقبره مزار متبرك به، وعليه قبة»[3].

١٢ ـ الشيخ إبراهيم الكفعمي (ت ٨٩٥ هـ):

وهو «تقي الدين ابراهيم بن علي بن الحسن بن محمد بن صالح العاملي

---

(١) الأسدي ـ محمد هادي، كربلاء ودورها العلمي والمرجعي: ٦٤١.

(٢) للتوسع أُنظر، الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ٣ / ١٤٨، والحر العاملي، أمل الآمل: ٢ / ٢١٠، والصدر ـ حسن، في تكملة أمل الآمل: ١٠٥، ٢٤٩.

(٣) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ٣ / ١٤٨.

الكفعمي مولدا، اللويزي محتدا، الجبعي أبا، التقي لقبا. ثقة فاضلاً أديبا شاعرا عابدا زاهدا ورعا، له كتب منها: المصباح، وهو الجُنة الواقية والجَنة الباقية.. وله كتاب البلد الأمين في العبادات.. وله شعر ورسائل متعددة..»[1].

وقد ترجم له السيّد الأمين في الأعيان ترجمة وافية ذكر فيها ولادته ووفاته ومدفنه ونسبته، وأقوال العلماء في حقه، ومشايخه، ومؤلفاته والتي أوصلها إلى (٤٩) مؤلفا ثمّ أردف ذلك بنتف من خطبه، ومقاطع مطولة من أشعاره[2].

والذي يبدو من ترجمة الكفعمي أنه ولد في قرية من قرى جبل عامل تعرف بـ (كفرعيما) وأبوه سكن قرية (جبع)، وأن أصله من (اللويزة) في جبل عامل أيضا، نعرف بهذه المسميات الكفعمي، الجبعي، اللويزي.

أما دراسته، فالذي يبدو أنه درس أولاً في جبل عامل وعند علمائها الكبار، ثمّ هاجر إلى العراق، وأنه «ورد المشهد الغروي على مشرفه السلام وأقام به مدة وطالع في كتب خزانة الحضرة الغروية، ومن تلك الكتب أ لّف كتبه الكثيرة في أنواع العلوم..»[3].

ويرتبط اسم الشيخ الكفعمي بحوزة كربلاء العلمية باعتباره من المهاجرين إليها، والمدفونين فيها ـ على قول ـ يقول السيّد الأمين في الأعيان في ترجمته: «قد سكن كربلاء مدة، وعمل لنفسه أزج بها بأرض تسمى عقير، وأوصى أن يدفن فيه.. ثمّ عاد إلى جبل عامل وتوفي فيها، ولم يذكر أحد ممن ترجمه من الأوائل تاريخ ولادته ووفاته..».

ويرجح السيّد الأمين أن يكون مولده ووفاته ومدفنه بقرية (كفرعيما) ـ التي ينسب

(١) الحر العاملي، أمل الآمل: ١ / ٢٨.

(٢) أنظر، أعيان الشيعة: ٢ / ١٨٤ ـ ١٨٩.

(٣) أفندي، رياض العلماء: ١ / ٢١.

إليها ـ وأن تاريخ وفاته مجهول..» ثمّ ينقل عن كتاب الطليعة: «أنه توفي سنة (٩٠٠ هـ) بكربلاء ودفن بها، وظهر له قبر بجبشيت من جبل عامل وعليه صخرة مكتوب فيها اسمه..، والله أعلم حيث دفن..»[١] ثمّ يذكر قصة ظهور قبر الكفعمي في قرية جبشيت، وما روي من حديث في ظهوره.

وليس للكفعمي في كربلاء قبرٌ ظاهر في الوقت الحاضر، ويذكر القائلون بمدفنه في كربلاء بأنه: «توفي في كربلاء سنة (٩٠٠ هـ).. ودفن في وادي أيمن بكربلاء وكان قبره ظاهرا»[٢].

ومما يؤيد مدفنه في كربلاء وصيته بدفنه فيها، وأبيات شعرية له يوصي بها بذلك: جاء فيها:

سـألتكم بالله أن تـدفنوني ... إذا مـتُ فـي قبـر بـأرض عقيـر

فـإني جـار الشـهيد بكـربلا ... سليل رسول الله خيـر مُجيـر[٣]

هذا كل ما ذكره المؤرخون عن الكفعمي في ترجمته، وليس بين أيدينا معلومات إضافية حول مدة مكوثه في كربلاء، ونشاطه العلمي فيها، وآثاره العلمية التي دوَّنها هناك، وتلامذته ودروسه..؟!

أُولئك هم أبرز العلماء والفقهاء الذين كان لهم حضورهم العلمي والمرجعي في حوزة كربلاء العلمية إلى بداية القرن العاشر الهجري، وكان خاتمتهم الشيخ

---

(١) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ٢ / ١٨٤ ـ ١٨٥، وأُنظر: السماوي ـ محمد ت ١٣٧٠ هـ الطليعة من شعراء الشيعة: ١ / ٨٥ بتحقيق: كامل سلمان الجبوري، طبعة دار المؤرخ العربي ـ بيروت، الطبعة الأُولى، (١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١ م).

(٢) آل طعمة ـ سلمان، تراث كربلاء: ٢٤٤.

(٣) السماوي ـ محمد، الطليعة: ١ / ٨٤.

الكفعمي، المتوفى عام (٩٠٠ هـ) على قول.

ولم تخل حوزة كربلاء في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين من وجود العلماء والفضلاء حيث برزت بعض الأسماء من رجالات العلم والأدب، إلّا أنهم كانوا أقل شهرة من السابقين عليهم.

وفيما يلي فهرسة مختصرة لبعض الأعلام في حوزة كربلاء حتى نصل إلى عصر الشيخ البحراني والشيخ الوحيد البهبهاني.

١ ـ السيّد حسين بن مساعد الحائري (ت ٩١٠ هـ)

وهو عالم فذ وأديب ضليع قوي الحجة واسع الاطلاع.. ومن آثاره مصنّفه (تحفة الأبرار في مناقب أبي الأئمة الأطهار)[١]، وهو من سلالة عيسى بن زيد الشهيد حفيد الإمام السجادعليه السلام، وباسمهم سميت محلة (آل عيسى) في كربلاء[٢].

٢ ـ السيّد ولي الحسيني الحائري (من علماء القرن العاشر)

من علماء القرن العاشر الهجري المجاورين للحائر الحسيني، قال عنه في أمل الآمل: «كان عالما فاضلاً صالحا محدثا، له كتاب مجمع البحرين في فضائل السبطين، وكتاب كنز المطالب في فضائل علي بن أبي طالبعليه السلام، وكتاب منهاج الحق واليقين في فضائل أمير المؤمنينعليه السلام، وغير ذلك»[٣]، ولم ينص أحد من مترجميه على سنة وفاته ولا محل دفنه إلّا صاحب ريحانة الأدب الذي نص على أنه كان من معاصري الشيخ حسين والد الشيخ البهائي، الشهيد الثاني[٤].

---

(١) الطهراني، الذريعة: ٣ / ٤٠٥.

(٢) آل طعمة، تراث كربلاء: ٢٤٦.

(٣) الحر العاملي، أمل الآمل: ٢ / ٣٣٩.

(٤) التبريزي ـ محمد علي، ريحانة الأدب ١ / ٣١١.

٣ ـ السيّد عبد الحسين بن مساعد الحائري

ذكره الطهراني في الطبقات بقوله: عبد الحسين بن مساعد بن حسن بن علي ابن الحسن بن طوغان الحسيني الحائري، كتب بخطه شرح مختصر العضدي وفرغ منه في الخميس رابع رمضان (٩٩١ هـ)، والنسخة موجودة في مكتبة الشيخ علي كاشف الغطاء[١].

وليس بين أيدينا معلومات أُخرى عنه.

٤ ـ المولى شمس الدين الشيرازي (ت ١٠٣٥ هـ)

وهو من علماء القرن الحادي عشر الهجري، ذكره صاحب الطبقات فقال: «شمس الدين الشيرازي المتوفى بالري (١٠٣٥ هـ)، قرأ عليه ولده القاضي محمد شريف، العلوم الأدبية والمنطق والكلام كما يظهر من كتاب ولده الموسوم بـ (خزان وبهار) أنّ والده صاحب هذه الترجمة كان مجاور كربلاء حدود سنة (١٠٠٠ هـ) فهاجر إلى إصفهان في (١٠٠٦ هـ) ثمّ إلى مشهد خراسان في (١٠١٠ هـ)، وبعد (٢٧ شهرا) رجع إلى إصفهان وبقي إلى (١٠٢٩ هـ)، فذهب إلى الري وبها توفي (١٠٣٥ هـ)»[٢].

٥ ـ القاضي محمد شريف المتخلّص بـ (الكاشف بن شمس الدين الشيرازي)

ذكر في ترجمته أنه ولد في كربلاء في (١٠٠١ هـ)، وحمله أبوه إلى إصفهان، وتعلم هناك مبادئ العلوم في المكتب ثمّ تنقل مع والده (شمس الدين) إلى مشهد الرضا عليه السلام، ثمّ عاد إلى إصفهان وقرأ على والده العلوم الأدبية والمنطق والكلام.. تولى

(١) الطهراني، الطبقات (احياء الداثر في علماء القرن العاشر): ٤ / ١١٨.

(٢) المرجع نفسه: ٤ / ٢٦٨.

منصب القضاء لمدة خمس عشرة سنة من قبل السلطان، له آثار علمية وتصانيف، منها (السراج المنير)، (والدرة المكنونة)، و (حواس الباطن)..»[1].

٦ ـ السيّد علي الحسيني بن عبد الحسين بن مساعد الحائري

ذكره صاحب الطبقات بعنوان الحائري النسابة، ونقل عن محمد كاظم الشريف النجفي في حاشية (عمدة الطالب) قوله: «اني رأيت مشجّر نسب السيّد ربيع الحائري الذي عمله في (١٠١٩ هـ)، وعليه شهادة صاحب الترجمة بخطّه وكذا شهادة مساعد بن محمد الحسيني..»[2].

٧ ـ السيّد حسين بن الحسن العسكري الحائري

ذكره الشيخ الطهراني وقال عنه: «رأيتُ بخطّه «الدروس» للشهيد كتبها في (١٠٢٦ هـ) موجودة في خزانة علي محمد النجف آبادي في (التسترية) قال في آخره: «.. قد فرغ من تسويد هذا الكتاب اللطيف الشائق جامع ثمار الفوائد من أنواع الحدائق، المنسوب إلى المظلوم الشهيد الذي دمه فائق على مداد ذوي الفضل المتقدم واللاحق، العبد المذنب المسرف الراجي رحمة ربه الغني، حسين ابن حسن العسكري الحسيني الكربلاني في العاشر من شهر ربيع الأول سنة ست وعشرين وألف». وعليه تصحيحات بخطّه يظهر منها أ نّه من أهل الغور والاطلاع وعليه حواشي رمزها (م ح ق مدّ ظله العالي) وفي الحواشي ينقل عن جدّه في شرح القواعد المظنون أنّ الحواشي للمير الداماد محمد باقر، ينقل عن جدّه الأُميّ المحقق الكركي

---

(١) الطهراني، الطبقات (احياء الداثر في علماء القرن العاشر): ٤ / ٢٦٠، والذريعة ٧ / ١٠٨ ـ ١٠٩ و ٨ / ٧٧، وكحالة ـ عمر رضا، معجم المؤلفين: ١٠ / ٦٧.

(٢) الطهراني، الطبقات: ٥ / ٢٩٢.

في (جامع المقاصد) وكاتب الحواشي من تلاميذه»[1].

٨ ـ الشيخ عباس البلاغي (ت ١٠٨٥ هـ)

وهو الشيخ عباس بن محمد علي بن محمد البلاغي العاملي، قال عنه الصدر: «عالم فاضل ابن عالم فاضل أبو علماء أفاضل، قرأ على أبيه العلّامة وصنّف ومات بعد الألف من الهجرة»[2].

وقال الطهراني: «وهو والد الشيخ حسن الذي له كتاب (تنقيح المقال) وقد ترجم فيه جدّه محمد علي المتوفى سنة (١٠٠٠ هـ). ووالد المترجم له فاضل جليل له احاطة بكثير من العلوم، وهو صاحب كتاب (شرح الكافي).

أما نجله عباس فقد اقتفى أثر والده في تتبع العلوم، والارتشاف من مناهل المعرفة، والعلم باق في أحفادهم إلى اليوم بوجود العالم محمد علي البلاغي».

٩ ـ السيّد نصر اللّه الحائري (الشهيد سنة ١١٦٨ هـ على رواية)

وهو من أشهر علماء الشيعة في حوزة كربلاء خلال القرن الثاني عشر الهجري، وله ترجمة وافية في أغلب كتب التراجم والسير التي كُتبت خلال هذه الحقبة الزمنية، أو التي أرّخت لتاريخ العراق السياسي والاجتماعي.

ترجم له الشيخ الطهراني في طبقاته ترجمة مطولة جاء في بعض مقاطعها: «نصر اللّه المدرس الحائري (المتوفى حدود ١١٥٦ ـ ١١٦٨ هـ) هو ابن الحسين ابن علي بن إسماعيل (يونس) الحسيني الموسوي الفائزي المدرس الشهيد قبل سنة (١١٦٨ هـ) سفيرا في البلاط العثماني.. قال السيّد عبد اللّه الجزائري في الاجازة

---

(١) الطهراني، الطبقات: ٥ / ١٧٥ ـ ١٧٦.

(٢) الصدر ـ حسن، تكملة أمل الآمل: ٢٥٣، والمرجع السابق: ٥ / ٣١٠، ومحبوبة ـ ماضي النجف وحاضرها: ٢ / ٧٧.

الكبيرة: كان آية في الفهم والذكاء وحسن التقرير، شاعرا أديبا له ديوان، وله اليد الطولى في التاريخ والمقطعات، وكان مرضيا مقبولاً عند المخالف والمؤالف (الشيعة والسنة)..»[١].

وذكره السيّد الأميني في شهداء الفضيلة ضمن قائمة الشهداء العلماء في القرن الثاني عشر (الهجري) فقال: «السيّد نصر اللّه.. المعروف بالسيّد الشهيد؛ هو ممن جمع اللّه سبحانه له الحسنيين؛ السعادة بالعلم والتقى، والشهادة دون ما يحب اللّه ويرضى، كما أنه جامع بين الشرفين؛ علوّ النسب، والفضل المكتسب، فهو عالم فقه، محدّث، أديب شاعر، مشارك في علوم قلّ من اطلع عليها أجمع»[٢] ثمّ ذكر ما جاء في الاجازة الكبيرة للجزائري.

كما أنّ السيّد الأمين في الأعيان قد ذكر له ترجمة مفصلة اشتملت على: نسبه، ووفاته، وأقوال العلماء فيه، ومشايخه وتلامذته وممن يروي عنهم، وسيرته التي جاء في مقطع منها: «كان يدرس في الروضة الشريفة الحسينية، وكان زوارا للأُمراء، كثير السفارة فيما بينهم.. خرج إلى إيران وطاف فيها وأقام مدّة، من جمّاعي الكتب والآثار...»[٣].

مؤتمر النجف ودور الحائري فيه:

ولنصر اللّه الحائري دور كبير في مؤتمر النجف الذي عقده في النجف ناصر الدين شاه القاجاري، ضمن قصة طويلة، خلاصة ما جاء فيها: «إنّ نادر قلي شاه

---

(١) الطهراني، الطبقات (الكواكب المنتشرة في القرن الثاني بعد العشرة): ٦ / ٧٧٥.

(٢) الأميني ـ عبد الحسين، شهداء الفضيلة: ٢١٥، طبعة دار الشهاب ـ قم، بلا ـ ت.

(٣) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ١٠ / ٢١٣ وما بعدها.

القاجاري الذي ظهر بعد انهيار الدولة الصفوية كقائد عسكري في الدولة القاجارية وحاصر بغداد عام (١٧٣٣ م) لمدّة سبعة أشهر، ثمّ اندحر منها مهزوما أما الجيش العثماني، عاد مرّة أُخرى وفتح بغداد صلحا مع واليها العثماني (أحمد باشا) فزار العتبات المقدّسة وعاد سريعا إلى إيران.. وفي سنة (١٧٣٦ م) وبعد موت الشاه طهماسب تتوج نادر قلي ملكا على إيران، ومنذ ذلك الحين صار اسمه (نادر شاه)..».

«وكانت خطة نادر قلي أن يجعل من التشيع مذهبا فقهيا خامسا يضاف إلى المذاهب الأربعة الموجودة عند السنة.. ففي عام (١٧٤٣ م) أرسل نادر شاه إلى السلطان العثماني يطلب منه الاعتراف الرسمي بالمذهب الجعفري، فجمع السلطان علماء اسطنبول يستفتيهم في الأمر فكان جوابهم أن الشيعة مارقون عن الإسلام يجوز قتلهم وتأسيرهم شرعا. وحين وصل هذا الجواب إلى نادر شاه اتخذه ذريعة لاعلان الحرب على الدولة العثمانية، وسرعان ما توجه بجيوشه نحو العراق، وعبر الحدود بالقرب من مندلي..».

*** مؤتمر النجف:**

توجه نادر شاه إلى الموصل ثمّ جاء بغداد ومنها توجّه إلى النجف، «ولم يكد نادر شاه يستقر في النجف حتى عزم على عقد مؤتمر عام يجتمع فيه علماء الشيعة والسنة لوضع أسس التوفيق بين الطائفتين المتعاديتين.. وكان نادر شاه قد جلب معه من إيران سبعين عالما شيعيا، كما جلب سبعة علماء من تركستان، وسبعة من أفغانستان، ثمّ استدعى من كربلاء السيّد نصر اللّه الحائري، الذي كان حينذاك كبير مجتهدي الشيعة في العراق، وأرسل إلى أحمد باشا (الوالي العثماني) يرجوه أن يبعث من قبله عالما يمثل السنيين العراقيين، فأرسل أحمد باشا إليه الشيخ عبد اللّه السويدي، وبعد

مجادلات طويلة ـ بين العلماء الحاضرين ـ تمَّ الاتفاق على قرارات معينة، ثمّ اجتمع علماء الطائفتين أخيرا تحت المسقف المنصوب وراء ضريح الإمام (علي عليه السلام) فكتبوا محضرا يشتمل على خمس مواد..»[1].

لقد كان نادر شاه يريد أن ينجح مؤتمر النجف بأية صورة، ولهذا اتخذ اجراءات كثيرة تكفل للمؤتمر هذا النجاح الظاهري، فبعد انتهاء المؤتمرين من مؤتمرهم ابتهج كثيرا بذلك، وحاول أن يجمعهم مرّة أُخرى في مناسبة دينية «فأمر نادر شاه أن تقام صلاة الجمعة في جامع الكوفة.. وطلب من السويدي أن يحضر الصلاة لكي يسمع باذنه مدح الصحابة من قبل خطباء الشيعة. وفي صباح يوم الجمعة ذهب الجميع إلى الجامع، وصعد السيّد نصر اللّه الحائري فألقى خطبة أثنى فيها على الخلفاء الأربعة واحدا بعد الآخر، كما أثنى على بقية الصحابة وأهل البيت، ثمّ دعا السلطان العثماني ولنادر شاه من بعده».

ومن طريف ما ينقل في هذا المجال أن خطيب الجمعة (السيّد الحائري) «حين وصل في خطبته إلى ذكر الخليفة الثاني (عمر) كسر آخره، مع العلم أن هذا غير جائز حسب قواعد النحو لأنّ اسم عمر ممنوع من الصرف. ولا ندري هل أن الحائري فعل ذلك سهوا أم عن قصد؟ وقد امتعض السويدي من ذلك كُلّ الامتعاض واعتبر عمل الحائري دسيسة مقصودة، أراد بها ذم الخليفة عمر، فقال ما نصه: «.. لكنه كسر الراء من (عمر) مع أن الخطيب أمام في العربية، لكنه قصد دسيسة لا يهتدي إليها إلّا الفحول، وهي أن منع صرف عمر إنما كان للعدل والمعرفة، فصرفه الخبيث قصدا إلى

---

(١) للتوسع أُنظر، السويدي ـ عبد اللّه، «الحجج القطعية لاتفاق الفرق الإسلامية»، طبعة القاهرة، ١٣٢٤ هـ وقد طبع الكتاب طبعة ثانية في القاهرة أيضا عام ١٣٦٧ هـ بعنوان «مؤتمر النجف»، مع مقدمة وتعليقات لمحب الدين الخطيب.

أنه لا عدل فيه ولا معرفة! قاتله اللّه من خطيب وأخزاه، ومحقه وأذله في دنياه وعقباه..»[1].

يعقب الدكتور علي الوردي على كلام السويدي بقوله: «ان هذا دليل على أن التقارب الطائفي الذي حصل في مؤتمر النجف كان سطحيا، ولم يتغلغل في أعماق القلوب، فقد بقي سوء الظن يلعب دوره على الرغم من الفرح الظاهر، ولهذا كان السويدي يراقب كل كلمة تفوه بها الحائري في خطبته ويدقق في فحصها، ولما لم يجد في الخطبة سوى تلك الهنة البسيطة ـ وهي كسر راء عمر ـ انتهزها فرصة وأخذ يبالغ فيها، ويستنتج منها ما توحي به روح الخصومة القديمة. لقد كان المفروض فيه لو كان حسن الظن أن يفسر الأمر تفسيرا حسنا، ولكنه لم يفعل، مما يدل على أن الشحناء التي دامت قرونا لا يمكن أن تزول فجأة»[2].

سفارة السيّد الحائري واستشهاده:

ينقل الخوانساري قصة سفارة السيّد نصر اللّه الحائري واستشهاده باقتضاب فيقول: «ولمّا دخل النّادر ـ أي نادر شاه ـ المشاهد المشرّفة في النوبة الثانية، وتقرب إليه السيّد، أرسله بهدايا وتحف جليلة إلى الكعبة المعظّمة، فأتى البصرة ومشى إليها من طريق نجد، وأوصل الهدايا؛ فأتى عليه الأمر بالشخوص سفيرا إلى سلطان الروم، لمصالح تتعلّق بأمور الملك والملّة، فلمّا وصل إلى قسطنطينية وشي به إلى السلطان

---

(١) السويدي ـ عبد الرحمن، حديقة الزوراء في سيرة الوزراء: ٥٤٧، تحقيق: عماد عبد السلام رؤوف، طبعة منشورات المجمع العلمي، ١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٣ م.

(٢) الوردي ـ علي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث: ١ / ١٣٩، أُفست انتشارات الشريف الرضي ـ قم، ١٤١٣ هـ وما نقلنا سابقا من نصوص حول مؤتمر النجف ودور الحائري فيها من المرجع نفسه. أُنظر: ١ / ١١١ وما بعدها.

بفساد المذهب وأُمور أُخرى، فأحضر واستشهد فيما بين الخمسين والستين يعني بعد الألف والمأة من هجرة سيّد النبيين، وقد تجاوز عمره الخمسين»[1].

إلّا أنّ السيّد الأمين في أعيانه يذكر تفاصيل مؤتمر النجف عند ترجمة الشيخ علي أكبر الملا باشي، الذي كان يدير المناظرات مع عبد الرحمن السويدي، ويذكر في آخرها: «وأرسل الشاه بعد ذلك نصر اللّه الحائري ليكون اماما في مكة المكرمة، وأرسل معه هدايا إلى شريف مكة، فحاول أهل مكة قتله، ثمّ جاءه الأمر بالسفر إلى اسلامبول [هكذا] للسفارة بين الشاه والسلطان، فاستشهد فيها..»[2].

وليس بين أيدينا معلومات ضافية تحدد بدقة طبيعة مهمة السيّد الحائري إلى مكة، وبعدها إلى اسطنبول، وما هي ردود الفعل الذي واجهها في مهمته؟ وما هي نوع التهم التي استشهد من أجلها؟

والذي يبدو أنّ الحائري قد سبقته الوشايات المغرضة، ولا يستبعد ـ كما يقول الدكتور علي الوردي ـ أن يكون للشيخ عبد اللّه السويدي يد في ذلك، إذ إنه كتب في ختام مذكراته عن المؤتمر قائلاً: «فلأجل هذا الذي حدث عزمتُ على الحج، اللهم يسر ذلك»[3].

وأما عن مصير جثمانه ومحل دفنه فينقل الدكتور الوردي: «عن الدكتور مرتضى نصر اللّه ـ وهو من سلالة الحائري ـ انه حدثه عن الرواية التي تناقلتها الأُسرة حول مصير جدهم هي أنه مات من جراء وضع السم له في الطعام، غير أن جنازته شيّعت

---

(١) الخوانساري، روضات الجنات: ٨ / ١٤٨.

(٢) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ٨ / ١٧٥. ومعادن الجواهر للمؤلف نفسه: ٢ / ١٩ وما بعدها.

(٣) الوردي ـ علي، لمحات اجتماعية: ١ / ١٤٠ عن مذكرات السويدي: ٢٩، وأُنظر كتاب مؤتمر النجف للسويدي: ١٠٦، طبعة دار طيبة الرياض، الطبعة الثالثة، ١٣٩٣ هـ.

تشييعا رسميا ودفن في قبر لائق به، ولا يزال قبره قائما، وقد نصب عليه شباك تتبرك به النساء، وينذرون له النذور»[1].

وهكذا مضى السّيد الحائري إلى ربه شهيدا في غربة عن أهله ووطنه كما مضى السلف الصالح من العلماء الشهداء، بسبب الدسائس والتهم الباطلة التي حيكت ضدهم.

إلّا أنّ السيّد نصر اللّه الحائري لم ينقطع ذكره في حوزة الإسلام كربلاء، وبقي خالدا من خلال آثاره العلمية، وقصائده الولائية، بالاضافة إلى من تتلمذ عليه من طلّاب العلم والمعرفة ممن واصلوا مسيرة أُستاذهم رحمة اللّه تعالى عليه[2].

حوزة كربلاء في دورها الثاني: دور التوسع والازدهار والكمال العلمي

لقد سارت الحركة العلمية في كربلاء سيرا حثيثا، وحققت حوزتها العلمية فتوحات علمية على يد العلماء والفقهاء الكبار الذين تعاقبوا على التدريس والافادة فيها.

ولم تنقطع حركة العلم في هذه الحوزة المباركة بفقدان مدرِّسها الأول السيّد نصر اللّه الحائري، إذ واصل تلامذته مسيرة أُستاذهم العلمية، إلّا أننا لم نعثر على علماء لهم شهرتهم العلمية بعد عصر الحائري، حتى حلَّ في كربلاء الشيخ يوسف البحراني صاحب الحدائق، ثمّ حلّ فيها الأُستاذ الوحيد البهباني، وهما من كبار الفقهاء ومن جهابذة الفقه والأُصول.

وبهذين العلمين الفذين وتلامذتهما اللامعين، دخلت حوزة كربلاء (دورها

---

(١) الوردي ـ علي، لمحات اجتماعية: ١ / ١٤١ وتجد بعض التفاصيل في هامش الصفحة نفسها. كما أن المحامي عباس العزاوي له بعضه التفاصيل الأُخرى في كتابه تاريخ العراق بين الاحتلالين: ٥ / ٢٦٩ ـ ٢٧٠.

(٢) أُنظر، أعيان الشيعة: ١٠ / ٢١٤ وما بعدها.

الثاني) وهو دور «التوسع والازدهار والكمال العلمي»، بل إنها أصبحت الحوزة الرئيسية للشيعة خلال هذه الحقبة الزمنية، بعد أن كانت حوزة النجف الأشرف ـ في دورها الثاني ـ هي الحوزة الرئيسية عند الشيعة كما بيّنا ذلك سابقا.

يقول السيّد الشهيد محمد باقر الصدر في معالمه: «إنّ مدرسة الأُستاذ الوحيد البهبهاني نشأت على مقربة من المركز الرنيسي للحوزة ـ وهو النجف ـ فكان قربها المكاني هذا من المركز سببا لاستمرارها ومواصلة وجودها عبر طبقات متعاقبة من الأساتذة والتلامذة.. حتى استطاعت أن تقفز بالعلم قفزة كبيرة وتعطيه ملامح عصر جديد»[1].

وسوف نقف على معالم هذا الدور المهم من أدوار حوزة كربلاء من خلال تراجم أعلامها في هذه الحقبة الزمنية، وملامح الحركة العلمية فيها، وأهم الآثار العلمية لهذه الحقبة، ونبدأ أولاً بالشيخ يوسف البحراني، باعتباره من أبرز العلماء الذين اتخذوا من كربلاء موطنا لهم حيث أفاض على طلّابها من علمه وفضله، وأصبحت حوزة كربلاء في عصره تشد لها رحال أهل الفضل وعشاق العلم.

وقبل الدخول إلى رحاب صاحب الحدائق ينبغي أن نشير إلى أن الشيخ البحراني يمثل المدرسة الاخبارية في وجهها المعتدل[2]، وكانت حوزة كربلاء في القرن الثاني عشر تمثل مركز تجمع الاخباريين،

إذ كانت قبلها البحرين قاعدة ومنطلقا للاتجاه الاخباري في الفقه، فلما تعرّضت للغزو وتشرّد اهلها انتشر فقهاؤها في الأرض، واحتضنت كربلاء بعضهم.

---

(١) الصدر ـ محمد باقر، المعالم الجديدة للأُصول: ٨٦ طبعة مكتبة النجاح.

(٢) تحدثنا بالتفصيل عن المدرسة الاخبارية ومراحلها المختلفة وأبرز رموزها وأهم آثارهم العلمية في كتابنا تطور حركة الاجتهاد، الفصل العاشر: ٤١٢ وما بعدها.

وكان الشيخ «يوسف» من هؤلاء الذين لجأوا إلى هذه المدينة المقدسة ليواصلوا عملهم العلمي هناك، حيث حلّ فيها في حدود (عام ١١٦٩ هـ) فحفّ به طلاب العلم وارتشفوا من نمير علمه العذب، وتسلّم فى كربلاء زعامة التدريس والزعامة الدينية، ولبث في هذه المدينة قرابة عشرين عاما حتى وافاه الأجل فيها[١].

والشيخ البحراني هو: «يوسف بن احمد بن ابراهيم آل عصفور الدرازي البحراني» المتوفى سنة (١١٨٦ هـ).

ترجم له الرجاليون المتأخرون واثنوا عليه الثناء الجميل حيث كان في علمه وتقواه من اكابر فقهاء الإمامية[٢].

قال تلميذه ابو علي الحائري في كتابه (منتهى المقال): «عالم، فاضل، متبحر، ماهر، متتبع، محدث، ورع، عابد، صدوق، ديّن، من اجلة مشايخنا، وافضل علمائنا المتبحرين»[٣].

وترجم له المرحوم العلامة السيد عبد العزيز الطباطبائي «طاب ثراه» وفهرس مؤلفاته فهرسة جامعة، في تقديمه لكتاب (الحدائق الناضرة) الذي عنونه بـ «حياة شيخنا العالم البارع الفقيه المحدث الشيخ يوسف البحراني ﵀»[٤].

وفي طليعة كتبه ومؤلفاته كتابه الفقهي الكبير «الحدائق الناضرة في أحكام العترة

---

(١) الآصفي ـ محمد مهدي، مقدمة رياض المسائل: ١ / ٩٥، بتصرف.

(٢) الفضلي ـ عبد الهادي، تاريخ التشريع: ٤٣٧.

(٣) الحائري ـ ابو علي، محمد بن إسماعيل، منتهى المقال في معرفة الرجال: ٧ / ٧٤ ـ ٧٥، طبعة مؤسسة آل البيت لاحياء التراث ـ قم، الطبعة الأُولى، ١٤١٦ هـ.

(٤) انظر: البحراني ـ الشيخ يوسف، مقدمة الحدائق الناضرة ج / ١، طبعة الآخوندي ـ النجف الأشرف، ١٩٥٧ م.

الطاهرة» وهو كتاب شهير ومن عيون الكتب الفقهية الامامية، وناهيك به شهرة ان صار معرفا لمؤلفه الشهير، فلم يكد شيخنا المحدث البحراني يعرف ثم يعرّف، ولا يذكر ويميز إلّا بقولهم عنه «صاحب الحدائق»[1].

ومن مؤلفاته القيمة كتاب «الدرر النجفية» قال عنه المؤلف في «اللؤلؤة»: «فهو كتاب لم يعمل مثله في فنه مشتمل على تحقيقات رائعة، وابحاث فائقة» اراد بذلك استخراج القواعد الاصولية من الأحاديث وتطبيقها عليها، وجمع ما ورد عنهم عليهم السلام من النتف المتفرقة في القواعد الاصولية، وقد سبقه إلى ذلك المحدثان المتعاصران صاحب الوسائل والبحار، فجمعها الأول في (الفصول المهمة في اصول الأئمة)، والثاني في اوائل موسوعته الكبرى لأحاديث الشيعة (بحار الأنوار) كما ألف بعده المحدث الكبير السيد عبد اللّه شبر كتابا اسماه (الأُصول الأصيلة)»[2].

الاتجاه المعتدل للشيخ البحراني:

كان الشيخ «يوسف البحراني» يتبنى الاتجاه الاخباري في طريقة استنباط الحكم الشرعي، وكانت الطريقة الاخبارية هي الطريقة السائدة والمعروفة في اوساط المدارس الفقهية للشيعة الامامية حيث انحسرت المدرسة الاصولية نتيجة الحملة التي تعرضت لها من قبل المحدث الاسترآبادي واقطاب مدرسته في تلك الفترة الزمنية.

وبعد هجرة الشيخ يوسف من البحرين اثر الغزو والتشريد الذي تعرضت له تلك البلاد توجه اتجاه ايران وتنقل بين مدنها، ثم سافر إلى العتبات العاليات وجاور في

---

(١) انظر: البحراني ـ الشيخ يوسف، مقدمة الحدائق الناضرة ج / ١: صفحة ج.

(٢) الفضلي، تاريخ التشريع: ٤٤٠، الهامش.

كربلاء[1] بعد رحلة علمية استغرقت خمسة وثلاثين عاما.

ونشط الشيخ يوسف في كربلاء، وواصل عمله العلمي على صعيدي التأليف والتدريس بالاضافة إلى الزعامة الدينية التي انفرد بها في هذه المدينة المقدسة. وتخرّج على يده خلال هذه المدة عدد من كبار الفقهاء الافذاذ امثال:

أبي علي الحائري المازندراني مؤلف كتاب «منتهى المقال» في علم الرجال، والمحقق القمي الميرزا ابو القاسم صاحب «القوانين» في علم الاصول، والشيخ حسين محمد بن حسين مؤلف «عيون الحقائق الناضرة في تتمة الحدائق الناضرة»، والسيد علي الحائري صاحب «رياض المسائل»، والسيد مهدي بحر العلوم الفقيه الشهير صاحب «الفوائد الرجالية»، والمولى المحقق النراقي محمد مهدي مؤلف «مستند الشيعة» وآية اللّه السيد ميرزا مهدي الشهرستاني[2].

وغيرهم الكثير من كبار الفقهاء والمجتهدين، عدا الكثير من طلاب العلم والمشتغلين الذين كانوا يستسقون من نمير علمه خلال فترة تواجده في ايران ولا سيما في معهدها الديني (شيراز) من الذين لم يضبط لنا تاريخ التراجم اسمائهم.

وفي كربلاء التي حل بها الشيخ يوسف؛ في حدود سنة (١١٦٩ هـ) احتدم الصراع الفكري بين الاخباريين والاصوليين، يصدر منها إلى خارجها ويرد من خارجها إليها، ويدور عنيفا على محور مركزها العلمي، ذلك ان ثورة الميرزا الاسترآبادي قد اثارت ردود فعل قوية ومن اهمها ان قوبلت بثورة اصولية من الوحيد البهبهاني.

---

(١) منتهى المقال: ٧ / ٧٥ ـ ٧٦، وانظر مقدمة الحدائق الناضرة.

(٢) انظر مقدمة الحدائق صفحة: ل ـ م ـ ن ـ س ـ ع بقلم الحجة الطباطباني، طبعة النجف.

وكان للمحدث البحراني دور مهم في محاولة توازن القوى وتبريد غليان الصراع، وذلك بشجب التطرف الذي كان من المحدث الاسترآبادي والفيض الكاشاني وامثالهما[1]. والاخذ بالموقف المعتدل والعقلانية من هذا الصراع المرير بين المدرستين، محاولاً بذلك تخفيف غلواء اسلافه في الرأي، والحد من حملاتهم الجارحة، ومحاكمة الاصوليين ثم محاولة تقليص الخلاف بينهم وبين الاخباريين.

يقول في المقدمة الثانية عشرة من مقدمات «الحدائق»[2]:

«وقد كنت في اول الأمر ممن ينتصر لمذهب الاخباريين، وقد اكثرت البحث فيه مع بعض المجتهدين من مشايخنا المعاصرين، إلّا ان الذي ظهر لي بعد اعطاء التأمل حقه في المقام وامعان النظر في كلام علمائنا الاعلام، هو اغماض النظر عن هذا الباب وارخاء الستر دونه والحجاب، وان كان قد فتحه اقوام واوسعوا فيه دائرة النقض والابرام.

اما اولاً: فلاستلزامه القدح في علماء الطرفين، والازراء بفضلاء الجانبين، كما قد طعن به كل من علماء الطرفين على الآخر، بل ربما انجر إلى القدح في الدين سيما من الخصوم المعاندين.

وأما ثانيا: فلأن ما ذكروه في وجوه الفرق بينهما جله بل كله عند التأمل لا يثير فرقا في المقام»[3].

---

(١) انظر لؤلؤة البحرين: ١١٧ ـ ١١٨ و ١٢١ في ترجمة كلا من الاسترآبادي والفيض الكاشاني.

(٢) تضمن كتاب الحدائق للمحدث البحراني اثنتي عشرة مقدمة «مهمة» تعكس منهج هذا الفقيه الجليل في الاستدلال الفقهي.

(٣) ربما تكون هذه الدعوى مبالغة من الفقيه البحراني في ادعاء عدم الفرق، بل الفرق او الفروق موجود كما بيّنا ذلك في كتابنا تطور حركة الاجتهاد.

وأما ثالثا: فلأن العصر الاول كان مملوءا من المحدثين والمجتهدين، مع انه لم يرتفع بينهم صيت هذا الخلاف، ولم يطعن احد منهم على الآخر بالاتصاف بهذه الاوصاف، وان ناقش بعضهم بعضا في جزئيات المسائل واختلفوا في تطبيق تلك الدلائل.

وحينئذٍ فالأَوْلَى والأليق ـ بذوي الايمان، والأحرى والانسب في هذا الشأن ـ هو أن يقال: ان عمل علماء الفرقة المحقة... إنما هو على مذهب أئمتهمعليهم السلام وطريقتهم الذي اوضحوه لديهم... ولكن ربما حاد بعضهم ـ اخباريا كان، أو مجتهدا ـ عن الطريق غفلة، أو توهما او لقصور اطلاع او قصور فهم، أو نحو ذلك في بعض المسائل، فهو لا يوجب تشنيعا ولا قدحا، وجميع تلك المسائل ـ التي جعلوها مناط الفرق ـ من هذا القبيل.

فانا نرى كلاً من المجتهدين والاخباريين مختلفون في آحاد المسائل، بل ربما خالف أحدهم نفسه، مع انه لا يوجب تشنيعا ولا قدحا، وقد ذهب رئيس الاخباريين الصدوقرحمه الله إلى مذاهب غريبة لم يوافقه عليها مجتهد ولا اخباري، مع انه لم يقدح ذلك في علمه وفضله.

ولم يرتفع صيت هذا الخلاف ولا وقوع هذا الاعتساف، إلّا في زمن صاحب الفوائد المدنية ـ سامحه اللّه تعالى برحمته المرضية ـ فانه قد جرد لسان التشنيع على الأصحاب، وأسهب في ذلك أي أسهاب، واكثر من التعصبات التيلا تليق بمثله من العلماء الأطياب... وكان الأنسب بمثله حملهم على محامل السداد والرشاد ان لم يجد ما يدفع به عن كلامهم الفساد...»[1].

---

(١) البحراني ـ الحدائق الناضرة: ١ / ١٦٧ ـ ١٧٠ المقدمة الثانية عشر ـ بتلخيص.

وكان لهذا الموقف الذي وقفه الشيخ يوسف من هذا الصراع تأثير بالغ الأهمية في إعادة الانسجام إلى مدرسة أهل البيت.

وفي نفس الوقت تدل على قمة في الوعي والمسؤولية أدركه المحدث البحراني‌ﷺ على عاتقه، واحس بثقلها على كاهله، فتوجه بكل ثقله العلمي لتضييق شقة الخلاف وإزالة الحواجز ونقد التطرف الاخباري في الموقف تجاه المدرسة الأُصولية[1].

هذا بالاضافة إلى دلالة هذا الموقف على غاية في الورع والتقوى، والدرجة العالية من التجرد عن الانانية عند هذا الفقيه الجليل.

وتقوى الشيخ يوسف وخلوصه وصدقه وابتغاؤه للحق كان من اهم العوامل لانتصار المدرسة الاصولية على يد (الوحيد) كما سيأتي.

منهج الشيخ البحراني في الاستدلال الفقهي:

بقي المنهج الاخباري موزعا في الكتب الاخبارية التي ألفت لنقد المنهج الاصولي، ككتب المحدث الاسترآبادي، والفيض الكاشاني، والشيخ حسين بن شهاب العاملي، وغيرهم ممن له مدونات وكتب تعكس وجهة نظر المدرسة الاخبارية.

وانفرد الشيخ الفقيه البحراني‌ﷺ عن أسلافه من علماء الاخبارية من خلال تطبيق منهجه في كتابه القيم (الحدائق الناضرة) وان لم يقدّر له ان يدوّنه بشكل نظري متكامل ومستقل كما صنع الاسترآبادي في (الفوائد) والفيض الكاشاني في جملة من مؤلفاته التي كرسها لتفنيد المنهج الاصولي وتأييد المنهج الاخباري مثل (الاصول الأصيلة) وغيرها، او كما فعل العامليان الشيخ الحر والشيخ حسين في (هداية الامة)

---

(١) الآصفي ـ محمد مهدي، مقدمة رياض المسائل: ١ / ٩٧.

و (هداية الأبرار) وغيرها من المؤلفات.

إلّا ان الخطوط العامة للفكر الاخباري عند الفقيه البحراني﵀ مبثوثة في كتابه القيم (الدرر النجفية) فانه﵀ افاض الكلام في المسائل الخلافية التي بين المجتهدين والاخباريين، وبيّن رأيه في كل مسألة مع اقامة البرهان عليه[1]. كذلك الامر في المقدمات الاثنتي عشر التي قدمها لكتابه (الحدائق الناضرة).

وباستطاعة الباحث استخلاص المنهج النظري للفقيه البحراني﵀ وبكل خطوطه وقواعده من خلال كتاب (الحدائق).

اما منهجه واختلافه عن منهج من سبقه من أعلام الاخبارية في المرحلة الأُولى امثال الاسترآبادي، والكاشاني، والعامليين، فيمكننا أن نلخصه بما يلي[2]:

اولاً: في ظواهر القرآن الكريم:

تعرض لذكر هذه المسألة في المقدمة الثالثة من (الحدائق) وذكرها بشيء من التفصيل في (الدرر النجفية)[3]. قال: المقام الأول: «في الكتاب العزيز: «ولا خلاف بين أصحابنا الاصوليين في العمل به في الأحكام الشرعية والاعتماد عليه، حتى صنف جملة منهم كتبا في الآيات المتعلقة بالأحكام الفقهية وهي خمسمائة آية عندهم.

واما الاخباريون فالذي وقفنا عليه من كلام متأخريهم ما بين افراط وتفريط، فمنهم من منع فهم شيء منه مطلقا حتى مثل قوله: «قل هو اللّه احد» إلّا بتفسير من اصحاب

---

(١) انظر الدرر النجفية: ٨٧، طبعة ايران، ١٣١٤ هـ الهامش رقم ٩، للسيد محمد صادق بحر العلوم.

(٢) انظر، الفضلي ـ عبد الهادي، تاريخ التشريع الاسلامي: ٤٤٥ ـ ٤٤٩، حيث استفدنا منه في بيان الخطوط العامة لهذا المنهج، بتلخيص وتصرف في بعض العبارات.

(٣) انظر الحدائق: ١ / ٢٦ المقدمة الثالثة في مدارك الأحكام الشرعية، و الدرر النجفية: ١٧١.

العصمةعليهم السلام. ومنهم من جوز ذلك حتى كاد يدعي المشاركة لاهل العصمةعليهم السلام في تأويل مشكلاته وحل مبهماته.

والتحقيق في المقام أن يقال: إن الاخبار متعارضة من الجانبين، ومتصادمة من الطرفين، إلّا أن أخبار المنع أكثر عددا، واصرح دلالة»[1].

ثم يذكر جملة من الروايات المتعارضة بنظره فيالمقام وبعد أن يطبق عليها قواعد التعارض ينتهي إلى ترجيح روايات المنع، ورد ما يعارضها.

وهذا يسلمنا في النتيجة إلى انهرحمه الله يوحّد مصدري الكتاب والسنة بسنة أهل البيتعليهم السلام[2].

وهي نفس النتيجة التي انتهى إليها الحر العامليرحمه الله حيث عقد لهذه المسألة بابا وعنوانه (عدم جواز استنباط الأحكام النظرية من ظواهر القرآن، إلّا بعد معرفة تفسيرها من الأئمةعليهم السلام)[3]. وروى تحت هذا العنوان (٨٢) حديثا.

ثانيا: في تنويع الاخبار إلى انواعه الأربعة المعروفة:

فقد ذهب إلى بطلان التنويع، وعقد المقدمة الثانية من كتاب (الحدائق) لذلك وحاول ـ جاهدا ـ ان يثبت صحة جميع الاخبار وابطال هذا الاصطلاح في تنويع الحديث إلى الانواع الاربعة وخَلُص إلى «ثبوت صحة تلك الاخبار عندنا والوثوق بورودها عن أصحاب العصمةعليهم السلام»[4].

---

(١) الحدائق: ١ / ٢٧، وانظر: ٣٠ وما بعدها.

(٢) الفضلي ـ تاريخ التشريع: ٤٤٦.

(٣) انظر الوسائل: ٢٧ / ١٧٦ ـ ٢٠٦، كتاب القضاء، الباب الثالث عشر من ابواب صفات القاضي وما يقضي به، طبعة مؤسسة آل البيت ـ قم، الطبعة الأُولى، ١٤١٢ هـ.

(٤) انظر الحدائق: ١ / ١٤ ـ ٢٥، وكذلك الدرر النجفية: ١٦٧، طبعة حجرية.

ثالثا: في اعتبار مرويات الكتب المعتبرة، وعدم اختصاص الصحة باخبار الكتب الأربعة.

ففي (تتمة) للمقدمة الثانية من مقدمات (الحدائق) ذهب إلى عدم انحصار الصحة في الكتب الأربعة المشهورة.

ثم ينقل كلام المحدث الجزائري في شرحه على التهذيب الذي يقول فيه: «والحق ان هذه الاصول الاربعة لم تستوف الاحكام كلها، بل قد وجدنا كثيرا من الاحكام في غيرها، مثل عيون أخبار الرضا، والامالي، وكتاب الاحتجاج، ونحوها، فينبغي مراجعة هذه الكتب واخذ الأحكام منها، ولا يقلد العلماء في فتاويهم؛ فإنَّ أخذَ الفتوى من دليلها هو الاجتهاد الحقيقي....

ثم يضيف إلى تلك الكتب كتاب الفقه الرضوي فيقول: «وخصوصا كتاب الفقه الرضوي... فانه اشتمل على مدارك كثيرة للاحكام وقد خلت عنها هذه الاصول الاربعة وغيرها».

ثم يعقب على كلامه بقوله: «وقد اجاد فيها، وحرر، وفصل، وأشاد وطبق المفصل، وعليه المعتمد والمعول»[1].

رابعا: في الاجماع:

يذهب في مسألة الاجماع مذهب الاصولية، وتبنى قول المحقق الحلي في «المعتبر» الذي مفاده: «وأما الإجماع فهو عندنا حجة بانضمام المعصوم...» إلّا إنه يشكك في حصول هكذا اجماع بقوله «على أنَّ تحقق هذا الاجماع في زمن الغيبة متعذر، لتعذر ظهوره عليه السلام وعسر ضبط العلماء على وجه يتحقق دخول قوله في جملة

---

(١) انظر الحدائق: ١ / ٢٥، كذلك الدرر النجفية: ١٧٠، طبعة حجرية.

اقوالهم» ثم يقول: «... وعلى هذا فليس في عد الاجماع في الادلة إلّا مجرد تكثير العدد واطالة الطريق...»[1].

خامسا: في دليل العقل والاصول المستفادة منه:

فانه يذهب إلى نفي اعتبار العقل مصدرا من مصادر الفقه.

كما انه يذهب إلى أن الأصول الفقهية المستفادة من دليل العقل ـ هي الأُخرى ـ غير معتبرة، والمعتبر عنده هو الاصول المستفادة من أحاديث اهل البيتعليهم السلام.

قال في المقدمة الثالثة من (الحدائق): «وأما الثالث ـ من معاني الاصل وهو القاعدة ـ فان كانت تلك القاعدة مستفادة من الكتاب والسنة فلا اشكال في صحة البناء عليها، ومنها قولهم: الاصل في الاشياء الطهارة ـ أي القاعدة المستفادة من النصوص وهي قولهمعليهم السلام: «كل شيء طاهر حتى تعلم انه قذر» ـ تقتضي طهارة كل شيء»[2].

ولازم كلامهقدس سره عدم صحة البناء على القاعدة المستفادة من غير الكتاب والسنة وهي المستفادة من دليل العقل[3].

سادسا: في الاجتهاد والتقليد:

لم يتعرض الفقيه البحرانيقدس سره إلى ذكر الاجتهاد والتقليد، وما يتبناه فيهما من رأي في مقدمات (الحدائق) ولا في (الدرر).

إلّا ان المتأمل في منهجه الاستدلالي يجزم بانه يقول بهما، شريطة ان يكون

---

(١) انظر الحدائق: ١ / ٣٥ ـ ٣٦ و ١٦٨ وانظر الدرر النجفية: ١٧٩.

(٢) انظر الحدائق: ١ / ٢٤ كذلك ١ / ١٢٩ ـ ١٣٣، م ـ ن.

(٣) الفضلي ـ عبد الهادي، تاريخ التشريع الاسلامي: ٤٤٨.

المجتهد اخباريا في منهج استدلاله وطريقة فتواه[1].

وقد صرحﷺ بهذا المعنى في كتابه المعروف بـ (الكشكول) في مسألة القضاء لغير المجتهد عند فقد المجتهد، حيث قال: «بل الذي تضمنته تلك الاخبار هو الرجوع إلى من تمسك بذيل الكتاب والسنة وأمن العثار، ومدار احكامه انما هو عليهما في الايراد والاصدار، فالعمل بحكمه عمل بحكمهمعليهم السلام والراد عليه راد عليهم في حلال او حرام».

وقال في المصدر نفسه: «إذا عرفت ذلك، فاعلم أن المأمور بتقليده في أحكامهم، والقبول عنه لما ينقل عنهم، هو الذي أشار إليهعليه السلام في مقبولة عمر بن حنظلة بقوله: (ينظر إلى من كان منكم قد روى حديثنا، ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا، فارضوا به حكما، فإني قد جعلته عليكم حاكما...) ثم استشهد بروايات أُخرى، منها التوقيع الوارد عن الامام الحجة (عج): «واما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فانهم حجتي عليكم وانا حجة اللّه»[2].

إلى هنا تنتهي هذه الجولة المختصرة في منهج المحدث والفقيه الشيخ يوسف البحراني واختلاف منهجه عن العلماء الاخباريين الذين كانوا في المرحلة السابقة على مرحلته، ومرد ذلك الاختلاف إلى أمرين:

الأول: جعله الاجماع من مصادر الفقه، ولو نظريا.

ثانيا: قوله بالاجتهاد والتقليد، وتقيد ذلك بكون المجتهد اخباريا في منهج استدلاله[3].

---

(١) الفضلي ـ عبد الهادي، تاريخ التشريع الاسلامي: ٤٤٨.

(٢) البحراني (الشيخ يوسف)، الكشكول: ١ / ٩٤، ٩٦ ـ ٩٧، تحقيق: محمد حسين الأعظمي، طبعة النجف، (١٩٦١ م).

(٣) انظر: الفضلي ـ تاريخ التشريع الإسلامي: ٤٤٩.

الشيخ الوحيد البهبهاني ودوره في حوزة كربلاء:

ومن أهم فقهاء هذا الدور هو الشيخ الوحيد الهبهاني‏رحمه الله.

وهو: «محمد باقر بن محمد أكمل البهبهاني الحائري الملقب بالوحيد والمتوفى سنة (١٢٠٦ هـ / ١٩٧١ م) على أصح الاقوال»[١].

ترجمه الميرزا النوري في خاتمة المستدرك فوصفه بـ «الاستاذ الاكبر، مروج الدين في رأس المائة الثالثة عشرة» ثم قال: قال (معاصره) الشيخ عبد النبي القزويني في (تتميم أمل الآمل) بعد الترجمة له: «فقيه العصر، فريد الدهر، صاحب الفكر العميق، والذهن الدقيق، صرف عمره في اقتناء العلوم واكتساب المعارف الدقائق، وتكميل النفس بالعلم بالحقائق، فحباه اللّه باستعداده علوما لم يسبقه فيها احد من المتقدمين، ولا يلحقه احد من المتأخرين إلّا بالأخذ منه...»[٢].

وقد حصل هذا الفقيه على لقب (مجدد) الفقه الاثني عشري، لأن عصره اصبح فاصلاً لعصر جديد من عصور مدرسة الاجتهاد أُطلق عليه بـ «عصر الكمال العلمي»[٣].

وقد اصبحت مدينة (كربلاء) بفضل وجود هذا العَلَم وفي عصره عاصمة من العواصم العلمية التي ضاهت مراكز العلم الشيعية الأُخرى، وبقيت محافظة على مركزها العلمي قرابة قرن من الزمن، وذلك بعد وفاة محمد شريف المازندراني عام

---

(١) هنالك اقوال أُخرى في سنة وفاته، انظر المامقاني تنقيح المقال: ٢ / ٨٥، والقمّي، الفوائد الرضوية: ٤٠٥، والأمين، اعيان الشيعة: ٩ / ١٨٢، والزركلي، الأعلام: ٦ / ٤٩.

(٢) انظر الميرزا النوري ـ مستدرك الوسائل، الخاتمة: ٣ / ٣٨٤.

(٣) انظر الشهيد الصدر ـ المعالم الجديدة: ٨٨.

(١٢٤٥ هـ) الذي قيل ان حضّار درسه كانوا يقاربون الألف طالب[١].

يقول الشيخ الطهراني في ترجمة الوحيد في الكرام البررة:

«لما ورد المترجم كربلاء المشرفّة قام باعباء الخلافة، ونهض بتكاليف الزعامة والامامة، ونشر العلم بها، واشتهر تحقيقه وتدقيقه، وبانت للملأ مكانته السامية، وعلمه الكثير، فانتهت إليه زعامة الشيعة ورناسة المذهب الامامي في سائر الاقطار، وخضع له جميع علماء عصره، وشهدوا له بالتفوق والعظمة والجلالة، ولذا اعتبر مجدّدا للمذهب على رأس هذه المائة، وقد ثنيت له الوسادة زمنا، استطاع خلاله ان يعمل ويفيد، وقد كانت في أيامه للأخبارية صولة وكان لجهالهم جولة، وفلتات وجسارات وتظاهرات أُشير إلى بعضها في «منتهى المقال» وغيره، فوقف المترجم آنذاك موقفا جليلاً كسر به شوكتهم، فهو الوحيد من شيوخ الشيعة الأعاظم، الناهضين بنشر العلم والمعارف، وله في التاريخ صحيفة بيضاء يقف عليها المتتبع في غضون كتب السِير والمعاجم»[٢].

وعبر عنه تلميذه أبو علي الحائري بقوله:

«أُستاذنا العالم العلامة... مؤسّس ملة سيد البشر في رأس المائة الثانية عشر... كل من عاصره من المجتهدين فإنه أخذ من فوائده واستفاد من فرائده»[٣].

---

(١) انظر مقدمة محمد رضا المظفر على كتاب جواهر الكلام في شرح شرائع الاسلام: ١ / ٩، طبعة دار احياء التراث العربي ـ بيروت، ١٩٨١ م.

(٢) الطهراني، الكرام البررة: ١ / ١٧١.

(٣) الحائري ـ أبو علي المازندراني، منتهى المقال: ٦ / ١٧٧ ـ ١٧٨، طبعة آل البيت ـ قم.

رحلته العلمية وأساتذته:

ولد المحقق البهبهاني في سنة ثماني عشرة أو سبع عشرة[1] بعد المائة والألف في إصفهان، وقرأ المقدمات فيها، ثم انتقل إلى النجف وأكمل فيها دروسه عند العَلَمَين الجَلِيلَين: السيد محمد الطباطبائي البروجردي ـ جد السيد بحر العلوم ـ والسيد صدر الدين القمي الهمداني شارح كتاب «وافية الاصول»، ثم انتقل إلى «بهبهان» معقل الاخباريين في ذلك الزمان، فمكث هناك ما يربو على ثلاثين سنة، لعب فيها دورا هاما في التعليم والتربية والتأليف والتصنيف[2]، فتحولت المدرسة العلمية في عهده في هذه المدينة إلى الاتجاه الاصولي.

ثم ارتحل إلى النجف الاشرف ولم يلبث فيها إلّا قليلاً، ثم انتقل إلى كربلاء.

وكان نزول الوحيد البهبهاني بهذه المدينة إيذانا بمرحلة جديدة في الاتجاه الاصولي والاجتهاد ومواجهة المدرسة الاخبارية، ونجح الوحيد في رسالته العلمية وابرز الاتجاه الاصولي واستقطب خيرة تلامذة الشيخ يوسف البحراني وجمعهم حوله، وانحسرت الحركة الاخبارية وانزوت ولم تستعد نشاطها بعد ذلك التاريخ[3].

ولعل المدة الطويلة التي قضاها المحقق الوحيد في مدينة بهبهان ـ وهي يومئذ معقل علماء الاخبارية ـ قد مكنته من الاطلاع الكافي على مباني واشكالات التيار الاخباري، وحينما لمس عن قرب خطورة هذا التوجه، إستعد لمواجهته بكل ما يملك

---

(١) الحائري ـ أبو علي المازندراني، منتهى المقال: ٦ / ١٧٧ ـ ١٧٨.

(٢) انظر م ـ ن: ١ / ١٧٨، والشيخ السبحاني، تاريخ الفقه الاسلامي: ٤١٨، دار الاضواء. والشيخ الآصفي مقدمة الرياض: ١ / ٩٦. والطهراني، الكرام البررة: ١ / ١٧١ ـ ١٧٤.

(٣) الآصفي ـ مقدمة الرياض: ١ / ٩٦.

من امكانات على صعيد البحث النظري أو العملي.

«نقل السيّد مهدي القزويني ان البهبهاني في بادئ نشأته كان اخباريا نظرا لغلبة هذا التيار على البيئة الإيرانية، وكان أُستاذه صدر الدين الكاظمي (ت ١١٦٤ هـ) من العلماء الأُصوليين، وبعد مناقشات بينهما تحوّل التلميذ البهبهاني أُصوليا، والأُستاذ اخباريا»[1].

وقد انصبت جهود الوحيد البهبهاني في حوزة كربلاء على محورين:

الأول: تربية نخبة من الفقهاء الأُصوليين ليحافظوا على خط الزّعامة المرجعية من بعده.

الثاني: تصديه لشن حملة عنيفة على الاتجاه الاخباري، بنقده اللاذع لأهم شبهاتهم.

أما المحور الأول: فقد تحدثنا عنه ضمن حديثنا عن حوزة النجف الأشرف في دورها الثالث.

وأما المحور الثاني: فقد ظهر الشيخ الوحيد في عصر كانت الطريقة الأخبارية فيه سائدة على الساحة العلمية وكان الشيخ يوسف البحراني (ت ١١٨٦ هـ) زعيم هذا الاتجاه العلمي، فبدأ الوحيد يعمل ضدّ هذا الاتجاه واستطاع ان يحدّ من غلبتها على الرأي العام وان يسير بالفقه الشيعي خطوات واسعة.

والذي يظهر مما ذكره مؤرخو هذا الصراع الفكري، ان الوحيد البهبهاني أَلقى بكل ثقله في المعركة، وصمم بكل عزيمة واصرار على كسب الجولة من خلال الاساليب

---

(١) القزويني ـ جودت، المرجعية الدينية: ١٨٠ عن السيّد مهدي القزويني في كتابه الاستعداد لتحصيل ملكة الاجتهاد، الورقة (٥١) مخطوط.

العملية التالية:

١ ـ اسلوب المناظرة والمباحثة العلمية:

لقد اتصف الشيخ الوحيد باسلوب في الحوار والمباحثة والمناظرة العلمية قل مثيلها في علماء عصره، وكان محاورا قويا وقادرا على إدارة الحوار بصورة ممتازة وجيدة، وكان يستخدم الحوار في نقد المدرسة الاخبارية وتكريس الاتجاه الاصولي بشكل واسع[١].

ومما ينقل في هذا المجال ما حدثنا به الفقيه المامقاني في التنقيح: «ان الشيخ الوحيد عندما نزل كربلاء، حضر ابحاث الشيخ يوسف البحراني أياما، ثم وقف يوما في الصحن الشريف ونادى بأعلى صوته: أنا حجة اللّهعليكم! فاجتمعوا عليه، وقالوا ما تريد: فقال: أريد من الشيخ يوسف يمكّنني من منبره ويأمر تلامذته ان يحضروا تحت منبري، فأخبروا الشيخ يوسف بذلك، وحيث إنّه كان يومئذ عادلاً عن مذهب الاخبارية، خائفا من إظهار ذلك من جهّالهم، طابت نفسه بالاجابة...

فارتقى منبر درس الشيخ يوسف البحراني وباحث تلامذته مدة ثلاثة أيام، فعدل ثلثا التلاميذ إلى مذهب الاصولية»[٢].

ولم تنتهِ حدود الحوار والمباحثة عند تلامذة الشيخ يوسف البحراني بل امتدت إلى المناظرة مع استاذهم الشيخ يوسف صاحب الحدائق بنفسه.

فقد كانت المناظرة بينهما على قدم وساق وحامية الوطيس، حتى أنَّ الشيخ عباس القمي يحدثنا في«الفوائد الرضوية» عن صاحب التكملة، عن الحاج «كريم» أحد

---

(١) الآصفي ـ مقدمة الرياض: ١ / ٩٩ ـ ١٠٠.

(٢) المامقاني ـ تنقيح المقال: ٢ / ٨٥، ترجمة البهبهاني.

سَدَنَة الروضة الحسينية المقدسة، انه كان يقوم بخدمة الحرم في شبابه، وذات ليلة التقى بالشيخ يوسف البحراني والوحيد البهبهاني داخل الحرم وهما واقفان يتحاوران وطال حوارهما حتى حان وقت إغلاق ابواب الحرم، فانتقلا إلى الرواق المحيط بالحرم واستمرّا في حوارهما وهما واقفان، فلما اراد السَدَنَة اغلاق ابواب الرواق انتقلا إلى الصحن وهما يتحاوران، فلما حان وقت اغلاق ابواب الصحن انتقلا إلى خارج الصحن من الباب الذي ينفتح على القبلة، واستمرا في حوارهما وهما واقفان، فتركهما وذهب إلى بيته ونام.

فلمّا حلّ الفجر ورجع إلى الحرم صباح اليوم الثاني، سمع صوت حوار الشيخين من بعيد، فلمّا اقترب منهما وجدهما على نفس الهيئة التي تركهما عليه في الليلة الماضية، مستمران في الحوار والنقاش، فلمّا أذن المؤذّن لصلاة الصبح رجع الشيخ يوسف إلى الحرم يقيم الصلاة جماعة، ورجع الوحيد البهبهاني إلى الصحن وافترش عباءته على طرف مدخل باب القبلة، وأذّن وأقام وصلّى صلاة الصبح[1].

وفي امثال هذه المحاورات كان الوحيد يتمكن من خصومه ويدحض شبهاتهم ويكرّس الاتجاه الاصولي ويعمّقه.

٢ ـ اسلوب التصنيف والتأليف العلمي:

خلف الشيخ الوحيد البهبهاني من بعده تراثا علميا تمثلت في كتب وابحاث ورسائل وحواشي بلغت ما يقرب من ستين كتابا[2] كرّس البعض منها في ردّ الشبهات

---

(١) انظر الآصفي ـ مقدمة الرياض: ١ / ١٠٠ والشيخ السبحاني ـ تاريخ الفقه: ٤٢٨ ـ ٤٢٩ نقلاً عن الفوائد الرضوية.

(٢) الحائري ـ أبو علي، منتهى المقال: ٧ / ١٨٠، وانظر مقدمة المحقق السيد محمد اليثربي على كتاب العلامة الوحيد ـ الرسائل الفقهية، ط. قم، حيث قال: تضاهي مؤلفاته ـ طاب ثراه ـ المائة والثلاثة، ما بين رسالة مختصرة وكتب مفصلة: ٣١.

المثارة ضد المدرسة الاصولية، ودحض شبهات الاخباريين ونظرياتهم.

ومن هذه المؤلفات يمكن الاشارة إلى:

١ ـ الاجتهاد والاخبار في الرد على الاخبارية وذكر كيفية الاجتهاد ومقدماته وأقسامه من المطلق والمتجزيء وغير ذلك[١].

٢ ـ الفوائد الحائرية الأُصول القديمة. (العتيقة) ذكر فيها ما لابد للفقيه من معرفته.

٣ ـ الفوائد الحائرية الأُصول الجديدة، ويقال لها الملحقات.

٤ ـ الرد على شبهات الاخباريين على الاصول المتمسك بها عند الاصوليين والجواب عن كلام صاحب المفاتيح الفيض الكاشاني[٢].

٥ ـ شرح مفاتيح الشرائع (للفيض الكاشاني).

قال الشيخ الطهراني في الذريعة: وهو غير حاشيته على المفاتيح... بل الشرح هذا كبير، ينقل عنه جميع تلاميذه، ومن تأخر عنه، وكلما يطلق في كتبهم شرح المفاتيح فهو هذا الشرح، وهو في ثمان مجلدات[٣].

٦ ـ التعليقة على الرجال الكبير (وهو منهج المقال للاسترآبادي).

وهي «شرح لطيف مفيد نافع، مبدوء بفوائد خمس رجالية، وإليه يرجع العلماء حتى اليوم»[٤].

وله ﷺ جملة من الحواشي العلمية على العديد من مهمات كتب الفقه والحديث منها:

---

(١) انظر الذريعة: ١ / ٢٦٩ ومنتهى المقال: ٦ / ١٨٠.

(٢) انظر الذريعة: ٦ / ٢١٢ و ١٤ / ٧٥.

(٣) الذريعة: ١٤ / ٧٥.

(٤) المصدر نفسه: ٤ / ٢٢٣.

١ ـ حاشية على مجمع الفائدة والبرهان (للاردبيلي) من أول كتاب المتاجر إلى آخر الكتاب.

٢ ـ حاشية على معالم الدين وملاذ المجتهيدن (للشيخ حسن).

٣ ـ حاشية على مسالك الافهام (للشهيد الثاني).

٤ ـ حاشية على المختصر النافع (للمحقق الحلّي).

٥ ـ حاشية على ذكرى الشيعة (للشهيد الأول)[١].

وله رسائل علمية في موضوعات شتى.

وكتب الشيخ الوحيد متينة ومشحونة بالافكار الفقهية والأُصولية، وتعتبر جملة من افكاره التي دونها والتي درّسها لتلاميذه أسسا لعلم الاصول الحديث[٢].

٣ ـ التضييق على اقطاب الحركة الاخبارية:

اتخذ الشيخ الوحيد البهبهاني في مواجهته للحركة الاخبارية موقفا حاسما وصلبا، انطلاقا من تشخيصه لخطورة الموقف فيما إذا استمرت هذه الحركة في امتدادها، واستقطابها للوسط العلمي.

وفي نفس الوقت انطلق اقطاب الحركة الاخبارية في مواجهتهم لحركة الاجتهاد من خلال اسلوب التكفير، والخروج من الدين، وخاصة من قبل مؤسسها «الامين الاسترآبادي» الذي هو اوّل من فتح باب الطعن على المجتهدين، وتقسيم الفرقة الناجية إلى اخباري ومجتهد، وأكثر في كتابه «الفوائد المدنية» من التشنيع على المجتهدين بل ربما نسبهم إلى تخريب الدين[٣]!!

---

(١) منتهى المقال: ٦ / ١٨٢.

(٢) الآصفي ـ مقدمة الرياض: ١ / ١٠٢.

(٣) البحراني ـ لؤلؤة البحرين: ١١٨.

ولو استثنينا الشيخ يوسف البحراني‏ من هؤلاء ـ حيث اتصف بالاعتدال والعقلانية والذي يرد على الامين الاسترآبادي بانه «ما أحسن وما أجاد ولا وافق الصواب والسداد بما قد ترتب على ذلك منه عظيم العناد...»[1] ـ لوجدنا جل اقطاب الحركة الاخبارية يسلكون هذا المسلك، ويسيرون على نفس الطريقة في مواجهتهم للحركة الاصولية الاجتهادية، من الامين الاسترآبادي إلى الفيض الكاشاني، إلى الميرزا محمد الاخباري.

وقد وصل الأمر إلى درجة: «ان الرجل منهم ـ من الاخبارية ـ إذا اراد حمل كتاب من كتب فقهائنا رضي اللّه عنهم حمله مع منديل»[2].

فوقف الشيخ الوحيد موقفا جليلاً صلبا سديدا في ذات اللّه كسر به شوكتهم، وحدد نشاطهم.

ومن جملة ما اتخذه الشيخ الوحيد‏ في هذا المجال انه كان يمنع تلاميذه من حضور دروس الشيخ يوسف البحراني‏.

يقول صاحب الروضات في ترجمة صاحب الرياض (الطباطبائي) ابن اخت العلامة الوحيد وصهره على ابنته: «انه كان يحضر درس صاحب «الحدائق» ليلاً، لغاية اعتماده على فضله ومنزلته، وحذرا من اطلاع خاله العلّامة عليه، وانه كتب جميع مجلدات «الحدائق» بخطه الشريف»[3].

هذا الموقف الشديد من قبل الشيخ الوحيد، له مبرراته العقلية والشرعية والتي شخصها العلامة الوحيد، وهو استاذ الكل، ولم تكن هنالك نزعة ذاتية او مصالح

(١) البحراني ـ لؤلؤة البحرين: ٨ / ١.

(٢) منتهى المقال: ٦ / ١٧٨.

(٣) الخوانساري ـ روضات الجنات: ٤ / ٤٠٣ و ٨ / ٢٠٣.

شخصية تدعو الشيخ لاتخاذ مثل هكذا موقف، ولهذا نجد الشيخ يوسف البحراني‌رحمه الله يلتمس العذر للشيخ الوحيد، وكان يسمح لتلاميذه بحضور دروس الشيخ الوحيد، وكان يقول كل يعمل بموجب تكليفه، ويعذر الوحيد في ذلك[1].

وفي خطوة أُخرى نجد الشيخ الوحيد يستخدم اسلوب الفتوى في مواجهة هذه الحركة واقطابها، فيفتي بحرمة الاقتداء بهم في ممارسة الشعائر الدينية العبادية[2].

وفي المقابل نجد الشيخ يوسف قد اوصى ان يصلي عليه بعد وفاته الشيخ الوحيد البهبهاني دون غيره من معاصريه.

انتصار علم الاصول وانحسار الاتجاه الاخباري:

لقد انطلقت الحركة الاخبارية في منهجها الفكري، وشكلت تيارا عاصفا، وتمكّنت من شق المدرسة الفقهية عند الشيعة الامامية إلى شطرين متصارعين، في فترة زمنية امتدت إلى قرابة القرنين من الزمن.

والمنهج الفكري للحركة الاخبارية، ومنهجها في الاستنباط والاستدلال الفقهي، يخالف منهج المذهب الامامي الاثني عشري، ومدرسته في الاجتهاد التي اسسها فقهاء هذا المذهب بتوجيه ورعاية اهل البيت‌عليهم السلام.

ولهذا تصدى المجتهدون الشيعة لهذه المدرسة، الاخبارية لما تشكله من خطر جسيم على حركة الاجتهاد، وعلى الفهم السليم لدين اللّه وشريعته.

وشهدت ساحة الصراع بين المدرستين مواجهات عنيفة، وصلت إلى درجة التكفير والتبديع من جهة، وبين ممارسة الفتيا ضد الطرف الآخر بحرمة الاقتداء بهم في

---

(١) الآصفي ـ مقدمة الرياض: ١ / ١٠١.

(٢) الخوانساري ـ روضات الجنات: ٤ / ٤٠٢.

ممارسات الشعائر الدينية العبادية[1]، او حرمة الحضور في دروسهم وابحاثهم من جهة أُخرى، مما ادى ببعض التلامذة إلى الحضور سرّا[2] في درس الشيخ البحراني. ويحدثنا تاريخ الصراع بين المدرستين بان اعنف المواجهات الفكرية هي تلك التي حصلت في كربلاء بين الشيخ يوسف البحراني ممثل الاتجاه الاخباري من جهة، وبين الوحيد البهبهاني ممثل الاتجاه الاصولي من جهة ثانية.

وقد تمكن الوحيد البهبهاني من ربح المعركة الفكرية لمصلحة مدرسة الاجتهاد والاصول، وبدأت المدرسة الاخبارية بالانحسار والانزواء، ولم تستعد نشاطها بعد ذلك، إلّا في فترة ظهور الميرزا محمد الاخباري، حيث تصدى له تلامذة الوحيد من امثال الشيخ جعفر كاشف الغطاء، والشيخ حسن صاحب الجواهر.

ويعود سبب انحسار المدرسة الاخبارية إلى جملة عوامل ذكر بعضها السيد الشهيد الصدر في دراسته القيمة لهذه الظاهرة[3].

يقول السيد الشهيد﵀:

«وقد قُدِّرَ للاتجاه الاخباري في القرن الثاني عشر ان يتخذ من كربلاء نقطة ارتكاز له، وبهذا عاصر ولادة مدرسة جديدة في الفقه والاصول نشأت في كربلاء ايضا على يد رائدها المجدد الكبير «محمد باقر البهبهاني» المتوفى سنة (١٢٠٦ هـ) وقد نصبت هذه المدرسة الجديدة نفسها لمقاومة الحركة الاخبارية والانتصار لعلم الاصول، حتى تضاءل الاتجاه الاخباري ومني بالهزيمة، وقد قامت هذه المدرسة إلى جانب ذلك بتنمية الفكر العلمي، والارتفاع بعلم الاصول إلى مستوى اعلى، حتى ان بالامكان

(١) انظر الخوانساري ـ روضات الجنات: ٤ / ٤٠٢.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) ذكرنا سابقا بعض هذه العوامل.

القول بان ظهور هذه المدرسة وجهودها المتضافرة التي بذلها البهبهاني وتلامذة مدرسته المحققون الكبار قد كان حدا فاصلاً بين عصرين من تاريخ الفكر العلمي في الفقه والاصول.

وقد يكون هذا الدور الايجابي الذي قامت به هذه المدرسة، ففتحت بذلك عصرا جديدا في تاريخ العلم متأثرا بعدة عوامل:

منها: عامل ردّ الفعل الذي اوجدته الحركة الاخبارية، وخاصة حين جمعهما بالحوزة العلمية الأصولية مكان واحد هو كربلاء، الامر الذي يؤدي بطبيعته إلى شدة الاحتكاك وتضاعف ردّ الفعل.

ومنها: ان الحاجة إلى وضع موسوعات جديدة في الحديث كانت قد اشبعت، ولم يبق بعد وضع الوسائل والوافي والبحار، إلّا أن يواصل العلم نشاطه الفكري مستفيدا من تلك الموسوعات في عملية الاستنباط.

ومنها: عامل المكان، فان مدرسة الوحيد نشأت على مقربة من المركز الرئيسي للحوزة ـ وهو النجف ـ فكان قربها المكاني هذا سببا لاستمرارها ومواصلة جهودها عبر طبقات متعاقبة من الاساتذة والتلاميذ.. وبهذا كانت مدرسة البهبهاني تمتاز عن المدارس العديدة التي كانت تقوم هنا وهناك بعيدا عن المركز وتتلاشى بموت رائدها[1].

ويمكن أن نضيف إلى ما ذكره السيد الشهيدﷺ عوامل أُخرى مكنت الشيخ الوحيد البهبهاني في حركته الاصلاحية العملية.

ومن هذه العوامل:

---

(١) الصدر ـ السيد محمد باقر، المعالم الجديدة: ٨٥ ـ ٨٦.

١ ـ الموقف المعتدل للشيخ يوسف البحراني﵀ اتجاه الصراع بين المدرستين:

حيث اتصفت شخصية الشيخ المحدث البحراني﵀ بخصائص أخلاقية وايمانية عالية[1]، كان لها، الدور الكبير في نجاح الوحيد البهبهاني في حركته الاصلاحية العلمية، وفي مواجهته للحركة الاخبارية والانتصار عليها.

ومن أهم هذه الخصائص:

أولاً ـ الاحساس بالمسؤولية:

لقد انطلق المحدث البحراني﵀ في تعامله مع مفردات الصراع الاخباري الاصولي من منطلق المسؤولية الشرعية، وبدأ يعمل بموجب هذا الوعي، وهذه المسؤولية على تضييق رقعة الخلاف، وإزالة الحواجز التي اقيمت داخل هذه المدرسة بين هاتين الفئتين، بدلاً من التصعيد لمفردات الصراع أو تجريد لسان التشنيع أو التكفير للطرف الآخر[2].

«والحقيقة ان هذا الموقف الذي وقفه الشيخ يوسف من هذا الصراع كان له تأثير بالغ الأهمية في إعادة الانسجام إلى مدرسة أهل البيت، وإزالة التطرف الذي أصاب هذه المدرسة في فترة الصراع، وعودة الاعتدال والعقلانية إلى هذه المدرسة»[3].

ثانيا ـ الورع والتقوى والتجرد عن الأَنا:

تدلُّ مواقف الشيخ البحراني﵀ من خلال مواجهته للصراع الدائر بين المدرستين، أن هذا الفقيه الجليل كان في غاية من الورع والتقوى والتجرّد عن الأنا، لا ينالها إلّا ذو حظ عظيم من الاخلاص للّه تعالى.

---

(١) قد اشرنا سابقا إلى بعض هذه الخصائص في شخصية الفقيه والمحدث البحراني﵀.

(٢) انظر الحدائق الناضرة: ١ / ١٦٧، المقدمة الثانية عشر.

(٣) الآصفي، رياض المسائل: ١ / ٩٨ المقدمة.

فمما يُروى من سيرة هذا الفقيه الجليل انه رغم الصراع الطويل الذي خاضه مع الوحيد البهبهاني في أمر الأصول والاجتهاد، أوصى أن يصلي عليه بعد وفاته الوحيد البهبهاني دون غيره من معاصريه، رغم أن الوحيد قد أفتى بحرمة الاقتداء بالشيخ البحراني في الصلاة[1].

ورغم ان الوحيد قد افتى بحرمة حضور درس الشيخ البحراني، وشدد الملامة على كل من حضر في مجلس افادته، بحيث نُقِل «أنَّ ابن اخته صاحب «رياض المسائل»، كان من خوفه يدخل على ذلك الجناب ـ أي الشيخ يوسف ـ ويقرأ عليه ما كان يقرأ عليه ليلاً ومتخفيا لا جهرا»[2].

إلّا ان الشيخ يوسف‌ﷺ لم يتخذ نفس الموقف اتجاه درس الشيخ الوحيد، بل سمح لطلابه ومريديه بحضور درس الوحيد «فلم يمض مدّة حتى استقطب فضلاء طلاب الشيخ يوسف البحراني كالسيد مهدي بحر العلوم، والسيد مهدي الشهرستاني، وتحوّل جمع من تلامذة الشيخ يوسف من درسه إلى درس الوحيد البهبهاني»[3].

بل وصلت حالة التجرد عن الانا عند الشيخ يوسف البحراني إلى درجة عالية جدا حتى يقال: إنه ـ أي الوحيد ـ ارتقى منبر درس الشيخ يوسف البحراني وباحث تلامذته مدة ثلاثة أيام، فعدل ثلثا التلاميذ إلى مذهب الاصولية[4].

ثالثا ـ ابتغاء الحق ونبذ التطرف:

---

(١) انظر الخوانساري ـ روضات الجنات: ٤ / ٤٠٢.

(٢) الخوانساري ـ روضات الجنات: ٨ / ٢٠٣.

(٣) الآصفي ـ مصدر سابق: ١ / ٩٩.

(٤) تنقيح المقال: ٢، ترجمة البهبهاني.

وهذه سمة أُخرى تحلى بها هذا الفقيه الجليل حيث انه﷫ كان رائده الحق، وسلوكه الاعتدال، وهذا ما نلاحظه من خلال شجبه للتطرف الذي كان من المحدث الاسترآبادي والفيض الكاشاني وامثالهما[1].

ولابدّ ان نقول مرة أُخرى اعترافا بالفضل للشيخ يوسف مؤلف «الحدائق»:

ان تقوى الشيخ وخلوصه وصدقه وابتغاءه للحق كان من أهمّ عوامل هذا الانقلاب الفكري الذي جرى على يد الوحيد في كربلاء.

ولو كان الشيخ يوسف من موقعه العلمي والاجتماعي يريد أن يجادل الوحيد، ويظهر عليه، لطالت محنة هذه المدرسة الفقهية، واتسعت مساحة الخلاف فيها، وتعمق فيها الخلاف، ولكن الشيخ يوسف كان يؤثر رضا الله والحق على أي شيء آخر[2].

٢ ـ تلاشي شبهات الاخباريين:

ان الشبهات التي إنطلق منها الاخباريون في حملتهم ضد المدرسة الاصولية واقطابها اخذت تتلاشى بمرور الزمن، فلم يعد إلغاء وظيفة المجتهد، أو النظر إلى الاجتهاد على انّه بدعة تسربت إلى المذهب الاثني عشري، قضية تستوجب النقض بعد ما ثبت استمرار خط الاجتهاد عمليا.

كما أنّ (المجتهد) برهن على أنّه ليس وعاء ناقلاً للأحاديث فحسب، وإنما هو مستفيد منها في عملية استنباط الأحكام الشرعيّة من أدلتها التفصيلية وإعمال الملكة.

---

(١) انظر لؤلؤة البحرين ـ للمصنف: ١١٧ ـ ١١٨، ١٢١ والدرر النجفية للمصنف: ٨٧، طبعة إيران.

(٢) الآصفي ـ مصدر سابق: ١ / ١٠٠.

حوزة كربلاء في دورها الثالث

توفي الشيخ يوسف البحراني في كربلاء عام (١١٨٦ هـ)، ومن بعده ـ بعقدين من الزمن ـ توفي الشيخ محمد باقر الوحيد البهبهاني (ت ١٢٠٦ هـ)، ودفنا متجاورين في الرواق الشرقي من الحضرة الحسينية الشريفة.

وبوفاتهما فقدت حوزة كربلاء هذين العلمين الفذين، وترك فقدهما فراغا علميا كبيرا في دنيا الاجتهاد والفقاهة عامة وفي الحوزة العلمية في كربلاء خاصة.

إلّا أنّ جذوة العلم وحركته لم تنطفئ بوفاة هذين العلمين، إذ أثمرت جهودهما العلمية في تربية العلماء والفقهاء عن بروز نخبة من أساطين الفقه والأُصول ممن واصلوا جهود أُستاذهم الوحيد، فواصلت المسيرة الفقهية في مدرسة أهل البيت عليهم السلام من خلال جهودهم، وجهود تلامذتهم، وتلامذة تلامذتهم حركتها العلمية، ومسيرتها الفقهية والأُصولية.

وقد شهدت حوزة كربلاء هجرة الكثير من تلامذة الشيخ الوحيد إلى النجف الأشرف، بعضهم هاجر منها في أواخر حياة أُستاذه الوحيد وبايعاز منه، والبعض الآخر هاجر منها بعد وفاته.

وبهؤلاء المهاجرين بدأت حوزة النجف الأشرف دورتها الثالثة ـ والتي تحدثنا عنها سابقا ـ وأصبحت الحوزة الرئيسية للشيعة؛ بعد أن فقدت حوزة كربلاء مركزيتها بوفاة زعيمها الشيخ الوحيد.

إلّا أنّ بعض تلامذة الوحيد آثروا البقاء في حوزة كربلاء، واستمرت بهم وبتلامذتهم الحركة العلمية في حوزة كربلاء.

يقول العلّامة المامقاني في ترجمة الشيخ الوحيد البهبهاني: «وقد عمّر وجاوز

التسعين، واستولى عليه الضعف أخيرا، وترك البحث، وأمر بحر العلوم بالانتقال إلى النجف الأشرف والاشتغال بالتدريس فيها، وأمر صهره ـ صاحب «الرياض» ـ بالتدريس في كربلاء المشرّفة..»[1].

وقد تحدثنا سابقا عن بعض تلامذة الشيخ الوحيد ممن انتقلوا إلى النجف الأشرف من أمثال السيّد مهدي بحر العلوم (ت ١٢١٢ هـ) والشيخ جعفر كاشف الغطاء (ت ١٢٢٧ هـ) والسيّد جواد العاملي (ت ١٢٢٦ هـ).. وغيرهم من أعلام النجف الأشرف وحوزتها العلمية في دورها الثالث.

وهنا نواصل حديثنا عن حوزة كربلاء في دورها الثالث من خلال أعلام فقهائها من تلامذة العَلمين البحراني والوحيد، وتلامذة تلامذتهما، وابراز جهودهم العلمية، وآثارهم الفقهية والأُصولية.

ومن أبرز العلماء الذين كان لهم حضورهم الفاعل في حوزة كربلاء هم:

١ ـ السيّد مير علي الكبير بن منصور بن أبي المعالي (ت ١٠٢٧ هـ):

يتصل نسبه الشريف بالإمام زيد الشهيد، وهو من مشاهير علماء عصره.. وقد تتلمذ على الشيخ آغا باقر البهبهاني، والشيخ يوسف البحراني والسيّد نصر اللّه الفائزي الحائري، غير أنه اختص بالأول ـ البهبهاني ـ لمصاهرته به حيث تزوّج ببنت خالة الشيخ المذكور، وقام بأعمال مهمة تدر فوائد جسام، وخلف صدقات جارية النفع والثمر في كربلاء وانتشر عقبه في بلاد العجم»[2].

قال السيّد الأمين: السيّد مير علي: «حائري المولد والمسكن والمدفن؛ فقد توفي

---

(١) المامقاني، تنقيح المقال: ٢ / ٨٥.

(٢) آل طعمة ـ سلمان، تراث كربلاء: ٢٦١ ـ ٢٦٢.

في كربلاء سنة (١٢٠٧ هـ).. وهو غير السيّد مير علي الصغير صاحب الرياض، وإن كان كل منهما ابن أُخت الآغا البهبهاني، لكن الثاني حسني طباطبائي، والأول حسيني؛ ذكره الآغا أحمد سبط الآغا البهبهاني في رسالته (جهان نما) وأثنى عليه ووصفه بغاية التقديس والصلاح. رني له عدّة تصانيف لم تخرج إلى المبيضة؛ لم يمكث بعد خاله الآغا البهبهاني إلّا قليلاً فلذا لم يشتهر اسمه، واشتهر اسم صاحب الرياض لمكثه كثيرا بعد خاله، هكذا يقال واللّه أعلم بحقيقة الحال» وهنالك حكاية ينقلها السيّد الأمين تتعلق بالسيدين العليين الصغير والكبير ووضعهما المالي[1].

٢ ـ السيّد محمد مهدي الشهرستاني الموسوي (ت ١٢١٦ هـ):

وقد عرف نفسه في آخر اجازته لتلميذه السمناني فقال: «محمد مهدي بن أبي القاسم الموسوي الشهرستاني أصلاً والإصفهاني مولدا والكربلائي مسكنا بل مدفنا»[2].

ترجم له سيّد الأعيان ترجمة مطولة جاء فيها: «ولد المترجم له في إصفهان وتوفي في كربلاء.. وهو من سلالة علوية عريقة.. انتقل في عنفوان شبابه إلى مدينة كربلاء لتلقي العلم فيها.. وأخذ يتلقى العلم لدى فحول علماء ذلك العصر وعلى رأسهم المولى آقا محمد باقر.. المعروف بالوحيد البهبهاني، والمترجم أحد المهادي الأربعة الذين كانوا الأوائل في تلامذة الوحيد البهبهاني، وهم: ١ ـ السيّد محمد مهدي الشهرستاني. ٢ ـ والسيّد محمد مهدي بحر العلوم الطباطبائي. ٣ ـ والميرزا المولى محمد مهدي النراقي. ٤ ـ والميرزا محمد مهدي الطوسي الخراساني المعروف

---

(١) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ٨ / ٣٤٩.

(٢) المرجع نفسه: ١٠ / ١٦٥.

بالشهيد الثالث.

وقد استوطن الأول مدينة كربلاء، وانتقل الثاني إلى مدينة النجف وأقام بها، ورجع الثالث إلى تبريز، وعاد الرابع إلى مشهد الرضا عليه السلام».

ثمّ ينقل السيّد الأمين عن أحد تلامذة الشهرستاني ضمن كتاب مخطوط له قوله: «السيّد الجليل والأُستاذ النبيل محمد مهدي بن أبي قاسم الموسوي الشهرستاني.. شيخنا الأمجد عالم، فاضل، كامل، باذل، محقق، مدقق، متبحر، جامع، ثقة، فقيه، وجيه، شريف الأخلاق.. وهو من أرشد تلامذة الشيخ يوسف البحراني، والمولى محمد باقر البهبهاني، إلّا أنّ له في الفقه ميلاً إلى طريقة الفاضل البحراني، قرأنا عليه شرح اللمعة، وقواعد العلّامة من البداية إلى النهاية، ومن الحديث وغيره...».

وذكر السيّد الأمين مؤلفاته وهي: «الفذالك في شرح المدارك» و (المصابيح في الفقه) وبعض الحواشي والرسائل...

وأما أساتذته: فقد تتلمذ على الوحيد والبحراني، بالاضافة إلى محمد مهدي الفتوني العاملي، وروى عنهم واستجازهم فأجازوه.

وأما تلامذته والمجازون منه؛ فيعدّ المترجم له من كبار شيوخ اجازة الحديث وكان مشتهرا في درس التفسير والحديث والفقه واللغة، وقد تخرّج عليه كثير من العلماء كالشيخ أحمد بن زين الدين الاحسائي، والسيّد عبد اللّه شبر، والسيّد صدر الدين العاملي والسيّد عبد المطلب بن أبي طالب، والسيّد دلدار النقوي والشيخ أسد اللّه الكاظمي، والسيّد محمد حسن الزنوزي التبريزي، والمولى أحمد ابن محمد مهدي النراقي.. وغيرهم.. وقد صدرت الاجازات منه لكثير من تلامذته...

توفي بكربلاء في ١٢ صفر سنة (١٢١٦ هـ) ودُفن بمقبرته التي كان قد أعدها لنفسه في حياته في الرواق الجنوبي الشرقي من الحضرة الحسينية بجوار قبور الشهداء والتي

أصبحت فيما بعد مقبرة الأُسرة الشهرستانية من أولاد المترجم وأحفاده[1].

يبقى أن نذكر ـ والفضل يذكر لأهله ـ أنّ الأُسرة الشهرستانية الكريمة من الأُسر الشهيرة في العراق وإيران، ونبغ منها خلال المائتي سنة الأخيرة رجال أفذاذ، انتقلت إلى كثير منهم الرئاسة الدينية والزعامة الدنيوية في العراق وإيران وخاصّة مدينة كربلاء.. وعرفت هذه الأُسرة بالكرم والجود والخدمات والاصلاحات الجليلة وتوارثوا ذلك كابر عن كابر، وخلف عن سلف، فالسيّد مهدي المترجم له كان: «باسط الجود والكرم لكل من قصد وأمّ» كما يقول تلميذه الزنوزي في رياض الجنة. وجدّهم الأعلى السيّد فضل اللّه الشهرستاني الوزير الأعظم للشاه طهماسب الأول الصفوي، واقف للأوقاف العظيمة من مدن إيران والتي خصص ريعها على مراقد الأئمة الأطهارعليهم السلام سواء في الحجاز أو في العراق أو في إيران، وذلك حسب وثيقة الوقفية التاريخية المؤرخة في ٧ رمضان سنة (٩٦٣ هـ)، والتي يبلغ طولها أكثر من عشرة امتار والموجودة لدى حفيد المترجم السيّد صالح الشهرستاني نزيل طهران.

وقام السيّد مهدي باصلاحات كثيرة في الحضرة الحسينية والصحن الحسيني ذكرها سيّد الأعيان..[2] وورث حركة الاصلاح هذه السيّد الدكتور المهندس محمد علي الشهرستاني الذي توفي أخيراًرحمه الله حيث قام بحركة اصلاح كبيرة في حرم الكاظمين وسامراء وكربلاء، ومن قبل ذلك في مكة والمشاعر، وكذلك في مدينة مشهد، ولا ننسى العلّامة السيّد جواد الشهرستاني نجل المرحوم آية اللّه عبد الرضا الشهرستاني فخدماته في إيران والعراق والعالم الإسلامي خدمات كبيرة وجليلة ونافعة، وهو عنوان

---

(١) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ١٠ / ١٦٣ وما بعدها.

(٢) المرجع نفسه: ١٠ / ١٦٥.

الجود والكرم والنبل، ويعجز القلم عن وصف سجاياه وأخلاقه النبيلة[1].

٣ ـ السيّد علي الطباطبائي (ت ١٢٣١ هـ):

قال السيّد الأمين في الأعيان: «ولد في الكاظمية ١٢ ربيع الأول سنة (١١٦١ هـ) وتوفي سنة (١٢٣١ هـ)، وجاء في تاريخ وفاته «بموت علي مات علم محمد»، ودُفن في الرواق الشريف مما يلي مقابر الشهداء، وهو مع الآقا البهبهاني في صندوق واحد يزار....

أما أقوال العلماء فيه ـ فهي كثيرة ـ فهو المحقق المؤسس الذي ملأ الدنيا ذكره وعمّ العالم فضله، تخرج عليه علماء أعلام وفقهاء عظام صاروا من أكابر المراجع في الإسلام كصاحب المقابيس، وصاحب المطالع، وصاحب مفتاح الكرامة، وأمثالهم من الأجلة، وقد ذكروه في اجازاتهم ومؤلفاتهم ووصفوه بأجمل الصفات..» ثمّ ينقل السيّد الأمين أقوال أُولئك الأعلام الثلاثة بحق أُستاذهم.

وأما مؤلفاته وآثاره العلمية فهي كثيرة ذكر منها صاحب الأعيان تسعة عشر أثرا وتأليفا من أهمها: ١ ـ الرياض. ٢ ـ حاشية على المدارك. ٣ ـ حاشية على الحدائق. ٤ ـ شرح مبادئ الأُصول للعلّامة.. وغير ذلك من الحواشي والتعليقات وأجوبة المسائل.

يروي عن السيّد عبد الباقي الإصفهاني عن والده المير محمد حسين عن جدّه لأُمه المجلسي، ويروي أيضا عن خاله وأُستاذه الآقا محمد باقر البهبهاني، وعن صاحب الحدائق[2].

---

(١) ترجم الشيخ الطهراني لآل الشهرستاني في موسوعته الطبقات، أُنظر الكرام البررة: ١ / ٢٥٤ و ٢ / ٦٢٧ و ٤ / ١٤١٠. وللتوسع انظر؛ محمد قاسم هاشمي في كتابه: تاريخ پانصد ساله خاندان شهرستاني بالفارسية، طبعة إصفهان، ١٤٢٣ هـ.

(٢) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ٨ / ٣١٤ ـ ٣١٥.

٤ ـ السيّد محمد المجاهد الطباطبائي (ت ١٢٤٢ هـ):

ترجم له السيّد حسن الصدر في تكملة أمل الآمل فقال: «السيّد محمد المجاهد بن المير علي صاحب الرياض بن السيّد محمد علي الطباطبائي.

علّامة العلماء الأعلام، وسيّد الفقهاء العظام، وأعلم أهل العلم بالأُصول والكلام. تخرّج على السيّد الأجل بحر العلوم، وهو صهره على ابنته الوحيدة أمِّ أولاده الأفاضل، وعلى والده العلّامة، وكدّ وجدّ في تحقيق حقائق علمي الفقه والأُصول، حتى جزم والده العلّامة بأعلميته منه وصار لا يفتي وابنه موجود في كربلاء، فعلم بذلك ابنه ورحل إلى إصفهان وسكنها ثلاث عشرة سنة، وهو المدرّس فيها والمرجع في علمي الأُصول والفقه لكلٍّ علمائها، وصنّف فيها المفاتيح وغيره حتى توفّي والده، فرجع إلى كربلاء فكان المرجع العام لكلّ الإمامية في أطراف الدنيا، وقام سوق العلم في كربلاء وصارت الرحلة إليه في طلب العلم من كل البلاد»[1].

وينقل السيّد الأمين في الأعيان هذا المقطع من أمل الآمل ويعلّق عليه بقوله:

«ونرجو أن لا يكون في هذه الترجمة بعض المبالغة، لا سيما كونه أعلم من أبيه صاحب الرياض، ولسنا نعلم من حقيقة حاله شيئا لنبدي رأينا فيها»[2].

وعرف السيّد محمد بلقب (المجاهد) لأنّ الروس في سلطنة فتح علي شاه القاجاري تعدوا على بعض حدود إيران فطلب المترجم من الشاه اعلان الحرب على روسيا، ولما كان الشاه يعلم عدم قدرة الدولة الإيرانية على ذلك لم يجب إلى هذا، فأصر عليه السيّد، وكتب إليه ان لم تقم أنت بالجهاد قمت أنا به، فلم يجد الشاه بدا

(١) الصدر ـ حسن، تكملة أمل الآمل: ٥ / ٥٣ برقم ٢٠٧٢، تحقيق: د. حسين علي محفوظ، وآخران، طبعة دار المؤرخ العربي ـ بيروت، ١٤٢٩ هـ ـ ٢٠٠٨ م.

(٢) الأمين، أعيان الشيعة: ٩ / ٤٤٣.

من اجابته، وتوجه السيّد مع جماعة من العلماء والطلّاب وأهل الصلاح إلى بلاد إيران، فلما دخلها عظمه أهلها غاية التعظيم.. حتى إذا اقترب من طهران استقبله الشاه وجميع أهل طهران.. ونهض للجهاد، ورأسَ الشاه ابنه وولي عهده عباس ميرزا على الجيش والتقى الإيرانيون بالروس في (تفليس)، وكان من نتيجة ذلك انكسار الإيرانيين وضياع عدّة ولايات من إيران استولى عليها الروس ودفع غرامة حربية أثقلت كاهل دولة إيران..»[1].

وعلل بعضهم هذا الانكسار بالخيانة من قبل الشاه... ولم يرتضِه السيّد الأمين في أعيانه، وارجع سبب الانكسار إلى عوامله الطبيعية وهي بنظره: «تفوق جيش العدو على جيش إيران في العدة والعدد، ومعرفته بالفنون الحربية الجديدة وجهل عسكر إيران. وكيف يمكن أن يكون الجيش الذي قائده عباس ميرزا الجاهل بفنون الحرب، الذي قضى عمره في نعيم السلطنة وترفها! ومديره؛ عالم لا يعلم من شؤون الدنيا سوى البحث في مسائل الأُصول والفقه وصلاة الجماعة والزيارة والتهجد! والمحاربون فيه عسكر لا تعلم من الفنون الحربية شيئا! وطلّاب وصلحاء لا يعرفون سوى المدرسة الدينية والمسجد! كيف يمكن أن يغلب هذا الجيش جيشا مدربا يفوقه أضعافا مضاعفة في العدة والعدد والعلم والفنون الحربية؟! والسيّد المجاهد مأجور على كل حال على نيته»[2].

ومهما يكن من أمر، فبعد أن «انكسر عسكر الإسلام، رجع السيّد وقد اسودت الدنيا بعينه، حتى انه لمّا وصل إلى أردبيل لم يتكلّم سبعة أيام، ولما وصل إلى قزوين

(١) الأمين، أعيان الشيعة: ٩ / ٤٤٣.

(٢) المرجع نفسه: ٩ / ٤٤٣، وأمل الآمل: ٥ / ٥٤ ـ ٥٥.

توفّي (قدّس اللّه روحه)، وكانت وفاته سنة (١٢٤٢ هـ)، وحُمل نعشه الشريف إلى كربلاء، ودُفن بين الحرمين، وقبره مزار معروف عليه قبّة معظمة في المدرسة المعروفة بمدرسة البقعة»[١].

وقد خلف السيّد المجاهد آثارا علمية مهمة منها: مفاتيح الأُصول، ومنها: مناهل الأحكام، والكتابان مطبوعان بطبعات حجرية وعرف السيّد بهما فيقال صاحب المفاتيح، أو صاحب المناهل، وهنالك مؤلفات أُخرى له ذكرها صاحب الأعيان والشيخ الطهراني في الطبقات[٢].

٥ ـ المولى الشيخ محمد شريف بن حسن علي المازندراني الحائري المعروف بشريف العلماء (ت ١٢٤٦ هـ):

قال عنه السيّد الأمين: «ولد في كربلاء وتوفي فيها سنة (١٢٤٥ هـ)» ودُفن قرب باب القبلة شيخ العلماء ومربي الفقهاء، مؤسس علم الأُصول، جامع المعقول والمنقول، نادرة الدهر وأُعجوبة الزمان.

قرأ أولاً على السيّد محمد المجاهد، ثمّ قرأ على والده صاحب الرياض في الأُصول والفقه، حتى استغنى عن الأُستاذ ولم يعد ينتفع بدرسه فسافر مع أبيه إلى إيران وساح فيها وبقي في كل بلد شهرا أو شهرين فزار الرضاعليه‌السلام ورجع إلى كربلاء وحضر درس صاحب الرياض فرأى أنه لا يستفيد من درسه، وصار السيّد معمرا. فاشتغل بالمباحثة والمطالعة واجتمع في درسه الفضلاء حتى زادوا على الألف، منهم: السيّد إبراهيم صاحب الضوابط، وملا إسماعيل اليزدي.. وملا آقاي دربندي، وسعيد العلماء

---

(١) الصدر ـ حسن، تكملة أمل الآمل: ٥ / ٥٥.

(٢) الأمين، الأعيان: ٩ / ٤٤٣، والطهراني، الطبقات الكرام البررة، القسم الثالث: ٤٢٥.

البارفروشي، والشيخ مرتضى الأنصاري، والسيّد محمد شفيع الجابلقي.. وغيرهم. وكان يدرس درسين أحدهما للمبتدئين والآخر للمنتهين، وقلما رئي مثله في تأسيس قواعد الأُصول. وقد صرف عمره في تربية العلماء، ولهذا كان قليل التصنيف، ومصنفاته على قلتها لم تخرج إلى البياض. وكان أُعجوبة في الحفظ والضبط ودقة النظر وسرعة الانتقال في المناظرات وطلاقة اللسان، وله يد طولى في علم الجدل..»[1].

وقال عنه السيّد حسن الصدر ـ وهو من المعاصرين له، وهو الذي أعطى للشريف اجازة الاجتهاد ـ: «وفضيلة كلّ من تأخر عنه في القواعد الأُصولية مأخوذة عنه! وصرف عمره الشريف في تربية الطالبين، وكان له مجلسان..، ويدرّس في أيام التعطيل بجمع آخر من الطالبين، وفي شهر رمضان يدرّس بالليل، وكان مشغولاً بالطالبين إلى نصف الليل بالمباحثة وبعده بالزيارة والعبادة، فلذا كان قليل التصنيف..».

ثمّ يضيف السيّد الصدر: «وقلت لهﷺ في زمان: اشتغل بالتصنيف والتأليف وأثبت هذه التحقيقات التي لم تصل إليها أيدي العلماء الماهرين والفضلاء المتبحرين والفقهاء الكاملين، فأجابني: بأن تكليفي تربية الطالبين وتعليم المتعلّمين وما أ لّفتموه وصنّفتموه فهو مني».

ثمّ يضيف السيّد الصدر: وحدّثني شيخنا الفقيه الشيخ محمد حسن آل يس ـ وكان أحد تلامذته ـ قال: كان يدرّسنا في علم الأُصول في المدرسة المعروفة بمدرسة حسن خان. وكان يحضر تحت منبره أ لف من المشتغلين، وفيهم المئات من العلماء الفاضلين، ومن تلامذته شيخنا العلّامة المرتضى الأنصاري، وهو منقح تلك

---

(١) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ٩ / ٣٦٤.

التحقيقات الأنيقة، وكفى بذلك فخرا».

ثمّ يقول: وكان بعض تلامذته كالفاضل الدربندي يفضّله على جميع العلماء المتقدّمين حتى العلّامة، بدعوى توقف الاجتهاد على أُصول شريف العلماء..»[1].

أقول: ولعل الابتكارات الأُصولية التي أظهرها الشيخ الأنصاري، ما هي إلّا شذرات من أفكار أُستاذه الشريف، فعمل الشيخ الأعظم الأنصاري عليها وطورها وجذّرها في أذهان تلاميذه، ودونها في رسائله وفرائده الأُصولية.

توفي شريف العلماء في الطاعون الجارف سنة (١٢٤٥ هـ) أو (١٢٤٦ هـ) ودفن في داره بكربلاء وقبره مزار معروف في زقاق (كَدا علي) المتفرع من شارع الحسين عليه السلام وإلى جانبه مدرسة شريف العلماء[2].

وبوفاة شريف العلماء، فقدت حوزة كربلاء أهم عَلم من أعلامها، بل إنّ الحوزة العلمية الكربلائية قد اختتمت به بحسب رأي السيّد حسن الصدر في التكملة حيث يقول: «ومن مراكز أهل العلم للشيعة كربلاء الحائر الحسيني على مشرفه السلام زها العلم فيه..، واستمر العلم فيها إلى أيام شريف العلماء الذي كانت إليه الرحلة»[3].

ورأي السيّد الصدر قد يكون وجيها من جهة، إلّا أنّ مسيرة العلم لم تتوقف في الحوزة الكربلائية بعد وفاة شريف العلماء، وإنما برز فيها علماء ومراجع، واستمرت فيها حوزة الدرس والتدريس إلى منتصف القرن الرابع عشر.

نعم قد تكون المرحلة اللاحقة لرحيل الشريف المازندراني قد اتسمت ببعض الفتور النسبي نتيجة لظروف موضوعية، إلّا أنها لم تتوقف أو تضمحل.

---

(١) الصدر ـ حسن، تكملة أمل الآمل: ٣ / ١٥٨ ـ ١٥٩.

(٢) آل طعمة ـ سلمان، تراث كربلاء: ٢٦٨.

(٣) الصدر ـ حسن، تكملة أمل الآمل: ٦ / ٤٢٥.

٦ ـ الشيخ خلف بن عسكر الحائري (ت ١٢٤٦ هـ):

وهو من تلامذة صاحب الرياض والملازمين له.. وكان من أجلاء المدرسين في حوزة كربلاء، وتخرج عليه كثير من أهل العلم والفضل.. ترك آثارا فقهية منها: (شرح الشرائع) في عدّة مجلدات، (والخلاصة) و (ملخص الرياض) و (مقدمات الحدائق)[1].

٧ ـ الشيخ أحمد بن زين الدين الاحساني (ت ١٢٤١ هـ):

وهو من أشهر العلماء الذين كان لهم حضور فاعل في حوزة كربلاء العلمية، له ترجمة مطولة في كتب التراجم والسير، كما أن زميلنا السيّد هاشم الشخص (حفظه اللّه) قد جمع ترجمته في كتابه (أعلام هجر) جاء فيها: «.. إنه ولد في الاحساء عام (١١٦٦ هـ)، وتلقى فيها مبادئ العلوم حتى أكمل المقدمات والسطوح، ثمّ هاجر إلى العراق عام (١١٨٦ هـ) وهو ابن عشرين سنة، وحضر في كربلاء بحث الآغا باقر الوحيد البهبهاني، والسيّد علي الطباطباني صاحب الرياض، والسيّد ميرزا مهدي الشهرستاني. ثمّ هاجر إلى النجف الأشرف وحضر درس الشيخ جعفر كاشف الغطاء، والسيّد محمد مهدي بحر العلوم. فأُولئك هم أساتذته ومشايخه في الرواية بالاضافة إلى الشيخ حسين آل عصفور البحراني (ت ١٢١٦ هـ) والشيخ أحمد الدمستاني البحراني.. وغيرهم من المشايخ.

وتتلمذ عليه عدد كبير من العلماء حتى قيل: «ان له تلامذة كثيرين بلغوا الاجتهاد أكثر من مائة عالم عامل»، منهم السيّد عبد اللّه شبر (ت ١٢٤٢ هـ)، والشيخ ملا هادي السبزواري (صاحب المنظومة) (ت ١٢٨٩ هـ)، والسيّد محسن الأعرجي

---

(١) الطهراني، الكرام البررة: ٢ / ٥٠١ ـ ٥٠٢.

(ت ١٢٢٧ هـ). والسيّد كاظم الرشتي (ت ١٢٥٩ هـ) والميرزا حسن بن علي الشهير بـ (كوهر) (ت ١٢٦٦ هـ) والمولى محمد بن الحسين المعروف بـ (حجة الإسلام). وهؤلاء الثلاثة ـ الرشتي وكوهر وحجة الاسلام ـ كانوا من خواص تلامذته المقربين وهم الذين نشروا علومه، وروجوا آراءه. وهنالك تلامذة آخرون، كما أنه يروي عنه ثلة من الأعلام...

لقد قضى الشيخ الاحسائي في كربلاء والنجف مدة طويلة لم تحدد بدقة، غادر بعدها إلى بلده الاحساء، ثمّ كانت له سفرات إلى البحرين، والعتبات في العراق، وسكن البصرة، ثمّ هاجر إلى إيران فسكن مدينة يزد مدّة ثمّ طهران أُخرى، ثمّ زار الإمام الرضا عليه السلام وعاد وسكن (إصفهان) ثم (كرمنشاه) و (قزوين) و (شاه عبد العظيم) ثمّ عاد إلى (كربلاء) ونزلها مستوطنا، إلّا أنه خرج منها نتيجة خلافات عقائدية، وخلف تلميذه الرشتي فيها، وتوفي في طريقه إلى المدينة عام (١٢٤١ هـ) ودفن في البقيع..»[١].

٨ ـ الشيخ كاظم الرشتي (ت ١٢٥٩ هـ):

ترجم له في ريحانة الأدب فقال: السيّد كاظم بن قاسم الحسيني الكيلاني الرشتي الحائري، من علماء أواسط القرن الثالث عشر الهجري، ومن أكابر تلامذة الشيخ أحمد الاحسائي وبعد وفاة أُستاذه المذكور تولى المرجعية في جميع الأُمور الدينية، فكان عميدا للطريقة الشيخية وله تآليف كثيرة»[٢].

وتحدث عن مؤلفاته صاحب أحسن الوديعة ضمن حديثه عن أُستاذه الاحسائي

---

(١) أُنظر، هاشم الشخص، أعلام هجر: ١ / ١٧٢ وما بعدها بتلخيص.

(٢) التبريزي ـ محمد علي، ريحانة الأدب فارسي: ٢ / ٧٧.

فقال: «...السيّد كاظم بن قاسم الرشتي صاحب المؤلفات الكثيرة التي لم يفهم أحد ما يقول فيها، وكأنه يتكلم بالهندية إذ كتبه ولا سيما شرح القصيدة والخطبة مشحونة بالألغاز والمعميات، خالية عن صريح العبارات والدلائل الساطعات»[١].

لقد تتلمذ السيّد الرشتي على الشيخ أحمد الاحسائي، وتأثر بمبادئه وآرائه المخالفة لآراء الأُصولية، وعرف مذهبه بـ (الكشفي) أو (پشت سري)، أما مذهب الفرقة الأُصولية فيعرف بـ (البالاسرية). وكانت بين الفريقين خصومات حادة[٢] لا مجال للحديث عنها.

وعقائد الكشفية هي عقائد الشيخية موسعة في شرح المطالب، انتشرت في انحاء عديدة من العراق وإيران، وآل الرشتي معروفون في كربلاء، وهم ذرية السيّد الكاظم، ومنهم في إيران[٣].

ونشير إلى أن من الكشفية نشأت بلية البابية، فإن الميرزا علي محمد الشيرازي ـ مؤسس البابية ـ كان من تلامذة الرشتي[٤].

٩ ـ الشيخ محمد حسين الإصفهاني (ت ١٢٦١ هـ)؛ (صاحب الفصول):

ترجم له سيّد الأعيان فقال في ترجمته: «محمد حسين عبد الرحيم الرازي الأصل، الحائري المسكن والمدفن (صاحب الفصول)، توفي في كربلاء سنة (١٢٦١ هـ).

الفقيه الأُصولي الشهير، أخذ عن أخيه الشيخ محمد تقي صاحب (هداية المسترشدين)، وعن الشيخ علي بن الشيخ جعفر، واختار الاقامة في كربلاء، فرحل

---

(١) الإصفهاني الكاظمي ـ محمد مهدي، أحسن الوديعة: ٢ / ١٠٨.

(٢) آل طعمة ـ سلمان، تراث كربلاء: ٢٦٩.

(٣) العزاوي ـ عباس، تاريخ العراق: ٧ / ٦٩، وللعزاوي كتاب عقائد الشيخية والكشفية.

(٤) الإصفهاني، أحسن الوديعة: ٢ / ٨٨.

إليه الطلّاب، وأخذ عنه جماعة من العلماء مثل الحاج ميرزا علي تقي، والميرزا زين العابدين الطباطبانيين، وله مؤلفات في الأُصول منها (الفصول) وهي من كتب القراءة في هذا الفن، أورد فيه مطلب القوانين، وحلها، واعترض عليها، وهو مشهور عند أهل هذا النوع...»[١]. وفي نقباء البشر أرخ وفاته بعام (١٢٥٤ هـ)[٢].

وجاء في بعض ترجمته أن المترجم له: «هاجر إلى العراق، واتخذ كربلاء موطنا له، فاتسعت شهرته ونشر العلم، وروج الأحكام حتى أصبح مرجعا عاما في التدريس، وكان يقيم الجماعة في الروضة الحسينية المشرفة، وكانت في كربلاء يومذاك فرقة (الكشفية)، وقد أخذ المترجم يضعف نفوذهم ويحاربهم حتى كسر شوكتهم»[٣].

وللمترجم شقيق أكبر هو العلّامة الحجة الشيخ محمد تقي الاصفهاني صاحب الحاشية على المعالم المعروفة بـ (هداية المسترشدين، وهو من تلامذة الشيخ الوحيد وصاحب الرياض في كربلاء، ثم انتقل إلى النجف وتتلمذ على السيّد مهدي بحر العلوم، والشيخ جعفر كاشف الغطاء.. وكلا الشقيقين عالمين علمين مؤسسين)[٤].

١٠ ـ السيّد إبراهيم القزويني (ت ١٢٦٢ هـ)؛ (صاحب الضوابط):

قال الطهراني في ترجمته: هو السيّد إبراهيم بن السيّد محمد باقر الموسوي القزويني الحائري، المدرس الوحيد في عصره، ومن أعاظم العلماء المحققين، كان اشتغاله في كربلاء، أدرك عصر مؤلف (الرياض) وحضر بها في الأُصول على شريف

(١) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ٩ / ٢٣٣.

(٢) الطهراني، نقباء البشر: ١ / ٣٩٠.

(٣) آل طعمة ـ سلمان، تراث كربلاء: ٢٧٢ ـ ٢٧٣ عن كتاب المنجد في الأدب والعلوم: فريدينال توتل: ٤٨٢.

(٤) الطهراني، نقباء البشر: ١ / ٢١٦، ٣٩٠، والسيّد الصدر، تكملة أمل الآمل: ٥ / ٣٦٤ ـ ٣٦٥.

الدين محمد بن الحسن.. الشهير شريف العلماء، وفي الفقه على الشيخ موسى كاشف الغطاء.. وعلى السيّد المجاهد، حتى بلغ رتبة سامية ومكانا عاليا، وصارت له الاحاطة التامة، وعرف بالتحقيق واشتهر في الأوساط وذاع صيته، حتى انتهى إليه أمر التدريس فكان من كبار المدرسين وأفاضل العلماء المحققين، وقد تخرّج عليه جماعة من أقطاب العلماء ورجال الدين، وأفاضل المجتهدين لا يستطاع احصاؤهم.. منهم: الشيخ عبد الحسين شيخ العراقين الطهراني، والسيّد حسين الكوهكمري، والشيخ زين العابدين المازندراني، والسيّد صالح المعروف بـ (عرب) والشيخ المولى علي الكني، والشيخ محمد حسين الساروي، والشيخ عبد الكريم اللاهيجي، والشيخ علي محمد الترك.. وغيرهم، فقد تخرّج من معهده أمثال هؤلاء الأعلام الذين أصبح كل واحد منهم علما من أعلام الدين ومرجعا لثلة من المؤمنين.. وله تصانيف هامة وأسفار جليلة تموج بمياه التحقيق والتدقيق وهي دليل علمه الجم وفضله.. أهمها (الضوابط) في الأُصول، وهو من أهم مصادر هذا الفن وأوعى لدقائقه وتحقيقاته.. وله دلائل الأحكام في شرح (شرائع الإسلام) وغيرها[1].

١١ ـ الشيخ محمد حسين القزويني (ت ١٢٨١ هـ):

قال عنه السيّد الأمين: «كان مشهورا بالاجتهاد والفضل والسداد، وله يد طولى في الوعظ، وكان تلميذ صاحب الجواهر والسيّد إبراهيم القزويني، والشيخ مرتضى الأنصاري، له: نتائج البدائع في شرح الشرائع، وبدائع الأُصول في حجية الظن والاستصحاب والاجتهاد والتقليد»[2].

---

(١) الطهراني، نقباء البشر: ١ / ١٠ ـ ١١، وأُنظر ترجمته في تكملة أمل الأمل للسيّد الصدر: ٢ / ٤٤ وترجم له مطولاً تلميذه الخوانساري في الروضات: ١ / ٣٨ ـ ٤٢.

(٢) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ٩ / ٢٣٢.

وذكره الشيخ الطهراني في الكرام البررة بقوله: «.. من أعاظم الفقهاء وأجلاء العلماء، كان في كربلاء المشرفة من تلاميذ شريف العلماء المازندراني، وكان في النجف من أكابر تلاميذ صاحب (الجواهر)، بل من معاصريه ومعاصري صاحب (الفصول). جاور كربلاء فكان رئيسا مقدما ومدرسا كبيرا وخطيبا جليلاً ومفتيا يرجع إليه في أحكام الشرع، وكان له تبحر غريب في الفقه والأُصول، تنطق به آثاره وتشهد [بها] مآثره. توفي في [٤ / محرم / ١٢٨١ هـ] وهي السنة التي توفي بها الشيخ مرتضى الأنصاري..»[١].

١٢ ـ الشيخ عبد الحسين الطهراني (ت ١٢٨٦ هـ):

للشيخ الطهراني ترجمة واسعة في كتب التراجم نأخذ بعض الشذرات منها:

قال عنه الطهراني في الطبقات: هو الشيخ عبد الحسين بن علي الشهير بشيخ العراقين الطهراني، مجتهد كبير من أعاظم علماء عصره؛ ذكره شيخنا الحجة الميرزا حسين النوري فقال: «شيخي وأُستاذي ومن إليه في العلوم الشرعية استنادي، أفقه الفقهاء وأفضل العلماء، كان نادرة الدهر وأُعجوبة الزمان، في الدقة والتحقيق وجودة الفهم وسرعة الانتقال وحسن الضبط والاتقان، وكثرة الحفظ في الفقه والحديث الرجال..»[٢].

حضر المترجم له في النجف على الشيخ محمد حسن صاحب (الجواهر) حتى أجازه في الاجتهاد، وعاد إلى طهران، فأصبح زعيما دينيا كبيرا في طهران، له مرجعية عظيمة ونفوذ كبير، وهو من عباد اللّه الصلحاء الأبرار الذين لا تأخذهم في اللّه لومة

---

(١) الطهراني، الكرام البررة: ١ / ٤٠٥، وأُنظر، أحسن الوديعة: ١ / ٧٤.

(٢) المرجع نفسه: ٢ / ٧١٣ عن مستدرك الوسائل: ٣ / ٣٩٧.

لانم، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر مهما كلفه الأمر، ولا يخشى السلطان، بل كان السلطان يخشى صولته، وقد عارض ناصر الدين شاه القاجاري في كثير من القضايا التي كان يرى أنها لا توافق أحكام الشرع الشريف حتى ضجر منه وضاق به المخرج ورغب في نفيه للعراق لكنه خشي صولته ومكانته في النفوس.. فرغب إليه المجيء إلى العراق وتذهيب قبة الإمامين العسكريين عليهما السلام في سامراء.. فهبط العراق بأهله وعياله سنة (١٢٧٠ هـ).. وقام بذلك على أكمل وجه.

كانت له آثار خالدة في غرة الدهر منها: مدرسته الكبيرة المعروفة باسمه، وبجنبها المسجد الكبير العالي بطهران المعروف بمسجد شيخ العراقين إلى اليوم. ومنها: تعميرات في كربلاء بالروضة الحسينية..، وكانت له مكتبة عظيمة فيها كثير من نفائس المخطوطات ونوادر الكتب والأسفار المهمة القيمة.. وقد ذكرها جرجي زيدان في (تاريخ آداب اللغة العربية)[1] والفينكت فيليب دي طرازي في (خزائن الكتب العربية في الخافقين) وغيرهما من المؤرخين.

وأما آثاره العلمية، فإنّ له (رسالة عملية)، وترجمة لـ (نجاة العباد)، وله (طبقات الرواة) في الرجال، وحواشي وتعليقات ورسائل كثيرة غير ذلك. وله الرواية عن صاحب الجواهر وغيره.

توفي في الكاظمية في (٢٢ / رمضان / ١٢٨٦ هـ) ونقل إلى كربلاء، ودفن في بعض حجرات الصحن الشريف قرب (مدرسة الصدر) التي بناها هناك من ثلث الصدر الأعظم»[2].

---

(١) جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية: ٤ / ١٤١ طبعة القاهرة.

(٢) الطهراني، الطبقات الكرام البررة: ٢ / ٧١٣ ـ ٧١٤ (بتصرف).

١٣ ـ الشيخ محمد صالح آل كدا علي النوري الحائري (ت ١٢٨٨ هـ):

وكان المترجم له من أجلاء تلاميذ السيّد إبراهيم القزويني صاحب (الضوابط) وغيره من علماء كربلاء الأعلام في عصره، وقد كتب بخطه في حياة أُستاذه كتابه المذكور وفرغ منه في محرم سنة (١٢٥٢ هـ).. ونبغ في العلم والفضل وتقدّم في الفقه والأُصول واشتهر بين مختلف طبقات أهل كربلاء، وعرف بالبراعة والكمال والصلاح والتقوى، وأصبح من العلماء الأعلام والمراجع الأفاضل.

وغلب عليه الورع والنسك والزهد.. وصار محل ثقة الخاصة والعامة، وكان يقيم الجماعة في الصحن الشريف، فتصلي وراءه الأُلوف المؤلفة.. توفي في شهر-ذي الحجة (١٢٨٨ هـ)، ودُفن في الصحن الحسيني[١].

١٤ ـ الشيخ الميرزا علي نقي بن السيّد حسن بن السيّد محمد (المجاهد) الطباطبائي (ت ١٢٨٩ هـ):

ذكر السيّد الأمين في الأعيان وقال عنه: «كان عالما فاضلاً محققا مدققا، قرأ على الشيخ حسن بن الأنصاري»[٢]. وقبل ذلك «تلقى العلم على لفيف من الفقهاء البارزين (في كربلاء) كالعلّامة السيّد ميرزا مهدي الطباطباني نجل العلّامة السيّد محمد المجاهد، والشيخ محمد حسين صاحب الفصول.. وأُنيطت به المهام والمناصب الشرعية والفتاوى العلمية..، وانتهت إليه الرناسة الدينية، وكان يقيم صلاة الجماعة في المسجد المعروف باسمه بين الحرمين، فذاعت شهرته، وعلا صيته وعظم شأنه. تتلمذ عليه لفيف من أهل الفضل؛ منهم: الشيخ محمد تقي الشيرزاي

---

(١) الطهراني، الطبقات الكرام البررة: ٢ / ٦٦٣ ـ ٦٦٤، وآل طعمة، تراث كربلاء: ٢٧٨ ـ ٢٧٩.

(٢) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ٨ / ٣٦٨.

زعيم الثورة العراقية، والسيّد محمد الفشاركي، والشيخ الملّا فضل اللّه المازندراني وغيرهم»[1].

وأما آثاره العلمية، فقد ذكر له الشيخ الطهراني: «.. في الفقه (الدرة الحائرية) المطبوع منه البيع والخيارات، مع منظومة الحج، وكتب في الأُصول أكثر مسائلها»[2].

وذكر له سيد الأعيان كتاب القضاء، وله رسائل وغيرها من الكتب أوصلها إلى (١٦) عنوانا.

توفي في كربلاء في (٦ / صفر / ١٢٨٩ هـ) ودُفن في المقبرة التي بناها لنفسه مقابل مقبرة جدّه السيّد محمد المجاهد[3].

١٥ ـ المولى محمد صالح البرغاني القزويني (ت ١٢٨٣ هـ):

له ترجمة في الكرام البررة جاء فيها: «هو الشيخ المولى.. من مشاهير العلماء، من أُسرة البرغانيين الكبيرة التي ظهر فيها غير واحد من أعاظم الفقهاء وأساطين الدين، كان من رجال العلم الأكابر وحجج الإسلام الأفاضل، وفقهاء الأُمة الأعلام، وهو شقيق الحجة العلم المولى محمد تقي البرغاني الشهيد على يد البابية سنة (١٢٦٤ هـ).

أدرك السيّد علي الطباطبائي في كربلاء، وتلمذ على ولده السيّد محمد المجاهد، وأُجيز منه ومن السيّد عبد اللّه شبر وغيرهما».

له آثار علمية ومآثر خيرية باقية؛ ومن آثاره الباقية المدرسة الدينية والمسجد اللذان بناهما في قزوين، واللذان لا يزالان يعرفان باسمه هناك....

---

(١) آل طعمة ـ سلمان، تراث كربلاء: ٢٧٩ ـ ٢٨٠.

(٢) الطهراني، الكرام البررة: ٣ / ٢٠١.

(٣) الأمين، الأعيان: ٨ / ٣٦٨.

ومن آثاره العلمية: كتاب (غنيمة المعاد في شرح الارشاد) كبير في عدّة مجلدات، و (بحر العرفان) و (مفتاح الجنان) و (مصباح الجنان) وهي ثلاثة تفاسير للقرآن الكريم، كبير ومتوسط وصغيرة وألّف في مقتل الحسين عليه السلام عدّة كتب بالعربية والفارسية...

توفي رحمه الله في الحائر الشريف فجأة سنة (١٢٨٣ هـ).. ودُفن في رواق الحسين عليه السلام في طرف الرأس الشريف[1].

وبالمولى الصالح محمد صالح البرغاني رحمه الله تختتم السلسلة الطيبة لأبرز العلماء والفضلاء لحوزة كربلاء في القرن الثالث عشر الهجري؛ وهذا لا يعني عدم وجود علماء وفقهاء آخرين غير الذين ذكرناهم، فإن ما بأيدينا من كتب التراجم والسير لم تسعفنا بغير هؤلاء، ويبقى لأُولئك المنسيين فضلهم عند من لا ينسى الفضلُ عنده.

أبرز علماء كربلاء في القرن الرابع الهجري:

وأما علماء وفضلاء وفقهاء كربلاء في القرن الرابع الهجري فنذكر منهم:

١ ـ المولى الشيخ حسين الأردكاني (ت ١٣٠٢ هـ).

توقف عند ترجمته طويلاً الشيخ الطهراني فقال عنه: «هو الشيخ حسين بن محمد إسماعيل بن أبي طالب الأردكاني الحائري؛ الشهير بالفاضل الأردكاني، أحد كبار علماء الشيعة في أوائل هذه المائة.

ولد في سنة (١٢٣٥ هـ) في أردكان من توابع يزد، فنشأ فيها، فعنى بتربيته عمه الحجة محمد تقي الأردكاني، فلقنه المبادئ، وأقرأه المقدّمات والسطوح.. ثمّ هاجر

---

(١) الطهراني، الطبقات الكرام البررة: ٢ / ٦٦٠ ـ ٦٦١، وأُنظر معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة: ١٠ / ٨٧، وتراث كربلاء: ٢٨١ ـ ٢٨٢.

إلى كربلاء المشرفة فأدرك شريف العلماء.. فحضر بحثه وكتب من تقريرات دروسه مبحث بيع الفضولي من كتاب التجارة..، وحضر أيضا على السيّد إبراهيم القزويني صاحب (الضوابط) وغيرهما.

حتى بلغ في الفقه والأُصول مبلغا عظيما، واشتهر بين العلماء والطلّاب بالتحقيق والتدقيق والتبحر والخبرة؛ فاتجهت الأنظار إليه، وكثر الاقبال عليه.

وكان له بحث في كربلاء يحضره الأجلاء والفضلاء والخيرة المنتخبة من طلّاب العلم،.. وقد تخرج من معهد درسه جمع من الفطاحل الكبار والمجتهدين الأعاظم، كالسيّد الميرزا محمد حسين الشهرستاني، والميرزا محمد تقي الشيرازي، والسيّد محمد الإصفهاني، والسيّد حسن الكشميري، والميرزا مهدي الشيرازي، والشيخ علي البفروئي، والميرزا محمد الهمداني وغيرهم.

فقد قام سوق العلم بكربلاء في عصره، وزهت البلدة بوجوده، وأعاد إليها نظارة عصر الوحيد البهبهاني في كثرة العلماء وزيادة المشتغلين، اشتهر اسمه في الأوساط، وأخذ بالرقي يوما فيوما حتى رُجع إليه في التقليد وأصبحت له زعامة دينية عامة، ونفوذ ممتد، وسمعة طائلة وجاه عريض.

وكان من أُولئك الأوتاد العباد والزهاد النسّاك الذين يضرب بتقواهم المثل، فقد كان كثير الاعراض عن الدنيا، قليل الاعتناء بالرياسة، منصرفا إلى أداء واجبه الديني من تدريس وامامة وإرشاد ونشر أحكام.

وكان مثال الروحاني الرباني في نزاهته وأخلاقه، فقد كان ـ مع تلك الصولة ـ كثير التواضع حسن الأخلاق هشا بشا لا يعرف الرياء ولا الكبرياء، قضى على ذلك حياة شريفة صرفها فيما يرضي اللّه والرسول، إلى أن توفي في (١٣٠٢ هـ).. ودفن في مقبرة أُستاذه صاحب (الضوابط).

خلف عدّة آثار منها: (التقريرات الأُصولية) و (كتاب الطهارة) و (كتاب الصلاة) و (كتاب المتاجر).. وقد صدرت عنه عدّة اجازات..»[1].

وذكره السيّد حسن الصدر ـ المعاصر له ـ في التكملة بنفس العبارات التي ذكرها بها الطهراني، وكأن الطهراني قد اقتبسها منه ـ ومما قاله: «كان عالما محققا.. كان سوق العلم قائما به في أيامه بالحائر، وتربى على يده جماعة من العلماء، وكان قليل الاعتناء بالدنيا والرئاسة، ما رأيت أقلّ اعتناء منه في علماء العصر مع اقبال الرئاسة عليه بكلّها، زاهدا ناسكا روحانيّا ربانيّا.. وأما مكارم أخلاقه وسيرته فكان، ترابي الأخلاق، كريم الطبع، هشا بشّا، كثير الملاطفة، وكلماته حكم وأمثال، مهتديا صفيا، لا يحابي أحدا في الدين، يقول الحق، ولا يخشى لومة لائم»[2].

٢ ـ السيّد صالح الداماد (ت ١٣٠٣ هـ).

قال الشيخ الطهراني في ترجمته: «هو السيّد محمد صالح بن السيّد حسن بن السيّد يوسف الموسوي الحائري المعروف بـ (الداماد). من أعاظم علماء عصره وأكابر رجال الدين في أوائل هذا القرن.

وسبب شهرته بالداماد، أنّ والده ـ والذي كان من علماء وقته الأفاضل ـ قد صاهر العلّامة السيّد علي الطباطبائي صاحب (الرياض) على كريمته فاشتهر في كربلاء بـ (الداماد) ومعناه بالعربية الصهر، وقد لازم اللقب ولده هذا أيضا فكان يعرف به.

ولد السيّد صالح في كربلاء ونشأ بها فقرأ الأوليات على خاله السيّد مهدي بن صاحب الرياض والسيّد إبراهيم القزويني صاحب (الضوابط)، وغيرهما من أعلام

---

(١) الطهراني، نقباء البشر: ٢ / ٥٣١ ـ ٥٣٣.

(٢) الصدر ـ حسن، تكملة أمل الآمل: ٢ / ٤٣٥.

العلم بوقته، حتى اشتهر بالفضل وتقدم في العلم..، فاشتغل بالتدريس وتخرّج من تحت منبره جم غفير من أفاضل أهل العلم وأجلائهم، وصارت له رياسة وزعامة دينية في كربلاء، وأصبح من المراجع الأجلاء فيها.. وبسبب بعض اصلاحاته الدينية حدثت واقعة كربلاء المعروفة في ذي الحجة عام (١٢٥٨ هـ)، والمؤرخة بلفظ «غدير دم» على عهد السلطان عبد الحميد، وعلى يد نجيب باشا والي بغداد، وهي مجزرة رهيبة ذهبت ضحيتها الأُلوف المؤلفة من الرجال والنساء والأطفال وكثير من العلماء والصلحاء، وذكرت تفاصيلها في التواريخ المدونة لهذه الحقبة الزمنية»[١].

وفي هذه الحادثة أخذ المترجم له أسيرا إلى القسطنطينية.. ثم أرسل إلى طهران، فاحتفل به ناصر الدين شاه.. فصار من رجال الدين ومشاهير الأعلام، وكبار المراجع للعامة والخاصة، وعرف بلسان العامة بمير (صالح عرب)، وبقي قائما بأداء وظائفه إلى أن توفي في ليلة الجمعة ثاني ربيع الثاني (١٣٠٣ هـ)، عن أربع وثمانين سنة، وحملت جنازته إلى كربلاء، ودفن بالرواق الشريف.

ومن آثاره العلمية: كتاب (زهر الرياض) وهي حاشية على كتاب (رياض المسائل) وحاشية على (الروضة البهية) للشهيد، وله (مهذب القوانين) حاشية على قوانين الأُصول للميرزا القمي، (والتجزئ في الاجتهاد)[٢].

(١) أُنظر تفاصيل هذه الحادثة في المراجع التالية: الوردي، لمحات اجتماعية: ٢ / ١١٧ وما بعدها، والعزاوي ـ عباس، تاريخ العراق: ٧ / ٦٤، والأميني، شهداء الفضيلة: ٣٠٦، والخليلي، موسوعة العتبات: ٨ / ٢٧٦، والمستشرق بونكريك في كتابه: أربعة قرون من تاريخ العراق: ٣٤٥ ترجمة: جعفر الخياط وقارن بما ذكره الكاتب التركي دليلك قايا في كتابه الوثائقي: كربلاء في الأرشيف العثماني، دراسة وثائقية باشراف وتقديم: د. زكريا قورشون: ١٩٠ ـ ٢١٥، طبعة الدار العربية للموسوعات ـ بيروت، ٢٠٠٨ م ـ ١٤٢٨ هـ.

(٢) الطهراني، الطبقات نقباء البشر: ٢ / ٨٨١ ـ ٨٨٣.

٣ ـ الشيخ زين العابدين الحائري (ت ١٠٣٩ هـ).

وهو المجتهد الكبير الشيخ زين العابدين بن مسلم الشهير بالبارفروشي المازندراني الحائري من أعاظم العلماء وأكابر الفقهاء. كان في كربلاء من تلامذة المولى محمد سعيد المازندراني الشهير بسعيد العلماء (ت ١٢٧٠ هـ)، والسيّد إبراهيم القزويني صاحب (الضوابط) والشيخ محمد حسين الاصفهاني صاحب (الفصول)، وحضر في النجف على الشيخ مرتضى الأنصاري ويروي عنه اجازة، والشيخ محمد حسن صاحب الجواهر، وغيرهم.

تضلّع في الفقه والأُصول، وحضر عليه جماعة، واشتهر أمره، وذاع صيته، ورجع إليه الناس في التقليد ولا سيما في البلاد الهندية، وطبعت رسالته العملية مكررا، وقام باعباء الهداية والارشاد. توفي في سادس عشر ذي القعدة سنة (١٣٠٩ هـ)، ودُفن في مقبرته في صحن الحسينعليه السلام.

له من الآثار العلمية: (ذخيرة المعاد) في الفقه، و (مناسك الحج) وغيرها. (شرح الشرائع) وحواشي علمية على (المسالك) وعلى (الجواهر)[1].

٤ ـ السيّد محمد حسين المرعشي الشهرستاني.

هو السيّد الميرزا ضياء الدين محمد حسين الشهرستاني المرعشي الحائري... (ت ١٣١٥ هـ).

ينتهي نسبه الشريف إلى الإمام علي بن الحسين السجادعليه السلام، وهو من أعاظم العلماء وأكابر رجال الدين في كربلاء في عصره.

---

(١) الطهراني، نقباء البشر: ٢ / ٨٠٥، وآل طعمة، تراث كربلاء: ٢٨٥ ـ ٢٨٦، والزركلي ـ الأعلام: ٣ / ١٠٦، والأمين ـ أعيان الشيعة: ٧ / ١٦٧ ـ ١٦٨.

ولد المترجم له في كرمنشاه في (١٥ / شوال / ١٢٥٥ هـ) ونشأ هناك فتعلم المبادئ، وأخذ بعض مقدمات العلوم، ثمّ جاء إلى كربلاء فقرأ بها السطوح، ثمّ لازم حوزة والده وحوزة الفقيه حسين الأردكاني، حتى بلغ في الفقه والأُصول درجة قصوى، وحاز قسطا وافرا من أنواع العلوم.

توفي‌رحمه‌الله ليلة الخميس (٣ / شوال / ١٣١٥ هـ) ودُفن في ايوان بالرواق القبلي خلف شباك الشهداء.

آثاره العلمية: لقد خلف آثارا جليلة تنيف على الثمانين كتابا ورسالة فارسية وعربية. ويذكر الشيخ الطهراني فهرست لكتبه المطبوعة والمخطوطة التي رأى أغلبها[١].

٥ ـ السّيد الميرزا علي الشهرستاني (ت ١٣٤٤ هـ).

هو السيّد الميرزا علي بن السيّد الميرزا محمد حسين بن محمد علي الحسيني الشهرستاني الحائري عالم بارع وورع جليل....

نشأ على أبيه فتلقى العلم على أجلاء عصره وأفاضل المدرسين، حتى بلغ مكانة عالية ونال حظا وافرا من الفضل، وأشارت إليه الأكف بالاعجاب والاحترام.

ولما توفي والده في سنة (١٣١٥ هـ) أهلته مكانته للقيام مقامه في الإمامة ومرجعية الأُمور الشرعية في كربلاء، وكان له بين الناس منزلة مرموقة إلى أن توفي في (١١ / رجب / ١٣٤٤ هـ).

ترك مؤلفات كثيرة قيمة منها: (الدرة الوجيزة في شرح الوجيزة) للشيخ البهائي، في

---

(١) الطهراني، نقباء البشر: ٢ / ٦٢٧ ـ ٦٣١.

علم دراية الحديث طبع مع بعض رسائله..»[1].

٦ ـ السيّد هاشم القزويني (ت ١٣٢٧ هـ).

هو السيّد هاشم بن السيّد محمد علي الموسوي القزويني الحائري، علّامة فقيه ورع تقي. هو ابن عم صاحب (الضوابط)، ولد سنة (١٢٤٤ هـ)، وكان والده من أجلاء العلماء الرؤساء، توفي والده وله ستة أشهر، فربته والدته.. درس عند صاحب الضوابط وعند محمد حسين اليزدي الحائري.. وهاجر إلى النجف وتتلمذ على العلّامة الأنصاري، ثمّ آية اللّه الشيرازي، ثمّ رجع إلى الحائر وتتلمذ على الشيخ زين العابدين المازندراني الحائري.

توفي‌ﷺ في ذي القعدة سنة (١٣٢٧ هـ) عن ثلاث وثمانين سنة، ودفن بمقبرة عمّه السيّد إبراهيم صاحب الضوابط.

وأما آثاره العلمية؛ فله تصانيف وتقريرات، منها: مباحث الألفاظ في الأُصول من تقرير العلّامة الأنصاري، وله: أصل البراءة، والأدلة العقلية، وفي الفقه، الخلل، وصلاة المسافر، والجماعة، والإرث، وله في الكلام: الرد على ابن الآلوسي..[2].

٧ ـ السيّد الميرزا جعفر الطباطبائي.

هو السيّد ميرزا جعفر بن الميرزا علي نقي بن السيّد حسن بن السيّد محمد المجاهد بن السيّد علي صاحب الرياض الطباطبائي الحائري ولد في كربلاء (١٢٥٥ هـ) ونشأ بها، وأخذ المقدّمات عن أعلام الفضل ورجال العلم، ورحل إلى النجف فتتلمذ على خاله السيّد علي مؤلف (البرهان) وغيرهم. وله رواية عن جماعة

---

(١) الطهراني، نقباء البشر: ٤ / ١٤١٠ ـ ١٤١١.

(٢) المصدر نفسه: ٥ / ٥٧٠، وآل طعمة، تراث كربلاء: ٢٨٨.

كتبوا له الاجازات بخطوطهم على ظهر مجموعة من رسائله الفقهية كالسيّد حسين بحر العلوم والسيّد علي بحر العلوم والسيّد مهدي القزويني.. وغيرهم.

انتهت إليه الرئاسة في كربلاء بعد والده وصار من أعاظم العلماء ومراجع الأُمور، توفي فجأة في ظهيرة الأربعاء (٢٢ / صفر / ١٣٢١ هـ). وله تصانيف كثيرة في الفقه والأُصول وغيرهما[1].

٨ ـ الشيخ محمد تقي الشيرازي (ت ١٣٣٨ هـ).

وقد تحدّثنا عنه سابقا ضمن الحديث عن حوزة (سامراء) ونقلنا هناك بعض الجوانب المشرقة من سيرته العلمية والجهادية فهو‏ﷺ «زعيم الثورة العراقية، ومورى شرارتها الأُولى، ومن أكابر العلماء وأعاظم المجتهدين، ومن أشهر مشاهير عصره في العلم والتقوى والغيرة الدينية»[2].

٩ ـ السيّد إسماعيل الصدر (ت ١٣٣٨ هـ).

ذكره صاحب الطبقات في (الكرام البررة) فقال في ترجمته: «هو السيّد إسماعيل بن السيّد صدر الدين العاملي الإصفهاني، من أعاظم العلماء، وأكابر المراجع.

ولد في أصفهان (١٢٥٨ هـ) ونشأ بها، وتلمذ في الفقه على العلّامة الشيخ محمد باقر الاصفهاني، وتشرف إلى النجف (١٢٧١ هـ)».. فلازم بحث العلّامة الفقيه الشيخ راضي بن محمد آل خضر النجفي، وبحث الفقيه الشيخ مهدي بن علي بن الشيخ الأكبر كاشف الغطاء، ثمّ اختص بالمجدد الشيرازي مدة حياته، وهاجر بعد هجرته إلى سامراء بقليل، فكان في سامراء إلى (١٣١٤ هـ) ثمّ هاجر إلى الحائر الشريف،

---

(١) الطهراني، نقباء البشر: ١ / ٢٩٣ ـ ٢٩٤، وأحسن الوديعة: ١ / ١٦٨، وتراث كربلاء: ٢٨٩.

(٢) المصدر نفسه: ١ / ٢٦١ وما بعدها. وللتوسع أُنظر ترجمة في أعيان الشيعة: ٩ / ١٩٢، وتكملة أمل الآمل: ٥ / ٢٩٥، وأحسن الوديعة: ١ / ١٨٤، وتراث كربلاء: ٢٩١ ـ ٢٩٢.

مروجا للدين، وحافظا للعلماء، ومساعدا للمشتغلين، وعونا للضعفاء والمساكين.. فكان من مراجع التقليد في أغلب الأطراف إلى أن توفي في الكاظمية في (١٢ / ج ١ / ١٣٣٨ هـ)، ودفن بها في مقبرته المشهورة في الرواق.. وأبناؤه الأربعة كلهم علماء أجلاء وهم: السيّد محمد مهدي، والسيّد محمد جواد، والسيّد صدر الدين، والسيّد حيدر (والد السيّد محمد باقر الصدر)، وأُم الجميع أُخت سيّدنا الحسن الصدر..»[١].

وللسيّد حسن الصدر في التكملة ترجمة واسعة، ووصف دقيق لعلميّة وخصال السيّد إسماعيل الصدر، الذي يعبر عنه بأنه (ابن عم والد مؤلف هذا الكتاب.. أحد مراجع الإمامية في الأحكام الدينية، عالم فاضل، فقيه أُصولي، محقق فكور نابغ).

ثمّ يذكر عقبه فيقول: «وله من الأولاد الذكور أربعة، كلّهم أفاضل علماء، وأهل نظر وتحقيق» ثمّ يصفهم واحدا بعد الآخر.

والذي يبدو من ترجمة السيّد حسن الصدر لابن عم والده السيّد إسماعيل أنه كان حيا وكذلك أولاده الأربعة حين كتابة ترجمته له ولهم، حيث يقول: «وفي سنة (١٣١٤ هـ) هاجر وهاجر معه الأكبار من العلماء إلى كربلاء، واستوطنها إلى اليوم أدام اللّه سبحانه ظله على رؤوس الشيعة»[٢].

وللسيّد الأمين في أعيانه ترجمة للسيّد إسماعيل الصدر أوسع من ترجمة الشيخ الطهراني ويبدو أن الطهراني قد اقتبس منها ولخصها، إلّا أنّ الشيخ الطهراني لم يذكر أحدا من تلاميذه، والراوين عنه، وذكرهم السيّد الأمين فقال: «أخذ عنه الميرزا محمد حسين النائيني النجفي المشهور، والشيخ حسين المرندي الحائري، والشيخ موسى

---

(١) الطهراني، نقباء البشر: ١ / ١٥٩ ـ ١٦٠.

(٢) الصدر ـ حسن، تكملة أمل الآمل: ١ / ٥٧ ـ ٥٩ من الطبعة الحديثة.

الكرمنشاهي الحائري وغيرهم.

ويروي بالاجازة عنه جماعة، فمنهم: الميرزا أبو طالب الموسوي الشيرازي صاحب كتاب أسرار العقائد، والسيّد محمود الحسيني المرعشي التبريزي، والشيخ محمد باقر البيرجندي، والشيخ أحمد الشاهرودي، والشيخ محمد حسين ابن محمد خليل الإمامي الشيرازي»[1].

كذلك للسيّد الأمين ترجمة واسعة لوالد السيّد إسماعيل وهو: «صدر الدين محمد بن السيّد صالح بن السيّد إبراهيم شرف الدين بن زين العابدين بن علي نور الدين أخي صاحب المدارك بن نور الدين علي بن الحسين بن أبي الحسن الموسوي العاملي الإصفهاني».

الذي ولد في قرية من قرى جبل عامل سنة (١١٩٣ هـ) وتوفي في النجف الأشرف سنة (١٢٦٣ هـ) وقيل (١٢٦٤ هـ)، ودُفن في بعض حجر الصحن الشريف[2].

وللميرزا الخوانساري صاحب روضات الجنات والمعاصر للسيّد صدر الدين ترجمة واسعة له في روضاته دوّن فيها للسيّد صدر الدين رحلة علمية شيّقة طويلة ابتدأها بأبيه من جبل عامل إلى بغداد، والكاظمية سنة (١١٩٧ هـ) وكان عمره أربع سنين.

حيث اشتغل خلال هذه الفترة بطلب العلم فقرأ في النجف والكاظمية على الشيخ جعفر الكبير ـ وتزوّج ابنة الشيخ جعفر ـ وقرأ على صاحب مفتاح الكرامة، والشيخ سليمان المعتوق العاملي، والسيّد محسن الأعرجي صاحب (المحصول) و (الوافي)،

---

(١) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ٣ / ٤٠٣ ـ ٤٠٤.

(٢) المرجع نفسه: ٩ / ٣٧٢.

وغير أُولئك من العلماء...

وأما مشايخه الذين يروي عنهم بطريق الاجازة فهم كثيرون جدا ينيف عدّتهم على عشرة من الفقهاء والمجتهدين، وأعلاهم سندا والده المعظم، عن والده السيّد محمد بن زين العابدين عن شيخه وأُستاذه محمد بن الحسن الحر العاملي صاحب (الوسائل). فإنّه‌ يروي كتاب (الوسائل) بتمامه عن هذا الطريق، وعن شيخه سليمان بن معتوق عن جدّه السيّد محمد....

وقال ـ الخوانساري ـ أيضا: ومن جملة ما حكى لنا إنه كان يتردد في زمن حداثته وقبل أوان حلمه على مجلس السيّد بحر العلوم ويستفيد من بركات أنفاسه، وكان السيّد مشغولاً آنذاك بنظم (درّته المشهورة)، فكان يعرض عليه ما كان ينشده في كل يوم.

ثمّ أضاف صاحب الروضات: «كان مدّعيا لمرتبة الاجتهاد قبل أوان بلوغه، وكان معظما عند علماء تلك الصفحة وأُمرائها الخاصة والعامة من لدن وفاة أبيه المبرور، بل قبل ذلك، وله مع أُولئك نوادر وحكايات ووقائع تدل على عظم موقعه منهم، شافهني المرحوم بحكاية جملة وافرة منها لا يسعها المقام»[1].

ويعلّق السيّد الأمين في أعيانه على هذا المقطع من قول الخوانساري فيقول: «وليته وسع المقام لبعضها؛ فهي أنفع للقارئ وأجدر بالذكر من كثير مما أورده من الألقاب الضخمة والاسجاع الباردة»[2].

وأوسع من كتب في ترجمة السيّد صدر الدين بن صالح الصدر، هو السيّد حسن

---

(١) الخوانساري، روضات الجنات: ٤ / ١٢٦ ـ ١٢٩ بتلخيص وتصرف.

(٢) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ٩ / ٣٧٢.

الصدر في كتابه الممتع تكملة أمل الآمل، ومنه أخذ السيّد عبد الحسين شرف الدين في موسوعة «بغية الراغبين في سلسلة آل شرف الدين» المطبوع مع ملحقاته في مجلدين ضمن موسوعة السيّد شرف الدين[1] ومما جاء في (بغية الراغبين) ضمن ترجمة السيّد صدر الدين قوله:

«سيّد هذه الأُسرة ـ آل الصدر ـ وامامها الأوحد السيّد شريف محمّد المعروف بـ (السيّد صدر الدين بن السيّد صالح) وأُمه الفاضلة بنت الشيخ علي بن الشيخ محي الدين بن الشيخ علي بن الشيخ حسن بن الشهيد الثاني أعلى اللّه منازلهم.

وإليه يضاف السادة القادة الأشراف آل صدر الدين، وجلّهم الآن في العراق وإصفهان»[2].

ولا نستطيع أن نسترسل كثيرا في ترجمة سيرة السادة الأجلاء من آل الصدر (رضوان اللّه عليهم) ـ وهي بلا شك سيرة عطرة محببة ملأها العطاء العلمي والجهادي ـ إذ إن منهج الاختصار يوجب علينا التوقف عند هذا المختصر من ترجمتهم، ولمن رام التوسع يمكنه مراجعة المراجع والمصادر التي أشرنا إليها.

١٠ ـ السيّد هادي الخراساني الحائري (ت ١٣٦٨ هـ).

قال عنه السيّد الأمين في الأعيان: ولد في كربلاء سنة (١٢٩٧ هـ)، ثمّ انتقل مع

---

(١) تتكون الموسوعة من عشرة أجزاء بالاضافة إلى المدخل، ويضم جميع آثار السيّد شرف الدين العلمية، محققة من قبل لجنة علمية، وطبعت الموسوعة في بيروت من قبل دار المؤرخ العربي عام ١٤٢٧ هـ ـ ٢٠٠٦ م.

(٢) للتوسع، أُنظر: الصدر ـ حسن، تكملة أمل الآمل: ١ / ١٩٨ وما بعدها، من الطبعة الحديثة، والسيّد شرف الدين ـ عبد الحسين، منية الراغبين: الجزء السابع والثامن من موسوعة السيّد شرف الدين، والاصفهاني الكاظمي، أحسن الوديعة: ١ / ١٨٠ وما بعدها.

والده إلى مشهد الرضا عليه السلام حيث أتمّ دراسته الأُولى فيها. وقد ختم القرآن ولم يبلغ العاشرة من عمره، ثمّ عاد إلى كربلاء، ومنها ذهب إلى النجف حيث تردد على الحلقات الدراسية العليا مستفيدا، فدرس عند الشيخ كاظم الخراساني، والسيّد كاظم اليزدي، والشيخ محمد تقي الشيرازي الذي تخرّج عليه. وبعد أن أتمّ دراسته في النجف عاد إلى كربلاء، فاستقل بالتدريس.

وكان متصفا بالزهد والتقوى والتهجد، كما أن داره كانت محفلاً لأهل العلم وطلّاب الحقيقة، وقد أصبح في السنوات الأخيرة من عمره مرجعا من مراجع التقليد في كربلاء، وكانت الثقة بفتاويه والاعتماد عليها كثير، لأ نّه كان لا يحررها إلّا بعد ترو وتحقّق دقيقين.

توفي في كربلاء في (١٢ / ربيع الأول / ١٣٦٨ هـ) ودُفن في احدى حجرات صحن الإمام الحسين عليه السلام.

وأما آثاره العلمية؛ فقد شرع منذ صباه في تصنيف الكتب وتأليفها في مختلف الفنون والعلوم، وقد جمع بين المنقول والمعقول والأدب والعلم والحكمة والكلام كما كانت له اليد الطولى في الرياضيات والطبيعيات.. وقد جمع المترجم في داره بكربلاء مكتبة ثمينة من حيث النسخ النادرة من الكتب الخطية..[1] وذكر له مؤلفات.. بلغت أكثر من (١٨) مؤلفا.

١١ ـ السّيد عبد الحسين الحجة الطباطباني (ت ١٣٦٣ هـ).

ترجم له صديقه ورفيق درسه الشيخ الطهراني في الكرام البررة فقال في ترجمته:

«هو السّيد عبد الحسين بن السيّد علي بن السيّد أبي القاسم الملقب بالحجة ابن

---

(١) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ١٠ / ٢٣٢ ـ ٢٣٣، وتراث كربلاء: ٢٩٤ ـ ٢٩٥.

حسن بن السيّد محمد المجاهد بن السيّد علي ـ صاحب الرياض ـ الطباطبائي الحائري، فقيه فاضل وعالم جليل ومرجع معروف».

و «آل الطباطبائي» من بيوت العلم المعروفة في كربلاء، وأُسر الزعامة والمجد، والشرف والفضل، توارثوا الفقاهة والرياسة أبا عن جد، وظهر فيهم علماء متبحرون وفقهاء بارعون.. خدموا الدين بالتدريس والتأليف وغيرهما».

ثمّ يضيف الطهراني: «كان المترجم له من أصدقائنا القدامى.. أخذ عن بعض أفاضل كربلاء مقدّمات العلوم، ثمّ تشرّف إلى النجف مع ابن عمه السيّد محمد صادق الحجة فحضرا على المولى محمد كاظم الخراساني وغيره من فحول علماء عصره ومشاهير مدرسيه، وكانت تجمعني وإياه حلقة درس شيخنا الخراساني فقها في النهار، وأُصولاً في الليل، وقد كان مع ابن عمه من تلامذته البارزين.. وقد كنت أُلاحظ عناية الشيخ بهما واحترامه لهما...

عاد المترجم له إلى كربلاء بعد أن بلغ درجة سامية في العلم والفضل مع تقى وصلاح، فأقبلت عليه النفوس والتف حوله طلّاب العلم، واشتغل بالتدريس وغيره.. انتهت إليه الرياسة في كربلاء، وشغل منصب المرجعية الدينية والزعامة الروحية بجدارة واستحقاق.

بقي رحمه الله زمنا طويلاً وهو مرجع الناس وملاذهم في كربلاء.. إلى أن انتقل إلى رحمة اللّه بعد مرض لازمه مدّة في سنة (١٣٦٣ هـ).. ودفن مع آبائه ـ عليهم السلام ـ في مقابرهم»[1].

١٢ ـ السيّد حسين القمي (ت ١٣٦٦ هـ).

يقول عنه الشيخ عباس القمي: «السيّد الأجل والكهف الأظل، العالم المحقّق،

---

(١) الطهراني، الكرام البررة: ٣ / ١٠٥١ ـ ١٠٥٢، وآل طعمة، تراث كربلاء: ٢٩٦ ـ ٢٩٧.

والفاضل المدقّق، الورع البرع التقي الزكي، الذي هو من أعاظم فضلائنا المتأهلين للثناء بكل جميل، عادم العديل، وفاقد الزميل، مسلما تحقيقه في الأُصول، بل ماهرا في المعقول والمنقول...»[1]. ويترجم له السيّد الأمين في الأعيان والذي التقى به في دمشق، وفي مدينة مشهد، ودارت بينهما بعض المباحثات العلمية فيقول: وطلبت منه أن يكتب لي ترجمته فأمر بعض من يختص به فكتب لي ما تعريبه:

ولد في قم (١٢٨٢ هـ) وفيها أتمّ مقدّمات العلوم، ثمّ سافر إلى العتبات العاليات، ثمّ عاد إلى قم وأكمل فيها دراسة السطوح.. ثمّ سافر إلى سامراء وحضر درس الميرزا الشيرازي، ثمّ سافر إلى طهران وحضر دروس المعقول والعرفان والرياضيات على جماعة من علماءها المعروفين وقرأ على الشيخ فضل اللّه النوري والميرزا حسن الآشتياني، ثمّ عاد إلى العراق لإكمال تحصيله في النجف وسامراء عند الميرزا محمد تقي الشيرازي، ثمّ عاد إلى إيران وسكن مشهد وسكنها لأكثر من عشرين سنة مشغولاً بالتدريس وأجوبة الاستفتاءات.

ويضيف السيّد الأمين: ثمّ بعد سنين فسد ما بينه وبين الشاه رضا.. ثمّ خرج إلى العراق ـ شبه منفي ـ وسكن كربلاء ودرس فيها، وصارت له وجاهة، وازدادت وجاهته بعد وفاة السيّد أبي الحسن الاصفهاني، ومال الناس من إيران وغيرها إلى تقليده، وطبع رسالته. ويذكر السيّد الأمين أساتذته وهم كثيرون كالميرزا الشيرازي، وكاظم اليزدي، والآخوند الخراساني ومحمد تقي الشيرازي وغيرهم. وله آثار علمية وحواشي. توفي في بغداد سنة (١٣٦٦ هـ) ونقل إلى النجف[2].

---

(١) القمي ـ عباس، الفوائد الرضوية: ١ / ١٨ ـ ١٩.

(٢) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ٦ / ١٦٩.

١٣ ـ السيّد حسين القزويني الحائري (ت ١٣٦٧ هـ).

هو السيّد حسين، نجل السيّد باقر، نجل السيّد إبراهيم صاحب الضوابط..، ولد في كربلاء سنة (١٥٨٨ هـ)، وتتلمذ على العلّامة الحجة الشيخ كاظم الخراساني الشهير بـ (الآخوند)، وله عدّة اجازات في الاجتهاد. ومن أساتذته في الاجازة الآخوند الخراساني، وآقا ضياء العراقي، والسيّد أحمد السيّد صالح القزويني الموسوي، والسيّد أبو الحسن الاصفهاني، والشيخ محمد تقي الشيرازي، والميرزا محمد حسين النائيني.

ساهم المترجم له في الثورة العراقية الكبرى سنة (١٩٢٠ هـ)، وكان عضوا فعالاً فيها، وبعد أن أخمدت نار الثورة قبض عليه الانكليز، وقدم إلى المجلس العرفي العسكري، فأطلق سراحه بعد اعتقاله في الحلة طيلة ثمانية أشهر.. وله مؤلفات مطبوعة ومخطوطة...

توفي في (٢ / ذي الحجة / ١٣٦٧ هـ) ودفن في مقبرة آل القزويني في الصحن الصغير للروضة الحسينية[1].

ويذكر الدكتور علي الوردي في كتابه لمحات اجتماعية أنه «قد بلغ عدد الذين ضمهم سجن الحلة ثلاثة وثلاثين.. منهم: السيّد هبة الدين الشهرستاني والسيّد حسين القزويني..» وغيرهم.

ومن طريف ما يذكره في هذه المناسبة أن السيّد هبة الدين الشهرستاني نظم في سجن الحلة أُرجوزة أشار فيها إلى أسماء الذين كانوا معه في السجن، جاء فيها:

---

(١) آل طعمة ـ سلمان، تراث كربلاء: ٢٩٧ ـ ٢٩٨. وللتوسع أُنظر: علي الوردي في كتابه لمحات اجتماعية: ج ٥، ق ٢ / ١١٦ ـ ١١٧.

هـــاك أســـامي نخبـــة الآفـــاق من حوكمـوا فـي نهضـة العـراق
ســبع وعشــرون شــيوخ رؤســا وستة من نسـل أصـحاب الكسـا
هــم هِبَــة الــدين لأجـل الــدين وحبرنــا الحســين مــن قــزوين[1]

وينقل الدكتور علي الوردي في لمحاته عن الشيخ محمد الخالصي في مذكراته المخطوطة بعض الجوانب من قصة استسلام كربلاء للانكليز، حيث كان الخالصي أحد المطلوبين للانكليز فحاول الخروج ليلاً إلى النجف فلم يفلح فاضطر إلى المضي إلى كربلاء متسترا بظلام الليل، فيقول: «ووردتُ دار السيّد حسين القزويني حفيد صاحب الضوابط وكانت متصلة بصحن الحسين‰، فاختفيت فيها، وبعد أيام هجم الانكليز على تلك الدار وأخذوا حسين وولده، وجاؤوا إليّ ورأوني فلم يعرفوني.. وتركوني في تلك الدار مع طفلة للسيّد حسين لم تتجاوز أربع سنين وخادمتين له لا غير.. وبقيتُ في تلك الدار خمسة وأربعين يوما.. وكان يقلقني في تلك الدار عجوزان كانتا متشاكستين تكثران النزاع، فإذا اشتد بينهما الخصام كانت تهدد كل منهما صاحبتها بأنها تخبر الانكليز بأن صاحبتها أجارتني.. فكنت أصلح بينهما دائما، وهذا كان جلّ عملي تلك المدة.. وبعد خمسة وأربعين يوما ارتفع الحصار عن كربلاء وصار الزوار يذهبون ويجيئون، فخرجت من كربلاء ليلاً مندمجا في زمرة طائفة من أهل يزد إلى الكاظمية.. ولم يعرفني أحد..»[2].

١٤ ـ السيّد محمد حسن القزويني (ت ١٣٨٠ هـ).

هو السّيد حسن بن السيّد أبي المعالي محمد باقر بن السيّد مهدي بن السيّد

---

(١) الوردي ـ علي، المرجع نفسه: ج ٥، ق ٢ / ١٤٦ ـ ١٤٧.

(٢) المرجع نفسه: ج ٥، ق ٢ / ١١٧.

محمد باقر الموسوي القزويني الحائري، عالم جليل، وفقيه بارع، ومصنف ماهر.

ولد يوم عرفة سنة (١٢٩٦ هـ)، ونشأ نشأة حسنة، فأخذ العلم عن بعض الأفاضل والأجلاء بكربلاء، ثمّ تشرف إلى النجف فحضر على شيخنا المولى محمد كاظم الخراساني، وكتب من تقريرات بحثه..، وبعد وفاة الأُستاذ هاجر إلى سامراء فحضر على شيخنا الميرزا محمد تقي الشيرازي واستفاد منه كثيرا.

وله من التصانيف: (شرح اللمعة) مزجا مزج منه مجلد الطهارة. وله (هدي الملة إلى أن فدك من النحلة). وله (الإمامة الكبرى) وله أيضا (البراهين الجلية في رفع تشكيكات الوهابية).

انتقل إلى جوار ربه يوم (٢٦ / رجب / ١٣٨٠ هـ) ودفن في مقبرة السيّد محمد المجاهد[١].

١٥ ـ السيّد محمد علي الطباطباني (ت ١٣٨١ هـ).

هو العالم الفاضل السيّد محمد علي بن السيّد مهدي بن السيّد محمد علي بن ميرزا مهدي بن المير السيّد علي الطباطبائي صاحب الرياض.

ولد في كربلاء سنة (١٣٠٢ هـ) ونشأ في أُسرة (آل الطباطبائي) المعروفة بقدسيتها وعلمها، وأخذ المقدمات من أعلام أسرته..، ثمّ حضر درس الشيخ محمد تقي الشيرازي، والسيّد مرزا هادي الخراساني، وغيرهم من الأساتذة الفضلاء، وله منهم اجازات عديدة.

اشتغل بالقضايا الوطنية..، وساهم بمقدمات الثورة العراقية الكبرى عام (١٩٢٠ م)، حيث نفي إلى سامراء سنة (١٩١٨ م) من قبل السلطة آنذاك، وسافر إلى

---

(١) الطهراني، الكرام البررة: ١ / ٣٨٩، وآل طعمة، تراث كربلاء: ٢٩٩.

هنجام مع أحرار كربلاء في (٢٨ / ايلول / ١٩٢٠ م).

توفي في كربلاء في (١٦ / جمادى الثانية / ١٣٨١ هـ) وجرى له تشييع حافل ودفن في مقبرة السيّد محمد المجاهد[1].

١٦ ـ السيّد ميرزا مهدي الشيرازي (ت ١٣٨٠ هـ).

السيّد مهدي الحسيني الشيرازي الحائري ابن السيّد حبيب اللّه.

ولد في كربلاء سنة (١٣٠٤ هـ) وتوفي فيها في (٢٨ / شعبان / ١٣٨٠ هـ).

تلقى دراسته الأُولى في كربلاء.. ثمّ انتقل إلى سامراء واشتغل بالبحث والدرس والتدريس هناك مدّة طويلة من الزمن، ثمّ سافر إلى الكاظمية وبقي هناك مشتغلاً بالبحث والدرس ما يقرب من سنتين، ثمّ سافر إلى كربلاء وبقي مدّة قصيرة، وانتقل بعدها إلى النجف وبقي هناك ما يقرب من عشرين سنة، ثمّ انتقل إلى كربلاء وبقي فيها إلى حين وفاته.

وأما أساتذته؛ فقد تتلمذ على الشيخ محمد تقي الشيرازي، وآقا رضا الهمداني صاحب مصباح الفقيه، والسيّد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي صاحب العروة الوثقى، والشيخ النائيني والسيّد حسين القمي.

ولقد حضر البحث (الكمباني) للسيّد حسين القمي في كربلاء؛ وكان البحث يضم جمعا من العلماء، كالسيّد محمد هادي الميلاني، والشيخ محمد رضا الاصفهاني، والسيّد زين العابدين الكاشاني، والشيخ يوسف الخراساني وغيرهم، وبعد وفاة السيّد القمي اشتغل بالبحث والتدريس.

---

(١) آل طعمة ـ سلمان، تراث كربلاء: ٣٠٦ ـ ٣٠٧، وللتوسع، أُنظر: علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث: ج ٥، ق ١ / ٢١١.

آثاره ومؤلفاته: له مؤلفات منها، شرح لم يتم على العروة الوثقى، ومنها: رسالات في المباحث الأُصولية، ومنها: رسالة في التجويد، ورسالة حول فقه الرضا، بالاضافة إلى أجوبة وتعليقات أُخرى[1].

وللمترجم له عدّة اجازات في الرواية من العلّامة الميرزا محمد الطهراني صاحب مستدرك بحار الأنوار، والشيخ آغا بزرك الطهراني صاحب الذريعة، والشيخ عباس القمي صاحب مفاتيح الجنان.

كان﵀ فقيها زاهدا وعالما جليلاً تبوأ المكانة المرموقة في علوم الدين والشريعة، واضطلع بمسؤولية التقليد والمرجعية الدينية، وأقام صلاة الجماعة في الصحن الحسيني الشريف.. وقد تقدمت كربلاء في عصره تقدما دينيا وعلميا وثقافيا.. وخسرت كربلاء بموته أحد أعلامها البارزين.

وقد أنجب الفقيد عدّة أولاد هم السادة محمد الشيرازي الذي تولى المرجعية بعد وفاة والده (والمتوفى في مدينة قم ١٤٢٢ هـ) والسّيد حسن الشيرازي (الشهيد على أيدي زمرة البعث عام ١٩٨٣ م) والسيّد صادق الشيرازي، الذي تصدّى للمرجعية بعد وفاة السيّد محمد..[2].

١٧ ـ السيّد محمد هادي الحسيني الميلاني (ت ١٣٩٥ هـ).

انه السّيد (عميد الدين) محمد هادي بن السيّد جعفر بن السيّد أحمد بن السيّد مرتضى بن السيّد علي الأكبر بن السيّد أسد اللّه بن السّيد أبو القاسم بن الشريف الحسين المدني.. وينتهي نسبه الشريف إلى الإمام علي بن الحسين﵉.

---

(١) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ١ / ١٤٦.

(٢) آل طعمة ـ سلمان، تراث كربلاء: ٣٠٠ ـ ٣٠١.

ولد المترجم له في النجف الأشرف في عام (١٣١٣ هـ)، وأكمل فيها دراسته على أكابر علمائها حتى بلغ درجة الاجتهاد بشهادة أساتذته، وعرفه الكل بذلك واعترف له به مشايخه، وهو في العقد الثالث من عمره الشريف.

.. وبقي في النجف الأشرف مستقلاً بالتدريس، فكان له بحث في خارج الفقه والأُصول.. يحضره جمع كبير من فضلاء حوزة النجف الأشرف.. حتى انتقل إلى الحوزة العلمية بكربلاء المقدّسة سنة (١٣٥٦ هـ).

«وكان سبب الهجرة ان انتشرت الحمى في النجف الأشرف وكان السيّد وعقيلته ممّن ابتلي بها، حتى أمره الطبيب بالخروج من النجف الأشرف للراحة والاستجام، وحينئذٍ رجّح السيّد السفر إلى كربلاء، فخرج إليها للغرض المذكور».

غير أ نّه بعد ما عادت إليه صحّته وعافاه اللّه عزّ وجل، طلب منه آية اللّه العظمى حسين القمي (ت ١٣٦٦ هـ) البقاء في هذه الحوزة تقوية لها، وتنشيطا للحركة العلمية بها.. فاستجاب للطلب وشرع بالتدريس في خارج الفقه والأُصول.

لقد بقي السيّد‏ﷺ في كربلاء مدّة (١٨) عاما، وهو المدرس البارز ـ فيها ـ والذي بفضل وجوده بها أغنى الكثيرين من فضلائها من الهجرة إلى النجف الأشرف، حتى كادت حوزة كربلاء تضاهي حوزة النجف في القوة والنشاط والازدهار...

وقد درس‏ﷺ في هذه الحوزة أكثر الأبواب الفقهية بالاضافة إلى الأُصول، ودرس التفسير بالاضافة إلى درس العقائد والكلام وكان بحثه في شرح تجريد الاعتقاد وكان‏ﷺ يقيم صلاة الجماعة في داخل الروضة الحسينية الشريفة»[1].

(١) الميلاني ـ محمد علي، كتاب: علم وجهاد، حياة آية اللّه العظمى الميلاني: ١ / ١٧ ـ ١٨، ٥٣ وما بعدها، و ١ / ١١٤ ـ ١١٦ بتلخيص وتصرف.

استقر آية اللّه الميلاني ﷺ في مدينة مشهد عام (١٣٧٣ هـ) حتى توفي فيها. وسوف يأتينا الحديث عن حركته العلمية والاجتماعية ضمن الحديث عن حوزة مشهد ان شاء اللّه تعالى.

١٨ ـ الشيخ محمد رضا الاصفهاني (ت ١٣٩٣ هـ).

وهو العلّامة والفيلسوف الإسلامي الذي كان بحق مفخرة علمية، فقد اشتهر بغزارة علمه، وسعة اطلاعه، واحاطته بالمدارس الفلسفية الاشراقية وغير الاشراقية.. نال صيتا ذائعا في البلدان الإسلامية، وكان كبار علمائها المسلمين من سائر البلدان يقصدونه في كربلاء لمعرفة آرائه الإسلامية ونظرياته الفلسفية.. وقد أسهم بدوره في اغناء الحوزة العلمية بكربلاء وتربية جيل من العلماء المتفقهين، توفي ودُفن في كربلاء سنة (١٣٩٣ هـ)[١].

١٩ ـ الشيخ محمد الشاهرودي الحائري (ت ١٤٠٩ هـ).

وهو آية اللّه العلّامة المفضال، والعالم المتبحر، والفقيه المحقق، والأُستاذ البارع، حيث تفرغ للتدريس والتحقيق في حوزة كربلاء العلمية، لفترة تناهز نصف قرن، وكانت حلقة دروسه وتقريراته الفقهية والأُصولية من أهم الحلقات التدريسية في حينه.. تخرّج عليه العشرات من الطلّاب.. وكان يقيم الجماعة في صحن الروضة الحسينية لأكثر من ثلاثين عاما، هاجر من كربلاء بحدود (١٣٩٢ هـ)، وقدم إلى إيران واستقر في مدينة طهران. توفي في سنة (١٤٠٩ هـ)، ودفن في روضة الشاه عبد العظيم بمدينة الري[٢].

---

(١) الشاهرودي ـ نور الدين، تاريخ الحركة العلمية في كربلاء: ٦٨.

(٢) المرجع نفسه: ٦٨ ـ ٦٩.

٢٠ ـ السيّد محمد مهدي الحسيني الشيرازي (ت ١٤٢٢ هـ).

هو السيّد محمد بن السيّد مهدي بن السيّد حبيب اللّه الحسيني الشيرازي الحائري، وجدّه السيّد حبيب اللّه ابن أخ المجدد والسيّد محمد حسن الشيرازي المتوفى عام (١٣١٢ هـ).

ولد المترجم له في النجف الأشرف عام (١٣٤٧ هـ)، هاجر به والده إلى كربلاء المقدّسة عام (١٣٥٦ هـ) وله تسع سنين، نشأ في كربلاء نشأة روحية علمية، حتى هاجر إلى دولة الكويت عام (١٩٦٩ م)، وفي عام (١٩٧٩ م) هاجر إلى مدينة قم المقدّسة، واستقر بها حتى وفاته عام (١٤٢٢ هـ) ودُفن في حرم السيّدة فاطمة بنت موسى بن جعفرعليهما السلام قرب قبر أخيه الشهيد حسن الشيرازي. «فهو نجفي الولادة، حائري النشأة، كويتي الهجرة، قمي الاقامة والمرجعية والوفاة والمثوى الأخير»[(١)].

ومما ينبغي أن يذكر في سيرة السيّد محمد الشيرازيرحمه الله أنه تولى المرجعية بعد وفاة والدهرحمه الله عام (١٣٨٠ هـ)، وخلّف والده المرجع في شؤون الفتيا والإمامة[(٢)]. وكان سماحته آنذاك في سن الشباب؛ إذ لم يتجاوز الثالثة والثلاثين من عمره، وقد يقال: «إنّ للسيّد الشيرازي طموحا مبكرا، وسعيا إلى الزعامة منذ شبابه»[(٣)]. وقد يجاب عن هذا الطموح المبكر للمرجعية بحسن نية بأن يقال: «إن الطموح المشروع، هو سبيل أغلب زعماء الأُمة وإلّا تعطّلت القيادة، وتسلمها من ليس أهلاً لها، والسيّد الشيرازي

(١) الصغير ـ محمد حسين، قادة الفكر الديني والسياسي في النجف: ٢١١، طبعة مؤسسة البلاغ ـ بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤٢٩ هـ ـ ٢٠٠٨ م.

(٢) الطهراني، هدية الرازي: ٢١١ ملحق، والشاهرودي ـ نور الدين، الحركة العلمية في كربلاء: ٦٩.

(٣) الصغير ـ محمد حسين، قادة الفكر الديني: ٢٣٦.

أهل لذلك..»[1].

والأمر الآخر الملفت للنظر في مسيرة السيّد الشيرازي العلمية، هي ظاهرة كثرة المؤلفات حيث قدّر بعضهم مؤلفاته بأنها «تجاوزت الألف كتاب»، منها «موسوعته الفقهية التي بلغت مائة وخمسين مجلدا»[2]، بالاضافة إلى الكتابات الأُخرى.

وكل مؤلف من هذه المؤلفات العلمية لها أبحاثها التخصصية العميقة وتحتاج إلى جهد علمي كبير، بالاضافة إلى عامل الزمن التي يستغرقها.

وعلى أي حال، فقد كانت حياة السيّد الشيرازي‏﵀ حياة حافلة بالعطاء العلمي والاجتماعي، بالاضافة إلى جهاده السياسي في مقارعة البعثيين.. وهذه كلها خدمات جليلة تسجل له في سجل عطاءه﵀.

وبالسيّد الشيرازي محمد مهدي﵀ نختتم فهرست أبرز أسماء علماء حوزة كربلاء العلمية؛ في أدوارها الثلاثة.

ومما لا شك فيه أن هنالك اسماءً أُخرى لعلماء لهم دورهم وعطاؤهم في هذه الحوزة المباركة، إلّا أننا لم نعثر على تراجمهم بمقدار ما بحثنا في كتب التراجم والسيرة، أو لم يسع مجال البحث لاستيعابهم جميعا﵏.

---

(١) الصغير ـ محمد حسين، قادة الفكر الديني: ٢٣٦.

(٢) المصدر نفسه: ٢٣٦ ـ ٢٣٧.

الفصل الثالث: من معطيات الحوزة العلمية في كربلاء

لقد كان لحوزة كربلاء معطيات مهمة شملت جوانب متعددة من مسيرتها العلمية، سواءً على مستوى الاقبال عليها من قبل طلّاب العلم والمعرفة؛ إذ نجدها حوزة منفتحة على المناطق الشيعية؛ أو على مستوى تأسيس المدارس وتشييد المعاهد العلمية، إذ نجد كثرة هذه المدارس في تاريخها الطويل.

بالاضافة إلى التطور النوعي في مجال البحوث التخصصية في الفقه والأُصول، حيث نلاحظ العمق والشمول والاستيعاب.

يضاف إلى ذلك معطيات أُخرى تناولت عناوين أُخرى يمكن أن نسجلها كأبحاث في هذا الفصل من تاريخ هذه الحوزة المباركة.

المبحث الأول: الهجرة العلمية إلى حوزة كربلاء، هجرة طلّاب جبل عامل نموذجا

لقد شهدت حوزة كربلاء العلمية ـ وعلى مدى تاريخها الطويل ـ هجرة بعض طلّاب العلم والمعرفة من بلاد الشام ـ جبل عامل ـ إليها، حيث حلّوا فيها واستفادوا من محضر أساتذتها، «وأظن أن أَقدم مؤشر على هذه الهجرة.. كان في القرن الثامن الهجري، أي بعد قرن أو أكثر من بروز النهضة العلمية في جبل عامل، ثمّ أَخذت بالاستمرار إلى حين انتقال الحوزة العلمية من كربلاء إلى النجف على يد العلّامة السيّد مهدي الطباطبائي الملقب ببحر العلوم»[1].

---

(١) الحسيني ـ محمد، الفقه في جنوب لبنان: ١٦٨.

وفيما يلي أسماء بعض العامليين المهاجرين إلى كربلاء ممن تتلمذ على أيدي أساتذتها:

١ ـ الشيخ إبراهيم بن علي الكفعمي (ت ٨٩٥ هـ).

وقد ترجمنا له سابقا ضمن علماء حوزة كربلاء في دورها الأول، حيث هاجر إلى كربلاءَ وسكنها، وتوفي ودُفن فيها على قول بعضهم.

٢ ـ السيّد إسماعيل صدر الدين العاملي (ت ١٣٣٨ هـ).

وهو من أعاظم العلماء، وأكابر المراجع، هاجر والده إلى إصفهان، ثمّ إلى النجف الأشرف، حيث ولد السيّد إسماعيل هناك، وسار على نهج آبائه الأفذاذ في طلب العلم من مظانه، فشد الرحال من أجل ذلك مهاجرا ما بين النجف وسامراء وكربلاء والكاظمين.. وقد ذكرنا ترجمته سابقا.

٣ ـ الشيخ نور الدين علي آل أبي جامع.

له ترجمة في تكملة أمل الآمل، جاء في بعض مقاطعها: «.. هو أبو أُسرة من العلماء، وله التقدم في العلم والفضل، وإنه من أول من هاجر من آل أبي جامع.. وعرف بأبي جامع لأنه بنى جامعا.. ونسبه ينتهي إلى الحارث الهمداني..».

وجاء في ترجمته أيضا: «انه بعد ما جرى على الشهيد الثاني ﷺ، تضعضعت البلاد واضطرب أهلها وشملها الخوف والتقية، خرج الشيخ علي من قرية (جبع) وقيل من (عيناثا)، مع أولاده وعياله خائفا يترقب حتى وصل كربلاء فأقام بها... وكان عالما فاضلاً محدثا نقيا صالحا.. وسكن بها مدة..».

إلّا أن الشيخ علي سرعان ما ترك كربلاء هاربا من العثمانيين إلى (الدورق) ثمّ إلى (الحويزة) حيث سكنها وتوفي بها ونقل إلى النجف، وهو أول من نقل من الحويزة إلى النجف».

وقد ذكر السيّد الصدر في تكملته، والسيّد الأمين في أعيانه قصة هروبه إلى الحويزة وسببها[1].

٤ ـ السيّد محمد بن أبي الحسن العاملي.

وقد ذكرنا ترجمته ضمن العلماء العامليين المهاجرين إلى مكة، حيث هاجر أولاً إلى كربلاء وسكنها فترة من الزمن، فجرى عليه مثل ما جرى على زميله نور الدين علي، حيث يشتركان في سبب هروبهما من أيدي العثمانيين، فيمم وجهه صوب مكة مهاجرا وتوفي فيها، بعد أن يمم صاحبه وجهه صوب الحويزة وتوفي فيها[2].

٥ ـ السيّد صالح العاملي (ت ١٢١٧ هـ).

قال عنه صاحب التكملة: «السيّد الجليل السيّد صالح بن السيّد محمد بن السيّد إبراهيم شرف الدين.. الموسوي العاملي،.. كان يعرف بالسيّد صالح الكبير العاملي المكي، من أعلام العلماء في عصره، انتهت إليه رئاسة الإمامية في بلاد الشام، وكان كثير الاطلاع، غزير الحفظ، واسع الرواية، وله في الطب والرياضيات يد قارعة وقدح معلى.. رباهُ أبوه وقرأ عليه وعلى غيره من علماء عصره في عاملة فمصر فالحجاز فالعراق، وحمل عن فقهاء هذه البلاد ومحدثيها علما كثيرا.. وفي سنة (١١٦٣ هـ) رجع إلى بلاده واستقر فيها مرجعا وملاذا لأهليها.. سكن النجف حتى توفي سنة سبع عشرة ومائتين وألف، ودفن في بعض حجر الجانب الشرقي من حجر الصحن

---

(١) الصدر ـ حسن، تكملة أمل الآمل: ٢٨١ ـ ٢٨٣، والسيّد الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ٨ / ١٦٢ وما بعدها.

(٢) الصدر ـ حسن، تكملة أمل الآمل: ٢٨٢ ـ ٢٨٣ ضمن ترجمة الشيخ نور الدين آل أبي جامع، والسيّد الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ٩ / ٦٢.

الشريف»[1].

والسبب في عودته إلى العراق ثانيا هي المحنة التي تعرّض لها علماء جبل عامل أيام الجزار حيث تعرّض السيّد إلى الحبس في الجب فانقذه اللّه منها.

ويشير السّيد الحسيني إلى أن السيّد صالح قد سكن العراق في سفرته الأُولى مترددا بين النجف وكربلاء[2].

٦ ـ الشيخ محمد حسين الميسي العاملي.

قال عنه معاصره الشيخ الحر العاملي في أمل الآمل:

«وهو الشيخ محمد حسين بن الحسن بن إبراهيم بن علي بن عبد العالي العاملي الميسي، فاضل عالم محقق صالح عابد معاصر، سكن كربلاء إلى الآن»[3].

والشيخ الحر العاملي متوفى سنة (١١٠٤ هـ) وهذا يعني أن الشيخ الميسي من علماء القرن العاشر وبدايات القرن الحادي عشر الهجري.

ويتوسع السيّد الصدر في ترجمة الشيخ الميسي فيقول: «الشيخ محمد حسين.. من أحفاد علي بن عبد العالي الميسي، نزيل الحائر المقدس، فاضل جليل فقيه متبحر، يروي عنه المولى أبو الحسن الشريف العاملي، وله منه اجازة كتبها له سنة (١١٠٠ هـ)، ويروي هو عن الشيخ عبد اللّه بن محمد العاملي، عن الشيخ علي بن الشيخ محمد بن الشيخ حسن بن زين الدين صاحب «الدر المنثور»[4].

٧ ـ الشيخ محمد بن يوسف آل أبي جامع.

---

(١) الصدر ـ حسن، تكملة أمل الآمل: ٢٣٣ ـ ٢٣٤.

(٢) الحسيني ـ محمد، الفقه في جبل عامل: ١٧٠.

(٣) الحر العاملي، أمل الآمل: ١ / ١٥٤.

(٤) الصدر ـ حسن، تكملة أمل الآمل: ٣٧٧.

الشيخ محمد بن يوسف بن جعفر من مشاهير أُسرة محيي الدين أو آل أبي جامع ويعدّ الشيخ محمد من كبار الشعراء إلى جانب كونه فقيها كبيرا في النجف الأشرف، وهو ممن هاجر إلى كربلاء في أول أمره، فإنه قصدها مع زميليه العلّامة السيّد مهدي بحر العلوم والشيخ الأكبر جعفر كاشف الغطاء للتلمذة على علمائها، وكان أبرزهم آنذاك الوحيد البهبهاني»[1].

٨ ـ السيّد حسين بن السيّد أبي الحسن العاملي.

وهو السيّد حسين الشقراني، من أعاظم العلماء العامليين، وهو ممن هاجر إلى العراق وأقام في كربلاء إبّان ازدهارها على عهد الوحيد البهبهاني، وتتلمذ لديه، وحضر بحثه إلى حين وفاته، فانتقل إلى النجف الأشرف..[2].

ويذكر السيّد الصدر في ترجمته: «.. عالم فاضل محقق مدقق، جرت بينه وبين المحقق القمي صاحب القوانين حين قدومه إلى العراق مباحثات في حجية الظن المطلق، وأورد السيّد على المحقق ايرادات لم يجب عن جميعها في مجلس المباحثة، لكنه أدرج الاشكالات مع أجوبتها في مبحث الاجتهاد والتقليد من كتابه القوانين على ما حكاه بعض أجلة أرحام صاحب الترجمة.. ومن راجع الاشكالات علم أن صاحبها من أهل الغور والتحقيق، ولعلّه من تلامذة السيّد بحر العلوم المنكر لحجية الظن المطلق»[3].

٩ ـ السيّد محمد جواد العاملي.

---

(١) الحسيني ـ محمد، الفقه في جبل عامل: ١٧٠ عن الدكتور عبد الرزاق محيي الدين في كتابه: الحالي والعاطل: ١٠٢.

(٢) الحسيني ـ محمد، الفقه في جبل عامل: ١٧١.

(٣) الصدر ـ حسن، تكملة أمل الآمل: ١٧٣.

وهو من أشهر علماء جبل عامل المتأخرين، وصاحب السفر الجليل الخالد (مفتاح الكرامة) نشأ وترعرع في جبل عامل، ثمّ هاجر إلى العراق وكانت زعامة الحوزة يومئذ لمدرسة كربلاء، فأقام فيها وتتلمذ على أُستاذها الوحيد والسيّد صاحب الرياض، ثمّ عاد إلى النجف بعد وفاة أُستاذه الوحيد، وقد تحدثنا عنه ضمن حديثنا عن حوزة النجف الأشرف.

أُولئك هم نخبة من العامليين المهاجرين إلى حوزة كربلاء، وقائمة الأسماء قد تطول لتستوعب كثرة كاثرة من الأسماء اللامعة في دنيا العلم والمعرفة من أبناء عاملة.. نكتفي بهذا القدر روما للاختصار.

المبحث الثاني: أماكن التدريس وأهم المدارس الدينية الحوزوية في كربلاء

توزعت محلّات التدريس في حوزة كربلاء ـ كغيرها من الحوزات ـ على أماكن متعددة، متخذة الطريقة القديمة التقليدية في التدريس والمعروف بنظام الحلقات، حيث يتحلق طلّاب العلوم حول أُستاذهم وهو يلقي عليهم درسه، ولا تزال هذه الطريقة هي السائدة في أغلب الحوزات العلمية.

ومن أماكن التدريس التي يمكن أن نشير إليها في حوزة كربلاء ما يلي:

١ ـ بيوت العلماء:

«التي غالبا ما كانت تضم غرفا كبيرة أُعدت لهذا الغرض»[١]. وتحدثنا تراجم بعض علماء حوزة كربلاء أنهم اتخذوا من بيوتهم مدرسا وكانوا يستقبلون فيها طلابهم

(١) الأنصاري ـ رؤوف محمد علي، المدارس العلمية الإسلامية في كربلاء، منشور ضمن دراسات حول كربلاء: ٦٥٧، طبعة دار الصفوة ـ بيروت، بلا ـ ت.

ومريديهم، فقد جاء في ترجمة السيّد محمد باقر الحجة الطباطبائي المتوفى في كربلاء سنة (١٣٣١ هـ) «فكانت داره الكائنة في سوق التجار الكبير محجا يرتاده العلماء والأُدباء ومنهلاً عذبا يرتوي من نميره أهل الفضل..»[1]. وجاء في ترجمة السيّد ميرهادي الخراساني المتوفى سنة (١٣٦٨ هـ) وهو من علماء كربلاء أيضا ما نصه: «أدركت أواخر أيامه، وكانت داره منتجعا لطلّاب العلم ورواد الفضيلة..»[2]. وهكذا تجد الكثير من هذه البيوت العلمية والتي كانت منارا ومحجة لطلّاب العلم.

يضاف إلى بيوت العلماء ما تعارف بـ (دواوين العلماء) والتي كانت ملتقى للعلماء والأُدباء والشعراء وقد عرف منها: ديوان آل الرشتي، وديوان الميرزا محمد تقي الحائري، وديوان آل الشهرستاني والذي أسسه العلّامة الكبير السيّد ميرزا مهدي الموسوي الشهرستاني، وكان مجلسه مقرا للعلماء والأُدباء ورجال الدين[3].

٢ ـ الروضتان الحسينية والعباسية والجوامع والحسينيات:

لقد شهدت أُروقة الروضتين الحسينية والعباسية بالاضافة إلى الجوامع والزوايا الدينية والحسينيات حضورا مكثفا لطلّاب العلم والمعرفة، واتخذ بعض الأساتذة من غرف وأواوين الحرم الحسيني والعباسي مَدرسا لهم، وملتقى لطلّابهم ومريديهم، واشتهر بعض أُولئك العلماء بهذا الأمر، فقد جاء في ترجمة السيّد نصر اللّه الحائري: «المدرس في الروضة الحسينية المعروف بالمدرس». وكان يعرف «بمدرس الطَّفِّ

---

(١) آل طعمة ـ سلمان، تراث كربلاء: ٢٩٠، والأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ١٣ / ٤٣٨ ـ ٤٣٩.

(٢) المرجع نفسه: ٢٩٤.

(٣) المرجع نفسه: ٣١٩.

تارة، ومدرس الروضة الحسينية تارة أُخرى»[1].

وقال عنه في معارف الرجال: «وكان وجها ساطعا مبرزا في الحائر الحسيني.. له مجلس درس في الحضرة المطهرة للإمام الحسين بن علي(عليه السلام)، يحضره طائفة كبيرة من أفاضل أهل العلم العراقيين والمهاجرين»[2].

وجاء في ترجمة السيّد طعمة علم الدين الحائري، «إنه كان من العلماء المتضلعين في المشهد الحسيني»[3] وأما الشيخ المولى محمد شريف المازندراني الحائري، وهو شيخ العلماء ومربي الفقهاء ويكفي أن يكون من تلامذته السيّد إبراهيم صاحب الضوابط، والشيخ مرتضى الأنصاري وغيرهم.. فقد كان يقوم بالتدريس في الحائر المقدس..»[4].

كذلك في بعض الجوامع والحسينيات والمزارات في كربلاء المقدّسة قد تحولت إلى شبه معاهد دينية، وكان بعض العلماء والفضلاء يلقون فيها دروسهم وأبحاثهم العلمية في الفقه والأُصول والتفسير...

فقد جاء في وصف جامع عمران بن شاهين، وهو من أقدم مساجد كربلاء، «.. إنه كان له شأن كبير في توسيع وانتشار الحركة العلمية والدينية»[5]، بل رجح بعض الباحثين أن يكون هذا الجامع هو الذي تحدّث عنه ابن بطوطة في رحلته أثناء زيارة كربلاء حيث وصفها بقوله: «مدينة صغيرة.. والروضة المقدسة داخلها وعليها مدرسة

---

(١) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ١٠ / ٢١٣، وتراث كربلاء: ٢٥٦.

(٢) حرز الدين ـ محمد، معارف الرجال: ٣ / ١٨٨ ـ ١٨٩.

(٣) آل طعمة، تراث كربلاء: ٢٥٤.

(٤) المرجع نفسه: ٢٦٨.

(٥) المرجع نفسه: ٢١٦.

عظيمة، وزاوية كريمة..»، «فإن المدرسة العظيمة.. ما هي إلّا مسجد ابن شاهين فالنشاط العلمي الذي كان يجري فيه جعل منه مدرسة عظيمة قبل أن يكون مسجدا للعبادة..»[1].

وتوصف حسينية المازندراني بأنها: «حسينية كبيرة جدا تستخدم لأغراض الدرس والمطالعة.. وإنها تشتمل على مدرسة دينية ومسجد ومكتبة ومقبرة»[2].

وقد عرفت مدينة كربلاء بكثرة جوامعها وحسينياتها وسعتها، والتي كان ـ أغلبها ـ قريبة من الحائر الحسيني الشريف، مما يسهل حضور الأساتذة والطلّاب والتواصل بينهم، وإلى جانب الجامع والحسينيات كانت ولا زالت هنالك مراقد ومزارات منتشرة في كربلاء اتخذ بعض منها محلاً للتدريس والتعليم.

يقول أحد المؤرخين لحوزة كربلاء: «حين نزل الإمام الصادقعليه السلام كربلاء المقدّسة، سكن جنوب نهر العلقمي، وكان يلقى دروسه ومحاضراته العلمية على أصحابه وتلامذته في داره على ضفاف نهر العلقمي، وكذلك في أروقة الروضة الحسينية، ثمّ اتخذ شيعته داره المذكورة مقرا للدراسة والتدريس.. والأراضي التي يقع فيها هذا المقام تعرف بشريعة الإمام الصادقعليه السلام أو الجعفريات.. وكان قديما إحدى المعاهد العلمية في ضواحي كربلاء..»[3]. كذلك يتحدث هذا الباحث عن دار ومدرسة للإمام الكاظمعليه السلام في كربلاء من دون أن يذكر لنا المصدر الذي استقى منه معلوماته!

ومهما يكن من أمر، فإن لكربلاء المقدسة الكثير من الجوامع والحسينيات والتكايا

---

(١) الشاهرودي، الحركة العلمية: ٢٩٢.

(٢) المرجع نفسه: ٢٩٧ ـ ٢٩٨.

(٣) الصالحي ـ عبد الحسين، الحوزات العلمية في الأقطار الإسلامية: ٩٩ ـ ١٠٠.

والزوايا والمقامات التي اكتسبت قدسية خاصة عند الناس، بالاضافة إلى مراقد بعض السادة والعلماء وقد اتخذ بعضها مدرسا ومحلاً للتدريس والتعليم.

٣ ـ المدارس والمعاهد الدينية:

تأسست في مدينة كربلاء المقدّسة وضمن نطاق حوزتها العلمية مدارس دينية علمية أخذت على عاتقها وظيفة مزدوجة في أغلب الأحيان، فهي أماكن للتعليم والتدريس، وفي نفس الوقت تستخدم كأقسام داخلية لسكن الطلّاب الوافدين إليها من البلدان الإسلامية الأُخرى.

ولم تختلف هذه المدارس في هندستها المعمارية وطريقة بنائها عن المدارس الإسلامية السابقة لها، إذ كانت تحمل صفات وخصائص معمارية متميزة تتناسب مع الهدف الذي أُنشئت من أجله، من حيث البناء المكشوف، والأروقة المسقوفة والغرف والأواوين.. مما يتناسب مع الطابع الديني لهذه المدارس، وينسجم مع متطلبات الحياة الاجتماعية لطلّاب العلوم الدينية.

وليس لدينا في الواقع إحصائية دقيقة عن عدد المدارس العلمية في حوزة كربلاء، إذ يعتقد بعض الباحثين بأنه: «كانت تنتشر في أرجاء مدينة كربلاء المدارس العلمية الإسلامية، ولكن مع الأسف الشديد أُزيل معظمها في فترات زمنية مختلفة نتيجة فتح شوارع جديدة، خصوصا في المنطقة المحيطة بالروضتين الحسينية والعباسية، وقسم منها تحول إلى الخراب نتيجة الاهمال...»[١].

كذلك ليس لدينا تاريخا محددا لبدايات تأسيس هذه المدارس؛ إلّا أنّ بعض

---

(١) الأنصاري ـ رؤوف، المدارس العلمية في كربلاء، بحث منشور ضمن بحوث ندوة دراسات حول كربلاء ودورها الحضاري: ٦٦٠.

الباحثين حاول أن يحددها بـ «القرن السادس الهجري»[1]، بل أن بحاثا آخر حددها بالقرن الرابع الهجري، وفي بدايات العصر البويهي فقال: «وعند بداية الحكم البويهي في إيران والعراق، تأسست المدارس الإسلامية في عموم المدن التي كانت تحت سيطرتهم، وأول مدرسة اسلامية شيّدت في العراق كانت في كربلاء وهي «المدرسة العضدية» من قبل عضد الدولة البويهي عند زيارته للمدينة سنة (٣٦٩ هـ) وكان موقعها بجانب مسجد رأس الحسين..».

ثمّ يضيف: «بقيت هذه المدرسة إلى فترة العهد الصفوي وكانت تحت رعايتهم وعنايتهم، وبعد زوال الدولة الصفوية آلت إلى الخراب، وفي سنة (١٣٥٤ هـ)، أُزيلت المدرسة لغرض فتح شارع..».

وأضاف أيضا: «كما شيّد عضد الدولة البويهي سنة (٣٧١ هـ) مدرسة أُخرى في مدينة كربلاء بجانب الصحن الصغير.. وقد أُزيلت هذه المدرسة والصحن الصغير كذلك بتاريخ (٢٤ / ١١ / ١٩٤٨)[2] وللأسف الشديد لم يذكر لنا هذا الباحث مصدره الذي استقى منها هذه المعلومات، والتواريخ التي يذكرها لما بين التأسيس والازالة لكلا المدرستين تمتد إلى ما يقارب القرن من الزمن، ومن المستبعد أن يمتد العمر الزمني لهاتين المدرستين إلى هذا الزمان».

يضاف إلى ذلك أن ابن بطوطة في رحلته نوه «بوجود مدرسة عظيمة»، والمدرسة التي أشار إليها هي «جامع ومدرسة ابن شاهين» بحسب رأي بعض الباحثين، فلماذا لم يشر إلى المدرسة «العضدية»؟

---

(١) آل طعمة، تراث كربلاء: ٢٠١، والشاهرودي، الحركة العلمية في كربلاء: ٢٧٧.

(٢) الأنصاري ـ رؤوف، المدارس العلمية في كربلاء: ٦٥٧ ـ ٦٥٨.

ومهما يكن من أمر؛ وبغض النظر عن رأي هذا الباحث؛ فإن المدارس العلمية في كربلاء يرجع عمرها الزمني تحديدا إلى القرن الثاني عشر الهجري، «وإن الدراسة قبله كانت تتم داخل الجوامع والزوايا الدينية وأَروقة الروضة الحسينية المقدسة وحدها.. وان أقدم مدرسة علمية دينية لا زالت آثارها باقية حتى يومنا هذا هي مدرسة «حسن خان» التي يرجع تاريخ بنائها إلى سنة (١١٨٠ هـ)»[1].

وفيما يلي سرد لأسماء أهم وأشهر المدارس العلمية الدينية في حوزة كربلاء، مع شرح موجز لأهم الجوانب المشرقة من تاريخها:

١ ـ مدرسة السردار حسن خان:

يرجع تاريخ تأسيسها إلى سنة (١١٨٠ هـ) وتقع في الزاوية الشمالية الشرقية من صحن الحسين عليه السلام وتخرج منها رعيل من أساطين العلم من أمثال مصلح الشرق جمال الدين الأفغاني، والشيخ شريف العلماء؛ وقد أنفق السردار حسن خان القزويني المبالغ الطائلة في انشائها وتأسيس الأوقاف لها.

وكانت المدرسة واسعة عامرة بأهل العلم، وكانت تحتوي على (٧٠) غرفة، فهي أعظم مؤسسة دينية في كربلاء.. تخرّج منها فحول العلماء قديما وحديثا، بوشر بهدم بنائها في (١٦ / محرم / ١٣٦٨ هـ) وذهبت موقوفاتها ضمن شارع الحائر الحسيني»[2] وبقيت آثارها إلى سنة (١٩٩١ م) حيث أُزيلت بعد هذا التاريخ من قبل السلطة الحاكمة آنذاك[3].

---

(١) الشاهرودي ـ نور الدين، الحركة العلمية في كربلاء: ٢٧٧ ـ ٢٧٨.

(٢) آل طعمة، تراث كربلاء: ٢٠٢.

(٣) الأنصاري ـ رؤوف، المدارس العلمية في كربلاء: ٦٦١.

٢ ـ مدرسة السيّد المجاهد:

«تشير وثيقة الوقف لهذه المدرسة إلى أنها بُنيت وأنشئت بحدود سنة (١٢٧٠ هـ) وكانت تقع في سوق التجار الكبير بالقرب من مرقد السيّد محمد المجاهد الطباطبائي.. وكانت في حينها مأهولة بروّاد العلم ورجال الدين والفكر الإسلامي، وتخرج منها عدد كبير من أجلّاء العلماء وأفاضل الفقهاء، أمثال السيّد محمد باقر الطباطبائي، والسيّد محمد علي الطباطبائي، والسيّد مرتضى الطباطبائي.. ومن أشهر أساتذتها لوقت قريب، العلّامة الشيخ محمد علي سيبويه، والشيخ عباس الحائري»[(١)] وأُزيلت هذه المدرسة سنة (١٩٨٠م) نتيجة فتح شارع المشاة الذي يربط بين الروضتين[(٢)].

٣ ـ مدرسة صدر الأعاظم النوري:

كانت هذه المدرسة من أهم المدارس العلمية الدينية في كربلاء، وتقع غرب صحن الروضة الحسينية قام بانشائها الشيخ عبد الحسين الطهراني (ت ١٢٨٦ هـ)، من ثلث الارث المتبقي من الأمير الإيراني الميرزا تقي خان «صدر اعظم» المقتول سنة (١٢٦٨ هـ).

لقد كان لهذه المدرسة دور كبير في الحركة العلمية بكربلاء، وتخرج من أَروقتها جيل من جهابذة العلم والفكر. ومن أشهر أساتذتها آنذاك العالم الفقيه المتبحر الشيخ أبو القاسم الخوئي (ت ١٣٦٤ هـ) والعالم الشاعر السيّد عبد الوهاب (ت ١٣٢٢ هـ).

كانت تولية المدرسة في النصف الأول من القرن الرابع [عشر] الهجري بيد العالم

(١) الشاهرودي ـ نور الدين، تاريخ الحركة العلمية في كربلاء: ٢٧٩.

(٢) الأنصاري ـ رؤوف، المدارس العلمية في كربلاء: ٦٦١.

والمجاهد الإسلامي الكبير الشيخ محمد تقي الحائري الشيرازي (ت ١٣٣٨ هـ)، وانتقلت بعد وفاته إلى نجله العلّامة الشيخ عبد الحسين الشيرازي (ت ١٣٨١ هـ).

وقد أُزيلت هذه المدرسة نتيجة لفتح شارع الحائر الدائري المحيط بالروضة الحسينية[1].

٤ ـ المدرسة الزينبية:

سميت بهذه التسمية نسبة لموقعها عند باب الزينبية للصحن الحسيني من جهة الغرب، وكانت آهلة بطلّاب العلم، إلّا أنها هدمت نتيجة فتح الشارع المحيط بالروضة الحسينية سنة (١٣٦٨ هـ). ومن الذين قاموا بالتدريس فيها الشاعر جعفر الهر (ت ١٣٤٧ هـ) وتلميذه الشيخ محمد الخطيب (ت ١٣٨٠ هـ).

كانت تولية المدرسة قبل هدمها بيد الشيخ عبد الحسين الطهراني، ومن قبله بيد والده المرجع الشيخ محمد تقي الشيرازي‏[2].

٥ ـ المدرسة الهندية الكبرى:

وهي من أشهر المعاهد العلمية الدينية اليوم، موقعها في زقاق الزعفراني بالقرب من المشهد الحسيني، تمّ تأسيسها في أواخر القرن الثالث عشر الهجري، كما تنص بذلك الوقفية الخاصة بها، وهي ذات طابقين وتحتوي على (٢٢) غرفة. يدرس فيها مختلف العلوم كالفقه والأُصول والحديث والتفسير، وما إلى ذلك.

وكانت هذه المدرسة إلى جانب ما فيها من التدريس لها نشاطات ثقافية وفكرية

---

(١) الشاهرودي، المرجع نفسه: ٢٧٩ ـ ٢٨٠، الأنصاري، المرجع نفسه: ٦٦١، آل طعمة، المرجع نفسه: ٢٠٣.

(٢) آل طعمة، المرجع نفسه: ٢٠٣، والشاهرودي، المرجع نفسه: ٢٨٠، والأنصاري، المرجع نفسه: ٦٦١.

أُخرى منها:

أولاً: تأسست فيها مكتبة عامة تعرف باسم (المكتبة الجعفرية)، تأسست سنة (١٣٧٢ هـ) وتحتوي على ما يقرب من (أربعة آلاف) كتاب بين مخطوط ومطبوع.

ثانيا: كانت تصدر عنها النشرات والكراسات الدينية الأُسبوعية الدورية، ومن أهمها مجلة (أجوبة المسائل الدينية) التي بدأت بالصدور والنشر سنة (١٣٧١ هـ) وظلت تصدر بانتظام لسنوات عديدة متواصلة، قبل أن تتوقف عن الصدور نهائيا.

ثالثا: تأسس في هذه المدرسة سنة (١٣٨٠ هـ) «مكتب رابطة النشر الإسلامي» لغرض طبع ونشر الكتب والكراسات الدينية التوعوية، وتوزيعها بالمجان بين المسلمين القاطنين في الدول الإسلامية النائية.. وقد أشرف على شؤونه في حينه الخطيب السّيد محمد كاظم القزويني الحائريﷺ.

وقد تخرّج من هذه المدرسة عدّة أجيال من العلماء والفقهاء والمبلغين الإسلاميين. ومن أشهر أساتذتها حتى أواخر القرن الرابع عشر الهجري، الشيخ جعفر الرشتي، والسيّد محمد صادق القزويني، والسيّد محمد الشيرازي، والسيّد أسد اللّه الإصفهاني (ت ١٣٩٤ هـ) والسيّد عبد الرضا الشهرستاني، والسيّد مصطفى الاعتماد البهبهاني، والشيخ محمد تقي الإصفهاني، والشيخ مهدي الرشتي شقيق الشيخ جعفر الرشتي الذي كان متوليا لهذه المدرسة حتى تاريخ وفاته..، وتشير وثيقة وقف المدرسة إلى أنها تأسست خصيصا لتكون واحدة من أهم وأكبر المدارس الدينية العلمية في كربلاء قبل قرن ونصف قرن تقريبا[١].

(١) آل طعمة، تراث كربلاء: ٢٠٣ ـ ٢٠٤، الشاهرودي، تاريخ الحركة العلمية في كربلاء: ٢٨١ ـ ٢٨٢.

٦ ـ المدرسة الهندية الصغرى:

تقع هذه المدرسة في أحد الأزقة التي تنفذ من سوق التجار إلى شارع الإمام عليعليه السلام، تأسست سنة (١٣٠٠ هـ)، أوقفتها امرأة صالحة تعرف بـ (تاج محل) الهندية، على العلّامة السيّد علي نقي الطباطبائي، كما تنص بذلك الوقفية الخاصة بها. وتحتوي المدرسة على (٧) غرف، يسكنها أهل العلم من الأفغان والهنود. ومن أساتذتها السيّد محمد حسين الكشميري، والسيّد مرتضى الطباطبائي، والسيّد مرتضى الواجدي[١].

٧ ـ مدرسة البادكوبة (الترك):

وهي من مدارس كربلاء الشهيرة، تأسست سنة (١٢٧٠ هـ) كما تنص بذلك الوقفية الخاصة بها، موقعها في زقاق الداماد، وهي آهلة بحملة العلم ورجال الدين، وفيها (٣٠) غرفة، وفي المدرسة مكتبة عامرة بالكتب القيمة. ومن الآثار الفكرية التي صدرت عن المدرسة المذكورة سلسلة (منابع الثقافة الإسلامية) حيث تصدر كتابا شهريا لكل مؤلف.

وقد تخرج من هذه المدرسة العديد من العلماء والفضلاء والخطباء، وكان يتولى مهمة التدريس فيها لفترة طويلة تناهز جيلاً كاملاً، الشيخ محمد الشاهرودي (ت ١٤٠٩ هـ) والشيخ محمد الكلباسي (ت ١٤٠٤ هـ)[٢]، وقد هدمت المدرسة مؤخرا لتنفيذ شارع ما بين الحرمين في كربلاء[٣].

---

(١) آل طعمة، المرجع نفسه: ٢٠٥، والشاهرودي، المرجع نفسه: ٢٨٤، والأنصاري، المرجع نفسه: ٦٦٣.

(٢) المرجع نفسه: ٢٠٤، والشاهرودي، المرجع نفسه: ٢٨٢.

(٣) هدو ـ حميد مجيد، السيّد الحيدري: ١ / ١٧ ـ ١٨.

٨ ـ مدرسة مرزا كريم الشيرازي:

وهي مدرسة واسعة ذات ساحة فسيحة، وفيها مصلى كبير. تأسست سنة (١٢٨٧ هـ)، وتمّ تعمير المصلى بسعي السيّد الموسوي مرزا علي محمد الشيرازي في رجب سنة (١٣٠٨ هـ) كما تنص الكتيبة في داخله، موقعها في محلة العباسية الشرقية وتشتمل على طابق واحد. ومن مدرسيها الخطيب الشيخ عبد الزهراء الكعبي، والشيخ محمد علي الخليق[1].

٩ ـ مدرسة البقعة:

تأسست في منتصف القرن الثالث عشر الهجري، ـ ولا نعلم من مؤسسها ـ وموقعها في شارع الإمام علي عليه السلام، مجاورة لمرقد السيّد محمد المجاهد الطباطبائي، وهي ذات طابقين، وفيها (٢٠) غرفة. تخرج منها لفيف من العلماء كالسيد محسن الكشميري، والسيّد مرتضى الطباطبائي، والشيخ عبد الرحيم القمي. ومن الآثار الفكرية التي صدرت عن هذه المدرسة مجلة دينية باسم (صوت المبلغين) وقد أُزيلت هذه المدرسة سنة (١٩٨٠ م)[2].

١٠ ـ مدرسة السليمية:

أسسها الحاج محمد سليم خان الشيرازي سنة (١٢٥٠ هـ)، وجددها المرجع الديني السيّد مهدي الشيرازي سنة (١٣٧٠ هـ)، وموقعها في زقاق جامع المرزا علي نقي الطباطبائي، وهي تشتمل على طابقين، وتحتوي على (١٣) غرفة وصالة للتدريس، ولم يكتف مؤسسها ببناء المدرسة فحسب، بل خصص رواتب شهرية

---

(١) آل طعمة: ٢٠٤، والشاهرودي: ٢٨٢.

(٢) المرجع نفسه: ٢٠٤، والأنصاري: ٦٦٢.

للطلبة الذين يواصلون دراستهم فيها، وكانت النفقات تصرف بتوسط العلّامة السيّد حسن آغا مير القزويني، ومن أشهر أساتذتها الشيخ يوسف الخراساني، والسيّد محمد علي البحراني، والسيّد حسن الشيرازي ومن الآثار التي صدرت عن هذه المدرسة مجلة (الأخلاق والآداب) ومجلة (ذكريات المعصومين)[1].

١١ـ مدرسة المهدية:

شيدها الشيخ مهدي بن الشيخ علي بن الشيخ جعفر كاشف الغطاء سنة (١٢٨٤ هـ)، كما شيّد مدرسة أخرى في النجف، وموقعها في الزقاق المجاور لديوان السادة آل الرشتي، وهي ذات طابقين، يسكنها طلبة العلم، ومن أساتذتها الشيخ عبد الحسين الدارمي، والشيخ علي العيثان البحراني، والشيخ عبد الحميد الساعدي، والشيخ محمد شمس الدين، والشيخ حسين البيضاني[2].

١٢ـ مدرسة ابن فهد الحلي:

موقعها في شارع الحسين الممتد من باب القبلة، وفيها مزار العالم العارف الشيخ أحمد بن فهد الحلي الأسدي (ت ٨٤١ هـ). وللمدرسة مسجد يصلى فيه، وفيها مساحة واسعة ذات طابقين، وتحتوي على (٤٠) غرفة، يسكنها طلّاب العلم. كان التجديد الأول لهذا البناء سنة (١٣٥٨ هـ)، وأما التجديد الثاني للمدرسة فقد تم على نفقة جمع من المؤمنين من بينهم المرجع الديني الأكبر السّيد محسن الحكيم وذلك سنة (١٣٨٤ هـ)، وقد حوت المدرسة مكتبة عامة باسم (مكتبة الرسول الأعظم)[3].

---

(١) آل طعمة: ٢٠٥، والشاهرودي: ٢٨٣، والأنصاري: ٦٦٢ ـ ٦٦٣.

(٢)المرجع نفسه: ٢٠٥، والشاهرودي: ٢٨٣ ـ ٢٨٤، والأنصاري: ٦٦٣.

(٣) المرجع نفسه: ٢٠٥، والشاهرودي: ٢٨٥، والأنصاري: ٦٦٣ ـ ٦٦٤.

١٣ ـ مدرسة شريف العلماء:

وهي احدى المدارس الدينية المعروفة، موقعها في زقاق (كذا علي) المتفرع من شارع الحسين، وإلى جانب المدرسة يقع مرقد العلّامة الشيخ شريف العلماء المازندراني الحائري (ت ١٢٤٥ هـ). والمدرسة ذات طابقين، وتحتوي على (٢٢) غرفة، يسكنها طلّاب العلوم الدينية، بينهم عدد من الطلّاب الأجانب، قام بتأسيسها فقيه العصر السيّد محسن الطباطبائي الحكيم وجعلها وقفا على طلّاب العلوم الدينية في كربلاء والنجف الأشرف سنة (١٣٨٤ هـ)[١].

١٤ ـ مدرسة البروجردي:

انشأها المرجع الديني الأكبر السّيد حسين الطباطبائي البروجردي سنة (١٣٨١ هـ) وقد أنفق على تشييدها مبالغ باهضة،.. فجاءت بنايتها في غاية الابداع في طرازها الهندسي، وفنها المعماري، وهي ذات طابقين، وتحتوي على (٢٠) غرفة يسكنها بعض أهل العلم، وقيل في تاريخ تشييدها:

زعامـة الحسـين لـم تنصـرم عنـا بـرغم المـوت أيامهـا

قـد أعلـن التـاريخ (فـي هـدمها زفـت بنصـر اللّـه أعلامهـا)[٢]

١٣٨١ هـ

١٥ ـ مدرسة الإمام الباقر عليه السلام:

أسسها السّيد عماد الدين بن السيّد محمد طاهر البحراني سنة (١٣٨١ هـ)، موقعها في محلة باب الخان، قرب الفسحة، وتحتوي على عدة غرف يسكنها طلبة العلم،

---

(١) آل طعمة: ٢٠٦، الشاهرودي: ٢٨٤، والأنصاري: ٦٦٤.

(٢) المرجع نفسه: ٢٠٦، والشاهرودي: ٢٨٥، والأنصاري: ٦٦٤.

وأنشئت فيها مكتبة عامة، ومن نشاطات المدرسة إقامة الحفلات في المناسبات الدينية، وإصدار بعض الكتب الخاصة بالتعليم الديني.

وكانت هذه المدرسة من قبل حسينية خاصة بالزائرين القادمين من مدينة الكاظمية في المواسم والمناسبات الدينية، ثمّ تولى إدارتها السيّد عماد الدين فحوَّلها إلى مدرسة[١].

١٦ـ المدرسة الحسنية:

«أنشأها الكسبة والتجار الكربلائيون سنة (١٣٨٨ هـ)، وتقع على بعد ٣٠ مترا شمال الروضة العباسية، ومساحتها (٤٠٠) مترٍ، وفيها (٢٨) غرفة يسكنها أهل العلم، وأهم ما يدرس فيها الفقه والأُصول والنحو والمنطق والتفسير والأخلاق، وتقام فيها الشعائر الدينية والاحتفالات...».

وقال بعضهم: إنَّ هذه المدرسة أُقيمت بسعي الخطيب الشيخ حسن النائيني، ومن تبرعات المواطنين الكويتيين، وهدمت هذه المدرسة في السنوات الأخيرة[٢].

١٧ ـ مدرسة الخطيب:

أسسها الشيخ محمد بن داود الخطيب سنة (١٣٥٧ هـ)، ومقرها في محلة المخيم، وفترة الدراسة المقررة فيها خمس سنوات، يتلقى الطلّاب في صفوفها علوم العربية والعلوم الدينية، غير أنها مدرسة شبه رسمية[٣].

١٨ ـ مدرسة الإمام الصادقعليه السلام:

أسست بجهود نخبة من علماء كربلاء، ومقرها في شارع الحسين بمحلة العباسية

---

(١) آل طعمة: ٢٠٧، والشاهرودي: ٢٨٦، والأنصاري: ٦٦٤.

(٢) المرجع نفسه: ٢٠٧، والشاهرودي: ٢٨٦، والأنصاري: ٦٦٥.

(٣) المرجع نفسه: ٢٠٨، والشاهرودي: ٢٨٦، والأنصاري: ٦٦٥.

الغربية، وفترة الدراسة المقررة فيها ست سنوات، وعيّن لها السيّد مرتضى القزويني مديرا، ثمّ تولاها السيّد محمد بن السيّد مرتضى الطباطبائي[1].

هذه هي أهم المدارس القديمة في حوزة كربلاء العلمية، وهنالك مدارس دينية قديمة أُخرى بيد أنها رسمية أو شبه رسمية، ولها تاريخ قديم يمتد ببعضها إلى أكثر من قرن من الزمن[2].

وبعد سقوط النظام البعثي، عادت الحياة العلمية إلى حوزة كربلاء المقدسة، بعد أن عاد إليها بعض أعلام مدرستها العلمية من آل الحائري، والقزويني، والشيرازي، وافتتحت بعض المدارس الدينية فيها.. إلّا أنها لم ترقَ إلى المستوى المطلوب ولم يقبل عليها طلّاب العلوم الدينية من أبناء كربلاء، أو المدن المجاورة لها، لأسباب محددة لا مجال لذكرها. ولهذا توجه أُولئك الطلّاب صوب النجف الأشرف.

كذلك لم ترق بحوث الدراسات العليا (البحث الخارج) إلى المستوى الذي يعيد لهذه الحوزة مجدها التليد، إذ لم يظهر من علمائها من يشد إليه الرحال من الأقطار الأُخرى، بل وجدنا بعض فضلاء كربلاء قد يمم وجهه صوب الحوزة العلمية في النجف، وبدأ بالتدريس هناك، ولهذه الظاهرة أسبابها أيضا.

المبحث الثالث: خصائص التراث العلمي لحوزة كربلاء

لقد خلفت لنا حوزة كربلاء تراثا علميا كبيرا، وصلنا الكثير منه جيلاً بعد جيل، واستفدنا من معينه الثر، فكان هذا التراث ـ وبحق ـ حلقة الوصل (الذهبية) بين التراث الماضي لحوزة الحلة وما سبقها، والتراث اللاحق لحوزة النجف الأشرف في دورها

(١) المرجع نفسه: ٢٠٨، والشاهرودي: ٢٨٦، والأنصاري: ٦٦٥.

(٢) أُنظر، المرجع نفسه: ٢٠٩ وما بعدها.

المزدهر والمتكامل على أيدي النابغين من خريجي حوزة كربلاء.

وقبل أن نستعرض أبرز النماذج المهمة لهذا التراث العلمي، لابد من الاشارة إلى بعض الخصوصيات التي اتسم بها النتاج العلمي لعلماء حوزة كربلاء، والذي يمكن تلخيصه بما يلي:

أولاً: السعة والشمول والاحاطة:

فقد حاول بعض علماء هذه الحوزة المباركة التوسع في المباحث العلمية، في محاولة لاستيعاب الجزئيات المتعلقة بها، وهذا ما نجده واضحا في علمي الفقه والأحكام الشرعية، وكذلك نجد الأمر أكثر وضوحا في مجال أُصول الفقه.

ثانيا: الدقة العقلية والعمق العلمي:

وهذا ما نلمسه بوضوح في نتاج مدرسة الوحيد البهبهاني الأُصولي والفقهي، وقد يكون في المجال الأول أوضح، إذ نجد الدقة العقلية والعمق العلمي متجلية في أبحاثه الأُصولية والفقهية، وقد اكتسب هذه الصفة العلمية تلامذته وتلامذة تلامذته إذ نجد التراث الأُصولي بعد فترة الشيخ الوحيد يتسم بهذه الصفة.

ثالثا: الاستجابة لمتطلبات العصر:

إذ كان علماء هذه الحوزة المباركة ـ في الغالب ـ من المتبصرين بمتطلبات الزمان، وكانوا يواكبون متطلبات عصرهم؛ وما كان يثار فيه من اشكالات علمية أو عقائدية، فكانوا يجيبون عنها ويردّون الشبهات المثارة حولها، كما هو الحال في ردودهم على شبهات المدرسة الاخبارية، أو ما أثارته المدرسة الرشتية الكشفية، وغيرها من الأُمور.

وفيما يلي استعراض موجز لأهم ما وصلنا من تراث علمي لحوزة كربلاء العلمية، وما تميز به هذا التراث من خصائص علمية.

أولاً: الفقه والأحكام الشرعية:

وفي هذا الحقل العلمي وصلتنا كتب وأبحاث؛ بل وموسوعات فقهية تمثل قمة العطاء الفقهي في مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

وفيما يلي استعراض موجز لنماذج من هذا التراث الفقهي:

١ ـ كتاب المهذب البارع في شرح المختصر النافع:

ومؤلفه هو أبو العباس أحمد بن فهد الأسدي الحلي (ت ٨٤١ هـ). وهو ينسب إلى حوزة الحلة ومدرستها العلمية باعتباره حلي المولد والمنشأ، وينسب إلى حوزة كربلاء باعتباره من المهاجرين إليها والمتوفين والمدفونين فيها.

وقد وصف المنهج الفقهي لابن فهد بأنه: «جمع بين المعقول والمنقول، والفروع والأُصول.. بأحسن ما كان يجمع ويكمل»(١)، وله آثار فقهية متميزة من أهمها كتابه (المهذب البارع) والذي هو شرح لكتاب (المختصر النافع) للمحقق الحلي، ويعدّ هذا الكتاب من كتب المراجع في الفقه الاستدلالي عند الشيعة الإمامية، ونقل عنه الكثيرون ممن جاؤوا بعد مؤلفه(٢).

يقول الشيخ الطهراني عن كتاب (المهذب): «أورد في كل مسألة أقوال الأصحاب وأدلة كل قول، وبين الخلاف في كل مسألة خلافية. وعين المخالف وإن كان نادرا متروكا، وأشار إلى وجه التردد من المصنف لدليل القدح في خاطره، قال فيه: «.. سميته بـ (المهذب البارع في شرح المختصر النافع)، وإن شئت فسمه: «جامع

---

(١) الخوانساري، روضات الجنات: ١ / ١٦٦.

(٢) الفضلي، تاريخ التشريع: ٣٧٩.

الدقائق وكاشف الحقائق، لأنه لا يمر بمسألة إلّا جلاها غاية الجلاء..»[1].

كما أن لابن فهد نتاجا فقهيا آخر تمثل في شرح الارشاد (ارشاد الأذهان) للعلامة الحلي، وهو أيضا من المراجع في الفقه الإمامي الاستدلالي بالاضافة إلى كتابه الفقهي الموسوم بـ (الموجز الحاوي) والذي يعد من المتون الفقهية المراجع.

٢ ـ كتاب «الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة».

وهو للشيخ يوسف بن أحمد الدرازي البحراني، وهو من أكابر العلماء المهاجرين إلى كربلاء والمتوفين والمدفونين فيها سنة (١١٨٦ هـ).

وكتاب «الحدائق» من أهم ما وصلنا من تراث كربلاء الفقهي، وهو كتاب شهير، ومن عيون الكتب الفقهية الإمامية، وناهيك به شهرة أن صار مُعرِّفا لمؤلفه الشهير، فلم يكد شيخنا المحدث البحراني يعرف ثمّ يعرّف، ولا يذكر ويميز إلّا بقولهم عنه «صاحب الحدائق»[2].

وكتاب الحدائق من الكتب الفقهية الاستدلالية المرجعية المهمة، وقد سلك فيه مؤلفه البحراني مسلك المدرسة الاخبارية في الاستدلال، وتميز بمنهج علمي سار عليه في فصول وأبواب كتابه (الحدائق) وقد تحدثنا عن الخطوط العامة لمنهجه في مكان آخر؛ فليراجع هناك[3].

٣ ـ كتاب «مصابيح الظلام في شرح مفاتيح شرايع الاسلام».

وهو للأُستاذ الأكبر الوحيد البهبهاني (ت ١٢٠٦ هـ)، وهو شرح استدلالي على كتاب المحقق المولى محسن الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١ هـ) والذي اختصره من

---

(١) الطهراني، الذريعة: ٢٣ / ١٧٩ ـ ١٨٠.

(٢) الحدائق الناضرة، المقدمة: ١ / ط.

(٣) للتوسع، أُنظر كتابنا: تطور حركة الاجتهاد عند الشيعة الإمامية، الفصل العاشر.

كتابه (معتصم الشيعة) والمتأخرون تلقوه بالقبول وكتبوا عليه الحواشي والشروح، ويعتبر شرح الوحيد من أهم هذه الشروح وأعمقها، «خرج منه كتاب الطهارة والصلاة والصوم والزكاة والخمس، وهو غير حاشيته على المفاتيح..، بل الشرح هذا كبير ينقل عنه جميع تلاميذه ومن تأخر عنه، وكلما يطلق في كتبهم شرح المفاتيح فهو هذا الشرح..»[1].

وخلف الشيخ الوحيد البهبهاني تراثا علميا تمثل في كتب وأبحاث ورسائل وحواشي بلغت ما يقرب من ستين كتابا، من أهمِّها كتابه هذا (المصابيح).

٤ ـ كتاب: «رياض المسائل في تحقيق الأحكام بالدلائل».

وهو من تأليف السيّد علي الطباطبائي (ت ١٢٣١)، وهو شرح لكتاب (المختصر النافع) للمحقق الحلي، وصفه الشيخ الطهراني بقوله: «شرح مزجي دقيق متين، متداول بين الفضلاء، وقيل إنه ملخص (المهذب البارع) و (الروضة البهية) و (الحدائق الناضرة)، وقيل: بل الأخيرين و (كشف اللثام) و (شرح المفاتيح) للوحيد البهبهاني»[2].

والسيّد علي الطباطباني ابن أُخت العلّامة الوحيد، وصهره على ابنته، كما «انه كان يحضر درس صاحب «الحدائق» ليلاً ـ سرا ـ لغاية اعتماده على فضله ومنزلته العلمية، وحذرا من اطلاع خاله العلامة ـ الوحيد ـ عليه، وإنه كتب جميع مجلدات «الحدائق» بخطه الشريف»[3].

٥ ـ كتاب «كشف الغطاء عن خفيات مبهمات الشريعة الغراء».

---

(١) الطهراني، الذريعة: ١٤ / ٤٧ و ٢١ / ٦٠.

(٢) الطهراني، الذريعة: ١١ / ٢٤٠.

(٣) الخوانساري، روضات الجنات: ٤ / ٤٠٣.

وهو للشيخ جعفر الكبير (كاشف الغطاء) المتوفى عام (١٢٢٨ هـ) ويعتبر الشيخ جعفر من أبرز تلامذة الوحيد في حوزة كربلاء، وبجهوده وجهود السّيد مهدي بحر العلوم وغيرهم من تلامذة الوحيد نهضت حوزة النجف الأشرف في دورها الثالث.

وكذلك يعتبر كتابه (كشف الغطاء) ـ الذي اشتهر مؤلفه به ـ من أهم الكتب الفقهية التي ورثناها من علماء حوزة كربلاء، حيث أودع مؤلفه فيه أهم القواعد والأُسس العلمية لعملية الاستنباط الفقهي، حتى نقل عن الشيخ الأنصاري قوله: «إن من يفهم باتقان القواعد الأُصولية التي ذكرها الشيخ جعفر في أول كتابه «كشف الغطاء» فهو عندي مجتهد»[1].

٦ ـ كتاب «مفتاح الكرامة في شرح قواعد العلّامة».

وهو شرح مبسوط لكتاب (قواعد الاحكام) للعلّامة الحلي، ألّفه أحد المبرزين من تلامذة الشيخ الوحيد، والشيخ جعفر كاشف الغطاء وهو السيّد محمد جواد الحسيني العاملي، المتوفى بالنجف أواخر سنة (١٢٢٦ هـ)، «وهو كتاب جليل.. فالجواهر بمفتاح كرامته استخرجت، والهداية بمصباح رعايته استضاءت، بل سائر الكتب المبسوطة في الأحكام التقطت من أرقام صحائفه الكرام»[2].

ولا نريد ان نسترسل كثيرا بذكر النتاج الفقهي الموسوعي لحوزة كربلاء العلمية، فهناك الكثير من الكتب التي يمكن أن نذكرها في هذا المجال، وقد أشرنا إلى بعضها في ثنايا ترجمة بعض أعلام كربلاء.

---

(١) جناتي ـ محمد إبراهيم، ادوار الاجتهاد: ٢٩٦ بالفارسية.

(٢) الطهراني، الذريعة: ٢١ / ٢٢٠.

ثانيا: في مجال أُصول الفقه:

لقد ظهرت في حوزة كربلاء ابتكارات أُصولية جديدة على يد الشيخ الوحيد البهبهاني، وسار على منهجيتها تلامذته واتباع مدرسته العلمية في كتبهم الأُصولية والفقهية.

كذلك ظهرت في هذه الفترة كتب أُصولية بمنهجية جديدة مبتكرة نلاحظ من خلالها أن جملة من المباحث والعناوين الأُصولية التي تبنّتها المدرسة السنية، والتي احتوتها كتب علم أُصول فقه الشيعة، ولم يكن لها أي تأثير في عملية الاستنباط لدى الشيعة، قد حذفت تدريجيا من هذه الكتب الأُصولية الجديدة، من قبيل بحث القياس الأُصولي، والاستحسان، والمصالح المرسلة، وسد وفتح الذرائع، والاستقراء»[1].

وهنالك الكثير من الابتكارات الأُصولية لدى علماء حوزة كربلاء، دونتها المؤلفات الأُصولية التي تنتسب لهذه الفترة، من قبيل مسألة حجية القطع الحاصل من مقدّمات عقلية، وقضية تقديم الدليل العقلي القطعي على الدليل النقلي عند التعارض بينهما، واجراء أصل البراءة في الشبهات الحكمية التحريمية، والتفريق العلمي الدقيق بين الأمارات والأُصول العملية.. إلى غير ذلك الكثير من الأفكار والابتكارات الأُصولية التي حوتها أبحاث كتبهم الأُصولية.

وفيما يلي نماذج لأهم كتب علم أُصول الفقه والتي أ لّفها علماء حوزة كربلاء:

١ ـ الفوائد الحائرية الأُصولية (العتيقة والجديدة).

تحت هذا العنوان كتب الأُستاذ الأكبر الوحيد البهبهاني فوائد في علم أُصول الفقه وتضمنت أبحاثا عن الأحكام الشرعية وكونها توقيفية، والأمارات الفقهية وعظم

---

(١) كرجي ـ أبو القاسم، تاريخ الفقه والفقهاء: ٢٥٢ بالفارسية.

خطرها، وهكذا حتى ينتهي إلى الفائدة السادسة والثلاثين في شرائط الاجتهاد.. وعرفت بالفوائد الأُصولية الأُولى العتيقة القديمة وفرغ منها في عام (١١٨٠ هـ).

وله أيضا «الفوائد الحائرية الأُصولية الجديدة» ويقال له (الملحقات) وهو أيضا يتناول بعض الأبحاث الأُصولية من قبيل جزئية شيءٍ لواجب، وإن الأصل في الجزء الركنية.. طبعت هذه الفوائد بطبعات مختلفة ولها نسخ متعددة[1].

وللشيخ الوحيد البهبهاني كتب ومؤلفات وحواشي أُخرى في هذا الجانب، طرح فيها أفكارا أُصولية مبتكرة، وكرّس البعض منها في ردّ الشبهات المثارة ضد المدرسة الأُصولية، ودحض شبهات الاخباريين ونظرياتهم.

٢ ـ الفوائد الأُصولية:

وهي للسيّد محمد مهدي بحر العلوم (ت ١٢١٢ هـ) أحد أبرز تلامذة الشيخ الوحيد البهبهاني، يصف الشيخ الطهراني هذه الفوائد بقوله: «أوله: [فائدة: قد جرت عادة الأُصوليين بتعريف أُصول الفقه بكلا معنييه الاضافي والعلمي]، فيه خمس وأربعون فائدة نظير (الفوائد الحائرية البهبهانية)..»[2].

ويشير أحد الباحثين إلى وجود كتاب أُصولي آخر للسيّد بحر العلوم عنوانه «الدرة البهية»[3].

٣ ـ كشف الغطاء عن خفيات مبهمات الشريعة الغراء:

وهو كتاب الشيخ جعفر الكبير كاشف الغطاء الذي تحدثنا عنه سابقا، وقد قسم الشيخ كتابه إلى ثلاثة أقسام وسمى كل قسم منها بـ (فن)، «وأفرد الفن الأول منه في

---

(١) الطهراني، الذريعة: ١٦ / ٢٣٥.

(٢) المرجع نفسه: ١٦ / ٢٣١.

(٣) جناتي ـ إبراهيم، ادوار الاجتهاد: ٢٩٦.

أُصول الدين، وسماه «العقايد الجعفرية» في الكلام،.. والفن الثاني في بعض المسائل الأُصولية، والفن الثالث في الفروع الفقهية»[1].

والشيخ جعفر الكبير وإن لم يدون مؤلفا مستقلاً في علم أُصول الفقه، إلّا أنّ أفكاره الأُصولية العميقة قد أودعها في ثنايا أبحاث كتابه «كشف الغطاء»، والذي تجد فيه أهم القواعد والأُسس للاجتهاد والاستنباط الفقهي، وتخرج من محضر درسه كبار علماء الأُصول من أمثال صاحب الاشارات، وصاحب حاشية المعالم وغيرهم.

٤ ـ الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة.

وهي الموسوعة الفقهية التي دونها المحدث الفقيه الشيخ يوسف البحراني، والتي تحدثنا عنها سابقا.

والشيخ البحراني لم يترك مؤلفا مستقلاً يتناول علم أُصول الفقه، إلّا أنه كان فقيها وله مباني يستند إليها في الاستنباط الفقهي. وهذه المباني ضمنها موسوعته الفقهية (الحدائق) إذ «بدأ باثنتي عشرة مقدمة في مباني الأحكام، آخرها في الفرق بين الاخباري والأُصولي، وكتب بعض الأصحاب المقدمات مستقلاً، وشرح السيّد المقدس الأعرجي ـ المقدمة ـ الأُولى والثانية.. ورد على المقدمات أيضا بعض الأصحاب..»[2].

وللشيخ البحراني أيضا كتاب «الدرر النجفية» والذي أفاض الكلام فيه حول المسائل الخلافية التي بين المجتهدين والاخباريين، وبين رأيه في كلٍّ مسألة مع اقامة البرهان عليه»[3]، ومن خلال كلا الكتابين، والنماذج التطبيقية لاستدلالاته، يمكن

---

(١) الطهراني، الذريعة ١٨ / ٣١.

(٢) المرجع نفسه: ٦ / ٢٠٩.

(٣) أُنظر الدرر النجفية: ٨٧، طبعة إيران الهامش.

للباحث أن يستخلص المنهج النظري للفقيه البحراني[1].

٥ ـ مفاتيح الأُصول:

وهو من مؤلفات السيّد محمد المجاهد بن السيّد علي صاحب الرياض، وهو كتاب مشهور في علم الأُصول: «وليس فيه مسألة مقدمة الواجب واجتماع الأمر والنهي، ومسألة الضد وحجية الظن وبعض مباحث الألفاظ، نعم له حجية الظن كتبه مستقلاً.. ونسخة خط يده الشريف في كربلاء في مجلدين: اولهما من بحث دلالة اللفظ إلى آخر النسخ، وثانيهما إلى آخر الاجتهاد والتقليد..»[2]، وله شرح على كتابه اسماه: «المصابيح في شرح المفاتيح»[3].

والذي يبدو من خلال وصف الشيخ الطهراني، أن كتاب (مفاتيح الأُصول) يمثل دورة أُصولية كاملة سوى بعض الأبحاث المتعلقة ببحث الأوامر، وغيرها، إلّا أن نسخ الكتاب المتداولة قليلة وتعتمد على النسخة الحجرية ولم ينل هذا الكتاب حظّه من التحقيق ولم يطبع طبعة حديثة.

٦ ـ القوانين المحكمة في الأُصول:

للمحقق الشيخ أبو القاسم بن المولى محمد حسن الجيلاني القمي، المتوفي في قم والمدفون فيها سنة (١٢٣١ هـ)، وهو من مشاهير علماء الإمامية، أكمل دراسته الأولية في مسقط رأسه.. «ثمّ هاجر إلى العراق وكانت هجرته أيام زعامة الشيخ الوحيد فمكث في كربلاء مدة طويلة لازم فيها معهد درس الوحيد.. حتى حصلت له الاجازة

(١) للتوسع، أُنظر كتابنا تطور حركة الاجتهاد عند الشيعة الامامية، الفصل العاشر (ظهور الحركة الاخبارية).

(٢) الطهراني، الذريعة: ٢١ / ١٩٤.

(٣) آل طعمة، تراث كربلاء: ٢٦٧.

منه، وله الرواية عنه وعن الشيخ محمد مهدي الفتوني.. ثمّ عاد إلى بلاده.. ثم انتقل إلى قم وتوفي فيها.

له مؤلفات هامة كثيرة، من أهمها وأشهرها كتاب (القوانين المحكمة) في الأُصول، وهو من جلائل كتب هذا العلم وأوعاها لدقائقه وغوامضه، وقد رزق هذا الكتاب حظا وافرا، ولاقى قبولاً حسنا، حيث أصبح من الكتب الدراسية، فلا يستغني عن قراءته طالب من طلّاب العلم إلى عصرنا. إلّا أنّ أُستاذنا الخراساني لما أ لّف [الكفاية] ضعفت رغبة الناس به لطوله، واتجهوا إلى [الكفاية] اتجاها ما. وقد عني بـ (القوانين) جماعة من العلماء فعلقوا عليه التعاليق وكتبوا الحواشي..»[1].

٧ ـ الفصول في علم الأُصول:

وهو من مؤلفات الشيخ محمد حسين بن عبد الرحيم الرازي الأصل، والحائري المسكن والمدفن، والشهير بصاحب الفصول. والذي أخذ عن أخيه الشيخ محمد تقي صاحب حاشية المعالم (هداية المسترشدين).

ويعتبر كتاب (الفصول): «من كتب القراءة في هذا الفن (أي علم الأُصول) أورد فيه مطالب القوانين وحلها، واعترض عليها، وهو مشهور عند أهل هذا النوع»[2].

٨ ـ ضوابط الأُصول:

للسيّد إبراهيم بن محمد باقر القزويني الحائري (ت ١٢٦٢ هـ)، وكان تلميذ المولى شريف الدين محمد بن المولى حسن الآملي المعروف بشريف العلماء المازندراني، يقول المؤلف في ديباجة كتابه: «اني حين قراءتي كتاب (معالم الدين)

---

(١) الطهراني، الطبقات الكرام البررة: ١٠ / ٥٢ ـ ٥٣، والذريعة: ١٧ / ١٣٢.

(٢) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ١٣ / ٤٩٥.

كتبت أكثر مسائل العلم متفرقة فاردت أن أجمع ما كان من مسائله في هذا الكتاب ورتبته على مقدمة وخاتمة وفصول..» وللمؤلف كتاب أُصولي آخر اسمه (نتائج الأفكار) الذي أ لّفه بعد الضوابط في سنة (١٢٢٣ هـ)[١].

ولا ننسى في هذا المجال جهود الشيخ المولى محمد شريف المازندراني الحائري الشهير بشريف العلماء والذي كان: «من أعاظم العلماء في عصره»[٢]، وكان يمثل مدرسة في علم الأُصول تخرّج منها أساطين علم الأُصول من أمثال صاحب الضوابط، والشيخ مرتضى الأنصاري صاحب الرسائل وغيرهم. ولهذا يمكن نسبة النتاج العلمي للشيخ الأنصاري في علم الأُصول والفقه إلى مدرسة كربلاء باعتباره من تلامذة شريف العلماء المازندراني.

وقد ذكرنا سابقا ان شريف العلماء المازندراني كان له أُسلوبه الخاص في التعليم والتدريس والتربية فكان له درس مع المبتدئين، ودرس آخر للمنتهين، وقد حرص على تفهيم طلّابه بأساليب راقية.. وكان يرفع طلّابه إلى أوج الاجتهاد بمدة قصيرة لغزارة علمه وحسن تفهيمه،.. وكان لا يفتر عن التدريس والمذاكرة ليلاً ونهارا.. ولذلك قل نتاجه العلمي ولم يمكن له في عالم التأليف ما يتناسب وعظيم مكانته، كما أنه لم يخرج ما كتبه إلى البياض»[٣].

ويذكر السيّد الصدر في ترجمته: «ان شريف العلماء كان من تلامذة السيّد صدر الدين وكان السيّد يمنعه من كثرة التعمق في أُصول الفقه، ويأمره بالتعمق في الفقه»[٤].

---

(١) الطهراني، الذريعة: ١٥ / ٨٦.

(٢) الطهراني، الكرام البررة: ٢ / ٦١٩.

(٣) المرجع نفسه: ٢ / ٦٢٠.

(٤) الصدر ـ حسن، تكملة أمل الآمل: ٢٣٨.

مهما يكن من أمر فإن مدرسة كربلاء قد خلفت لنا تراثا علميا في علمي الفقه والأُصول لا زال مورد عناية طلّاب العلم.

ثالثا: العلوم والمعارف الأُخرى:

ولم يقتصر التراث العلمي لمدرسة كربلاء على علمي (الفقه والأُصول) فقط، وإنما أ لّف علماؤها فيالعلوم الأُخرى، وكانت كتاباتهم استجابة لمتطلبات العصر، وما يستجدُّ فيها من وقائع، وما كان يثار فيها من شبهات حول المسائل العقائدية والمذهبية، فكتبوا في التفسير وعلوم القرآن، وكتبوا في رد شبهات المدرسة الاخبارية، وأ لّفوا في مجال الرد على أفكار الشيخ الاحسائي وتلميذه الشيخ كاظم الرشتي والتي انتشرت من خلال ما يعرف بعقائد الكشفية...

وقد ذكرنا أسماء بعض هذه المؤلفات والكتب في ثنايا تراجم بعض العلماء الأعلام في مدرسة كربلاء.

المبحث الرابع: الأوضاع المالية والمعيشية لطلّاب حوزة كربلاء العلمية

لقد اعتمدت حوزة كربلاء العلمية ـ كغيرها من الحوزات العلمية في الأقطار الشيعية ـ على مصادر مالية متنوعة يمكن اجمالها بما يلي:

أولاً: أموال الأوقاف:

وهي أموال جليلة كان يتولّاها بعض علماء كربلاء، وتصرف باشرافهم على شؤون الحوزة العلمية وتعمير المراقد الشريفة، وبناء المدارس العلمية.

وقد مرّ بنا سابقا في ترجمة السيّد محمد مهدي الشهرستاني (ت ١٢١٦ هـ) ما ذكره السيّد الأمين من أن: «جده الميرزا فضل اللّه الشهرستاني الوزير الأعظم للشاه طهماسب الأول الصفوي، والواقف للأوقاف العظيمة في كثير من مدن إيران التي

خصص ريعها على مراقد الأئمة الأطهار.. فقام باصلاحات كثيرة في الحضرة الحسينية والصحن الحسيني مستفيدا من المال الذي يرد عليه من موقوفات جدّه الأعلى.. لا سيما وإنه كان المتولي عليها؛ لأنه كان أرشد أولاد الواقف وأعلمهم حينذاك»[1].

كذلك مرّ بنا في ترجمة الشيخ عبد الحسين الطهراني (ت ١٢٨٦ هـ)، الذي تولى الوصية على ثلث أموال الصدر الأعظم، فقام بتعمير المشاهد، وتأسيس (مدرسة الصدر الأعظم) والمكتبات «وغير ذلك من الآثار الخالدة في غرة الدهر، وخلف لنفسه ذكرا طيبا في مراقد الأئمة عليهم السلام يقرن بالرحمة وطلب المغفرة»[2].

كذلك نجد للشيخ كاظم الرشتي (ت ١٢٥٩ هـ)، خدمات جليلة ومشاريع هامة من خلال أموال الوقف والتبرعات التي كان يتولاها باذن أهلها[3].

وخلاصة الأمر، كانت ولا زالت أموال الوقف؛ والتي يتولّاها ـ غالبا ـ العلماء والفقهاء والمراجع من أهم الروافد المالية للحوزات العلمية عامة، ولحوزة كربلاء العلمية خاصة.

ثانيا: أموال التبرعات:

وهي أموال طائلة كان يتبرع بها بعض الشخصيات المتمولة من أُمراء وملوك وتجار.. وخاصة ما كان يفد من بلاد الهند لبعض علماء كربلاء.

---

(١) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ١٥ / ٣٩ ـ ٤٢ طبعة دار العارف ـ بيروت، الطبعة الخامسة، ٢٠٠٠ م ـ ١٤٢٠ هـ

(٢) الطهراني، الكرام البررة: ٢ / ٧١٣ ـ ٧١٤.

(٣) أنظر، تراث كربلاء: ٢٧١.

فقد جاء في ترجمة السيّد المير علي الطباطباني (ت ١٢٣١ هـ) صاحب الرياض: «وكان في أول أمره يكتب بكتابة الأكفان وهو مشغول بتصنيف (الرياض)، ثمّ انفتح عليه باب الهند في الدولة الشيعية، وصارت الدراهم عنده كأكوام الحنطة، حتى اشترى دور الكربلائيين من أربابها ووقفها على سكانها وأهلها جيلاً بعد جيل، وبنى سور كربلاء.. وروج الدين بكل قواه وبذل في سبيل ذلك كل لوازمه، وعظم أهل العلم فقدمهم وبارك اللّه في كل أُموره»[١]. وجاء في ترجمة السيّد علي نقي بن السيّد حسن (ت ١٢٨٩ هـ) حفيد السيّد المجاهد: «ثنيت له الوسادة تدريسا وتقليدا وكان يأتيه الوجوه، غير ما كان بيده من (الوثيقة الهندية) وهي في كل شهر خمسة آلاف روپية يفرقها على الفقراء»[٢].

والذي يبدو أن المراد من الوثيقة الهندية هي أموال (أوده) وهي أموال شهرية ثابتة كانت تصل من الهند لحوزتي النجف وكربلاء، وتعرف بعطية (اوده) وقد أشرنا إليها ضمن حديثنا عن الأوضاع المالية لحوزة النجف الأشرف.

وقد أشار السيّد الأمين إلى الأموال الوافدة من الهند في ثنايا ترجمة السيّد محمد باقر الحجة المتوفى عام (١٣٣١ هـ) وهو أيضا حفيد السيّد محمد المجاهد، فقال: «.. وكان بيده تقسيم الأموال المعروفة بفلوس الهند، المعين نصفها لأهل النجف الأشرف، والنصف الآخر لأهل كربلاء»[٣].

---

(١) الأمين ـ أعيان الشيعة: ١٢ / ٤١٧، وتراث كربلاء: ٢٦٥.

(٢) الطهراني، الكرام البررة: ٣ / ٢٠٠.

(٣) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ١٣ / ٤٣٩.

ثالثا: الحقوق الشرعية:

وهي حقوق ثابتة في أموال المؤمنين تدفع للفقيه والمرجع في زمانه، وتصرف في العناوين المخصصة للصرف فيها، ومنها سهم في سبيل اللّه، والذي يصرف في ترويج الدين، والتعليم، وطباعة الكتب، وبناء المدارس.. وغيرها من المصاديق التي ينطبق عليها سهم في (سبيل اللّه) من أموال الحقوق الشرعية.

المبحث الخامس: حوزة كربلاء والأوضاع السياسية

لقد رافقت المسيرة التاريخية لحوزة كربلاء، أحداثا سياسيةً كبيرةً، وقعت في العراق أو في البلد المجاور لها (إيران) وكان لعلماء ومراجع هذه الحوزة المباركة دورهم الفاعل والمؤثر في مجريات هذه الأحداث؛ وهي سلسلة أحداث كثيرة متلاحقة لا يمكن لنا استيعاب جميع مفرداتها وإنما نشير إلى بعض منها باختصار.

يقول الباحث والمؤرخ العراقي ميربصري: «كانت كربلاء، ولا تزال مركزا ثقافيا إسلاميا تعاقبت عليها العهود في عصورها الأخيرة، أغار عليها الوهابيون سنة (١٨٠١ م)، وحاصرها والي بغداد محمد نجيب باشا سنة (١٨٤٢ م) وانتفضت على الأتراك في أثناء الحرب العظمى الأولى ثمّ ثارت على الإنكليز سنة (١٩٢٠ م) وأُلفت الحكومة الوطنية في أواخر تلك السنة فأصبح السيّد محمد مهدي آل بحر العلوم الطباطبائي وزيرا للمعارف والصحة سنة (١٩٢١ م) ثمّ عهد بوزارة المعارف في ايلول من نفس السنة إلى السيّد محمد علي هبة الدين الحسيني الشهرستاني الحائري»[(١)].

هذا الاجمال الذي ذكره المؤرخ لموقع كربلاء من الأحداث السياسية فصلته

---

(١) ميربصري، كربلاء ذكريات ولمحات: ٨٦ بحث منشور ضمن بحوث دراسات حول كربلاء.

الكتب التي تحدثت عن تاريخ العراق السياسي الحديث من أمثال كتاب المحامي عباس العزاوي الموسوم بـ (تاريخ العراق بين الاحتلالين) وكذلك كتاب الدكتور علي الوردي (لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث) بالاضافة إلى كتاب حنا بطاطو (العراق) وكذلك كتب عبد الرزاق الحسيني حول العراق، وغيرها عشرات الكتب التي تحدثت عن تاريخ العراق السياسي والاجتماعي، وعن كربلاء ودورها في تلك الأحداث السياسية والمنعطفات التاريخية، مما لا يسع المجال لذكرها.

وخلاصة الأمر، لقد كان لعلماء كربلاء وحوزتها العلمية دور مشرف ومشاركة فاعلة في تلك الأحداث من خلال الفتاوى الجهادية كفتوى الشيخ محمد تقي الشيرازي الشهيرة، أو في حمل راية الجهاد للذب عن البلاد الإسلامية كما هو الحال في جهاد السيّد محمد بن السيّد مير علي الطباطبائي المعروف بالسيّد المجاهد. وقد أشرنا إلى ذلك في ثنايا ترجمة أُولئك الاعلام (رضوان اللّه عليهم).

الخاتمة: تلخيص واستنتاج لأهم معالم الحوزة العلمية في كربلاء وأدوارها

بعد هذه الجولة الطويلة والممتعة في سبر تاريخ حوزة كربلاء العلمية، لابد لنا من وقفة خاتمة عند أهم مفردات البحث يتم من خلالها تلخيص واستنتاج أهم المعالم والأدوار التي مرّت بها هذه الحوزة العلمية العريضة:

أولاً: لم تكن أرض كربلاء قبل واقعة الطف بداية سنة (٦١ هـ) واستشهاد الإمام الحسين بن علي وأهل بيته وأصحابه(عليهم السلام) فيها؛ سوى صحراء قاحلة ليس فيها أي معالم مَدنية أو حضرية سوى بعض الآثار التاريخية التي تنتشر في المناطق المجاورة لها وهي من آثار الحضارات القديمة.

ثانيا: اكتسبت أرض كربلاء مكانة وقدسية خاصة في نفوس المسلمين والموالين لأهل البيت(عليهم السلام) بعد أن تضمنت المرقد الطاهر للإمام الحسين(عليه السلام) وأخذت تتوافد لزيارته آلاف الزوار رغم الوضع الأمني الخطير الذي كان يحف بهذه الزيارة والتي قد تبلغ إلى درجة التصفية الجسدية أو الاعتقال والسجن.

ثالثا: جهد الجهاز الحاكم المتمثل ببعض الخلفاء الأمويين، وتبعهم بعض خلفاء بني العباس على منع المؤمنين من زيارة الإمام الحسين(عليه السلام) وتعرّض القبر الشريف والدور المحيطة به إلى الاعتداء والهدم ولأكثر من مرة.

الرابع: رغم كل الظروف الأمنية المشدَدة التي اتخذها الجهاز الحاكم آنذاك إلّا أن (مدينة كربلاء) أخذت تظهر كمدينة إسلامية لها معالمها العمرانية، وأخذ الكثير من المؤمنين من هذه المدينة المقدّسة مسكنا لهم ومحلاً لمعاشهم.

خامسا: شهد المرقد الشريف للإمام الحسين، وأخيه أبي الفضل العباس بن علي‎عليهما السلام ولفترات زمنية متلاحقة، حركة اعمار وبناء وتوسعة كبيرة شمل القباب والمنائر والصحن والأواوين والغرف المحيطة بها.. ولا زالت حركة العمران والبناء مستمرة إلى يومنا هذا.

سادسا: حاول بعض الكتّاب والمؤرخين من أبناء كربلاء أن يؤرخوا للحركة العلمية في بلدهم (كربلاء) من زمن الأئمة‎عليهم السلام وذكروا وفود بعض أئمة أهل البيت على المدينة واتخاذهم منها سكنا لهم ولفترات متقطعة من الزمن، قاموا خلالها بالتدريس والتعليم و..[1].

إلّا أنّ البحث التاريخي في حياة الأئمة‎عليهم السلام لا يثبت هذه الدعوى؛ نعم زار بعض أئمة أهل البيت‎عليهم السلام مرقد الإمام الحسين‎عليه السلام وحثوا شيعتهم على زيارته، إلّا أنهم لم يتخذوا من كربلاء سكنا لهم فضلاً من أن تكون لهم فيها حوزة درس وافادة.

سابعا: ويرجع بعض آخر من الكتّاب والمؤرخين الحركة العلمية في كربلاء، إلى أواخر القرن الثالث ومطلع القرن الرابع الهجري على أثر نبوغ الزعيم الديني (حميد بن زياد النينوي) ويعتبره: «مؤسس جامعة العلم في كربلاء»[2]. وهو رأي صحيح تدعمه الأدلة والشواهد التاريخية التي ذكرت في ثنايا البحث.

ثامنا: شهدت الحركة العلمية في كربلاء ومن القرن الرابع الهجري وما تلاها من القرون المتلاحقة، نهضة علمية تكاملية متجددة، ومرت بأدوار متعددة؛ ولكل دور منها معالمه وسماته وأعلامه وآثاره العلمية.

---

(١) أُنظر، الصالحي ـ عبد الحسين، الحوزات العلمية في الأَقطار الإسلامية: ٩٥ وما بعدها، طبعة بيت العلم للنابهين ـ بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤١٥ هـ ـ ٢٠٠٤ م.

(٢) آل طعمة ـ سلمان، تراث كربلاء: ٢٢٦.

تاسعا: تزعمت الحوزة العلمية في كربلاء المرجعية الفكرية والعلمية للحوزات العلمية، وبرز فيها علماء كبار تشد إليهم الرحال، فوفد إليها الكثير من طلّاب العلم من الأقطار الإسلامية، كانت لهم آثارهم العلمية والفكرية وخدماتهم العمرانية والحضارية، وافتتح فيها الكثير من المدارس الدينية والحوزات العلمية.

عاشرا: شهدت حوزة كربلاء انتعاشا اقتصاديا وماليا نتيجة تدفق الأموال إليها من عائدات الأوقاف، وأموال التبرعات، والحقوق الشرعية.

حادي عشر: خلفت لنا هذه الحوزة المباركة تراثا علميا في مجالي الفقه والأُصول لا زال يمثل القمة في العطاء العلمي، ويعتبر من المصادر العلمية بين العلماء والفقهاء والباحثين. وأخذ بعض منها مجاله ككتاب تعليمي وتدريسي.

*** أدوار الحوزة العلمية في كربلاء**

مرّت الحوزة العلمية في كربلاء بأدوار متعددة يمكن تلخيصها بما يلي:

١ ـ الدور الأول: دور التأسيس:

وهو الدور الذي يبدأ من نهاية القرن الثالث، ومطلع القرن الرابع الهجري بظهور المحدث والفقيه حُميد بن زياد (ت ٣٢٠ هـ)، مرورا بفقهاء كبار من أمثال هشام بن الياس الحائري (ت ٤٩٠ هـ) وعماد الدين الطوسي المكنى بابن حمزة صاحب كتاب الوسيلة وغيرهم مْن العلماء حتى نهاية القرن الثامن الهجري.

٢ ـ الدور الثاني: دور التوسع والازدهار:

وهو الدور الذي يبدأ من القرن التاسع الهجري، من خلال هجرة الشيخ أحمد ابن فهد الحلي (ت ٨٤١ هـ) إليها، إذ «ازدهرت المعاهد الدينية في عهده.. وزخرت

مدينة الحسين، واكتظت جوامعها ومدارسها وقاعات الدرس فيها..»[1]، مرورا بفقهاء آخرين من امثال الشيخ إبراهيم الكفعمي (ت ٨٩٥ هـ)، وغيرهما من أعلام القرن التاسع والعاشر والحادي عشر، حتى منتصف القرن الثاني عشر حيث يختتم هذا الدور بمدرس الطف الشهيد السعيد السيّد نصر اللّه الفائزي الحائري (استشهد ١١٥٨ هـ على رواية)[2].

٣ ـ الدور الثالث: دور التكامل العلمي:

وهو الدور الذي يبدأ بالشيخ يوسف البحراني (ت ١١٨٦ هـ) والشيخ الوحيد البهبهاني (ت ١٢٠٥ هـ) وتستمر حركتها التكاملية من خلال أعلام تلامذة وتلامذة تلامذة هذين العلمين، وحتى بعد انتقال زعامة الحوزة العلمية إلى النجف الأشرف من خلال هجرة بعض طلّاب الشيخ الوحيد إليها.

---

(١) تراث كربلاء: ٢٤١.

(٢) أُنظر المرجع نفسه: ٢٥٦.

مصادر ومراجع الكتاب

القرآن الكريم، كتاب الله تبارك وتعالى.

نهج البلاغة، للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

ترتيب وفهرست د. صبحي الصالح، طبعة دار الهجرة ـ قم، الطبعة (بلا ـ ت).

(حرف الألف)

الاصفي ـ محمد مهدي

١ ـ مقدمة رياض المسائل للسيّد علي الطباطبائي، طبعة مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم، الطبعة الأُولى، ١٤١٢ هـ

٢ ـ مقدمة كتاب الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية للشهيدين العامليين، طبعة بيروت، (بلا ـ ت).

آل طعمة ـ سلمان هادي

٣ ـ تراث كربلاء، طبعة مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت، الطبعة الثانية، (١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م).

آل قاسم ـ عدنان فرحان (الدكتور)

٤ ـ تطور حركة الاجتهاد عند الشيعة الإمامية، طبعة دار السلام ـ بيروت، الطبعة الثالثة، (١٤٣٣ هـ ـ ٢٠١٢ م).

آل ياسين ـ محمد مفيد

٥ ـ الحياة الفكرية في العراق في القرن السابع الهجري.

٦ ـ متابعات تاريخية فكرية لحركة الفكر في الحلة، طبعة المكتبة العصرية ـ بغداد، الطبعة الأُولى، (١٤٢٥ هـ ـ ٢٠٠٤ م).

ابن الأثير ـ عز الدين أبي الحسن علي بن محمد أبي الكرم الجزري (ت ٦٣٠ هـ)

٧ ـ الكامل في التاريخ، تحقيق: علي شيري، طبعة دار احياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة الأُولى، (١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٩ م).

ابن البراج ـ أبو القاسم عبد العزيز بن البراج الطرابلسي (ت ٤٨١ هـ)

٨ ـ المهذب البارع، طبعة مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين ـ قم، ١٤٠٦ هـ

ابن بطوطة ـ أبو عبد اللّه محمد بن عبد اللّه الطنجي (ت ٧٧٩ هـ)

٩ ـ رحلة ابن بطوطة، شرح وتعليق: طلال حرب، طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الثانية، (١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٢ م).

ابن جبير ـ محمد بن أحمد الأندلسي (ت ٦١٤ هـ)

١٠ ـ رحلة بن جبير، طبعة دار الكتاب العربي ـ بيروت، (بلا ـ ت).

ابن حجر العسقلاني، أبي الفضل أحمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ)

١١ ـ لسان الميزان، طبعة دار احياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة الثانية، (١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١ م).

ابن حمزة ـ محمد بن علي الطوسي (من أعلام القرن السادس الهجري)

١٢ ـ الوسيلة إلى نيل الفضيلة، تحقيق: محمد الحسون، طبعة مكتبة المرعشي ـ قم، ١٤٠٨ هـ

ابن زهرة ـ حمزة بن علي الحلبي (ت ٥٨٥ هـ)

١٣ ـ غنية النزوع إلى علمي الأُصول والفروع، تحقيق: إبراهيم البهادري، طبعة مؤسسة الإمام الصادق ـ قم، الطبعة الأُولى، ١٤١٧ هـ

ابن طاووس ـ عبد الكريم بن أحمد (ت ٦٩٣ هـ)

١٤ ـ فرحة الغري، طبعة الرضي ـ قم (بلا ـ ت)، وطبعة العتبة العلوية بتحقيق الشيخ محمد مهدي نجف، الطبعة الأُولى، (١٤٣١ هـ ـ ٢٠١٠ م).

ابن الطقطقا ـ محمد بن علي بن طبطبا المعروف بابن الطقطقا (ت ٧٠٩ هـ)

١٥ ـ الفخري في الآداب السلطانية والدولة الإسلامية، طبعة دار صادر ـ بيروت، (بلا ـ ت).

ابن فارس ـ أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥ هـ)

١٦ ـ معجم مقاييس اللغة، حققه: شهاب الدين أبو عمرو، طبعة دار الفكر ـ بيروت، ١٤١٤ هـ.

ابن الفوطي ـ كمال الدين عبد الرزاق بن أحمد الشيباني المعروف بابن الفوطي (٦٤٢ هـ)

١٧ ـ تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب، تحقيق: مصطفى جواد، طبعة المطبعة الهاشمية ـ دمشق، ١٩٦٢ م.

ابن كثير ـ أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)

١٨ ـ البداية والنهاية، طبعة مؤسسة التاريخ العربي ـ بيروت، (١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٣ م).

ابن منظور ـ محمد بن مكرّم بن علي (ت ٧١١ هـ)

١٩ ـ لسان العرب، طبعة دار احياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة الأُولى، (١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م).

الأسدي ـ محمد هادي

٢٠ ـ بحث بعنوان: كربلاء ودورها العلمي والمرجعي، ضمن بحوث كتاب دراسات حول كربلاء ودورها الحضاري، طبعة مؤسسة الزهراء ـ الكويت، الطبعة الأُولى، (بلا ـ ت).

الاصفهاني أبو الفرج ـ علي بن الحسين (ت ٣٥٦ هـ)

٢١ ـ الأغاني، تحقيق: عبد علي مهنا، طبعة دار الفكر ـ بيروت، الطبعة الأُولى، (١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٦ م).

الأعسم ـ عبد الأمير (الدكتور)

٢٢ ـ الفيلسوف نصير الدين الطوسي، طبعة دار الأندلس ـ بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٠ م.

أفندي ـ الميرزا عبد اللّه أفندي الإصفهاني (من أعلام القرن الثاني عشر)

٢٣ ـ رياض العلماء وحياض الفضلاء، تحقيق: أحمد الحسيني، طبعة مكتبة المرعشي ـ قم، ١٤٠٣ هـ

الأمين ـ حسن (الدكتور)

٢٤ ـ دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، طبعة دار التعارف ـ بيروت، الطبعة السادسة، (١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١ م).

الأمين ـ محسن بن عبد الكريم بن علي بن محمد الأمين الحسيني العاملي الدمشقي (ت ١٣٧١ هـ)

٢٥ ـ أعيان الشيعة، حققه: السيّد حسن الأمين، طبعة دار التعارف للمطبوعات ـ بيروت، الطبعة الخامسة، (١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٨ م) في خمسة عشر مجلدا والطبعة الرابعة في عشرة مجلدات.

٢٦ ـ معادن الجواهر ونزهة الخواطر، طبعة دار الزهراء ـ بيروت، (١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م).

الأميني ـ عبد الحسين (ت ١٣٩٠ هـ)

٢٧ ـ الغدير في الكتاب والسنة والأدب، تحقيق: مركز الغدير للدراسات الإسلامية ـ قم، الطبعة الأُولى، (١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٥ م).

الأنصاري ـ رؤوف

٢٨ ـ المدارس العلمية في كربلاء، بحث منشور ضمن بحوث ندوة دراسات حول كربلاء ودورها الحضاري، طبعة الزهراء ـ الكويت، (بلا ـ ت).

الأنصاري ـ مرتضى محمد أمين

٢٩ ـ فرائد الأُصول، طبعة مطبعة النعمان ـ النجف، (بلا ـ ت).

(حرف الباء)

البحراني ـ يوسف بن أحمد بن إبراهيم الدرازي البحراني (ت ١١٨٦ هـ)

٣٠ ـ الحدائق الناضرة في فقه العترة الطاهرة، المقدمة، نشر علي الآخوندي ـ النجف الأشرف، ١٩٥٧ م.

٣١ ـ الدرر النجفية، طبعة أُفست على النسخة الحجرية، مؤسسة آل البيت ـ قم، (بلا ـ ت).

٣٢ ـ لؤلؤة البحرين في الاجازات وتراجم رجال الحديث، تحقيق: محمد صادق بحر العلوم، طبعة أُفست مؤسسة آل البيت، (بلا ـ ت).

بحر العلوم ـ جعفر (ت ١٣٧٧ هـ)

٣٣ ـ تحفة العالم في شرح خطبة المعالم، طبعة الصادق ـ طهران، (بلا ـ ت)، والطبعة الجديدة المحققة بتحقيق: أحمد علي مجيد الحلي، طبعة مركز تراث السيّد بحر العلوم ـ النجف الأشرف، الطبعة الأُولى، ١٤٣٣ هـ

بحر العلوم ـ محمد (الدكتور)

٣٤ ـ مقدمة تقريرات المجدد الشيرازي الأُصولية بقلم الزوزدري، تحقيق: مؤسسة آل البيت ـ قم، الطبعة الأُولى، ١٤٠٩ هـ

بحر العلوم ـ محمد صادق

٣٥ ـ دليل القضاء الشرعي، طبعة النجف الأشرف، (بلا ـ ت).

بحر العلوم ـ محمد مهدي بن مرتضى بن السيّد محمد (ت ١٢١٢ هـ)

٣٦ ـ الرجال، الشهير بالفوائد الرجالية أو رجال السيّد بحر العلوم، بتحقيق وتقديم: محمد صادق بحر العلوم، والسيّد حسين بحر العلوم، طبعة أُفست مكتبة العلمين في النجف الأشرف.

البغدادي ـ إسماعيل بن محمد باشا البابانى البغدادي (ت ١٣٣٩ هـ)

٣٧ ـ هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، طبعة استانبول، ١٩٦٠ م.

البقال ـ عبد الحسين

٣٨ ـ مقدمة تحقيق كتاب شرائع الإسلام للمحقق الحلي، الطبعة المحققة الأُولى، مطبعة الآداب ـ النجف الأشرف، (١٣٨٩ هـ ـ ١٩٦٩ م).

بناري ـ علي همت

٣٩ ـ ابن ادريس الحلي، ترجمة: حيدر حب الله، طبعة مؤسسة الغدير ـ بيروت، الطبعة الأُولى، (١٤٢٥ هـ ـ ٢٠٠٥ م).

(حرف التاء)

التستري ـ محمد تقي بن كاظم التستري (ت ١٣٢٠ هـ)

٤٠ ـ قاموس الرِّجال في تحقيق رواة الشيعة ومحدثيهم، طبعة مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم، الطبعة الثانية، ١٤١٠ هـ

التفرشي ـ مصطفى بن الحسين الحسيني (من أعلام القرن الحادي عشر الهجري)

٤١ ـ نقد الرجال، تحقيق وطباعة مؤسسة آل البيتعليهم السلام لاحياء التراث ـ قم، الطبعة الأُولى، ١٤١٨ هـ

(حرف الجيم)

الجناتي ـ محمد إبراهيم

٤٢ ـ أدوار الاجتهاد از ديدگاه مذاهب اسلامى (بالفارسية)، طبعة مؤسسة كيهان ـ طهران، الطبعة الأُولى، ١٣٧٢ ش.

جواد علي (الدكتور) (ت ١٤٠٨ هـ)

٤٣ ـ سامراء قديما، بحث ضمن موسوعة العتبات المقدّسة، المجلد ١٢، طبعة مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الثانية.

(حرف الحاء)

الحائري ـ أبو علي محمد بن إسماعيل المازندراني (ت ١٢١٦ هـ)

٤٤ ـ منتهى المقال في معرفة الرجال، طبعة مؤسسة آل البيت لاحياء التراث ـ قم، الطبعة الأُولى، ١٤١٦ هـ

حرز الدين ـ محمد (ت ١٣٦٥ هـ)

٤٥ ـ مراقد المعارف، تحقيق: محمد حسين حرز الدين، أُفست الطبعة الأُولى، انتشارات سعيد بن الجبير ـ قم، ١٩٩٢ م.

٤٦ ـ معارف الرجال في تراجم العلماء والأُدباء، علّق عليه محمد حسين حرز الدين، طبعة مكتبة المرعشي ـ قم، ١٤٠٥ هـ

الحسيني ـ محمد طاهر

٤٧ ـ الفقه في جنوب لبنان، طبعة دار المحجة البيضاء ـ بيروت، الطبعة الأُولى، (١٤٣٠ هـ ـ ٢٠٠٩ م).

الحكيم ـ حسن عيسى (الدكتور)

٤٨ ـ مدرسة الحلة العلمية ودورها في حركة التأصيل المعرفي، طبعة مركز الهدى للدراسات الحوزوية، ٢٠٠٩ هـ

٤٩ ـ النجف الأشرف والحلة الفيحاء صلات علمية وثقافية، عبر عصور التاريخ، طبعة مطبعة الغري الحديثة ٢٠٠٦ م.

الحكيم ـ منذر

٥٠ ـ مقال مراحل تطور الاجتهاد، مجلة فقه أهل البيت، العدد ١٧.

الحلبي ـ أبو الصلاح تقي الدين بن نجم الدين بن عبيد اللّه بن محمد الحلبي (ت ٤٤٧ هـ)

٥١ ـ الكافي في الفقه، تحقيق: رضا الأُستادي، طبعة منشورات مكتبة أمير المؤمنين ـ إصفهان، ١٤٠٣ هـ

الحلي ـ أبو منصور جمال الدين الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر الشهير بالعلّامة الحلّي (ت ٧٢٦ هـ)

٥٢ ـ الألفين في امامة أمير المؤمنين، طبعة بيروت.

٥٣ ـ خلاصة الأقوال في معرفة الرجال، تحقيق وطباعة نشر الفقاهة ـ قم، الطبعة الأُولى، ١٤١٧ هـ

٥٤ ـ كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين، طبعة مجمع احياء الثقافة الإسلامية ـ قم، (بلا ـ ت).

٥٥ ـ مختلف الشيعة، طبعة مركز الأبحاث والدراسات ـ قم، الطبعة الثانية، ١٤٢٣ هـ

الحلي ـ تقي الدين الحسن بن علي ابن داود (ت بعد سنة ٧٠٧ هـ)

٥٦ ـ كتاب الرجال، حققه وقدّم له السيّد محمد صادق آل بحر العلوم.

الحلي ـ نجم الدين أبي القاسم جعفر بن الحسن الهُذلي المحقق الحلي (ت ٦٧٦ هـ)

٥٧ ـ المعتبر في شرح المختصر، تحقيق: عدّة من الأفاضل، طبعة مؤسسة سيد الشهداء ـ قم، (بلا ـ ت).

الحلي ـ نجيب الدين يحيى بن سعيد (ت ٦٩٠ هـ)

٥٨ ـ نزهة الناظر، إعداد السيّد أحمد الحسيني، طبعة الآداب ـ النجف، ١٣٨٦ هـ

الحموي ـ شهاب الدين أبي عبد اللّه ياقوت (ت ٦٢٦ هـ)

٥٩ ـ معجم البلدان، طبعة دار احياء التراث العربي ـ بيروت، (بلا ـ ت).

(حرف الخاء)

الخضري بيك ـ محمد (ت ١٩٢٧ م)

٦٠ ـ تاريخ الأُمم الإسلامية، الدولة العباسية، طبعة المكتبة التجارية الكبرى ـ مصر، ١٩٧٠ م.

الخطيب البغدادي ـ أحمد بن علي (ت ٤٦٣ هـ)

٦١ ـ تاريخ بغداد، تحقيق: مصطفى عبد القادر، طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأُولى، (١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٧ م).

الخطيب عجاج

٦٢ ـ تدوين السنة قبل التدوين، طبعة القاهرة، (١٣٨٣ هـ ـ ١٩٦٣ م).

الخليلي ـ جعفر

٦٣ ـ موسوعة العتبات المقدّسة، طبعة مؤسسة الأعلمي ـ بيروت، الطبعة الثانية، (١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م).

الخوئي ـ السيّد أبو القاسم بن علي أكبر الخوئي (١٤١٣ هـ)

٦٤ ـ معجم رجال الحديث وتفصيل الرواة، نشر الفقاهة ـ قم، الطبعة الخامسة، (١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٢ م).

الخوارزمي ـ أبي المؤيد الموفق بن أحمد المالكي أخطب خوارزم (ت ٥٦٨ هـ)

٦٥ ـ مقتل الحسين، تحقيق: الشيخ محمد السماوي، طبعة مكتبة المفيد ـ قم، (بلا ـ ت).

الخوانساري ـ محمد باقر (١٣١٣ هـ)

٦٦ ـ روضات الجنات في تراجم العلماء والسادات، طبعة مكتبة اسماعيليان ـ قم، ١٣٩٠ هـ.

(حرف الراء)

رضوي ـ محمد تقي مدرس

٦٧ ـ الخواجة نصير الدين الطوسي، تعريب علي هاشم الأسدي، طبعة الآستانه الرضوية ـ مشهد، الطبعة الأُولى، ١٤١٩ هـ.

الرهيمي ـ عبد الحليم

٦٨ ـ تاريخ الحركة الإسلامية في العراق (١٩٠٠ ـ ١٩٢٤ م)، طبعة بيروت، الطبعة الثانية، (١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٨ م).

(حرف الزاي)

الزركلي ـ خير الدين (ت ١٣٩٦ هـ)

٦٩ ـ الأعلام، طبعة دار العلم للملايين ـ بيروت، الطبعة الرابعة عشرة، ١٩٩٩ م.

زيدان ـ جرجي

٧٠ ـ تاريخ آداب اللغة العربية، طبعة باشراف مكتب البحوث والدراسات في دار الفكر ـ بيروت، مراجعة: محمد البقاعية، الطبعة الأُولى، (١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٦ م).

(حرف السين)

السامرائي ـ يونس

٧١ ـ تاريخ مدينة سامراء، طبعة بغداد.

السبحاني ـ جعفر

٧٢ ـ موسوعة طبقات الفقهاء، طبعة دار الأضواء ـ بيروت، الطبعة الأُولى، (١٤٢٠ هـ ـ ١٩٩٩ م).

سلّار ـ حمزة بن عبد العزيز الديلمي (ت ٤٦٣ هـ)

٧٣ ـ المراسم في الفقه الإمامي، تحقيق: د. محمود البستاني، طبعة أُفست الحرمين ـ قم، الطبعة الأُولى، (١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م).

السماوي ـ محمد

٧٤ ـ الطليعة من شعراء الشيعة، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، طبعة دار المؤرخ العربي ـ بيروت، الطبعة الأُولى، (١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١ م).

السويدي ـ عبد الرحمن (ت ١٢٠٠ هـ)

٧٥ ـ حديقة الزوراء في سيرة الوزراء، تحقيق: عماد عبد السلام رؤوف، طبعة منشورات المجمع العلمي ـ بغداد، (١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٣ م).

٧٦ ـ مع مؤتمر علماء النجف، تحققى: عياد عبد السلام رؤوف، طبعة بغداد.

السيوري ـ جمال الدين المقداد بن عبد الله (ت ٨٢٦ هـ)

٧٧ ـ كنز العرفان في فقه القرآن، طبعة المكتبة الرضوية ـ طهران، ١٣٨٤ هـ

(حرف الشين)

الشاهرودي ـ نور الدين

٧٨ ـ تاريخ الحركة العلمية في كربلاء، طبعة دار العلوم ـ بيروت، الطبعة الأُولى، (١٤١٠ هـ ١٩٩٠ م).

الشَّخص ـ هاشم محمد

٧٩ ـ أعلام هجر من الماضين والمعاصرين، طبعة مؤسسة الكوثر للمعارف الإسلامية ـ قم، الطبعة الثالثة، (١٤٣٠ هـ ـ ٢٠٠٩ م).

شمس الدين ـ محمد مهدي

٨٠ ـ الاجتهاد والتجديد في الفقه الإسلامي، طبعة المؤسسة الدولية ـ بيروت، الطبعة الأُولى، (١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٩ م).

الشوشتري ـ القاضي نور الله (الشهيد سنة ١٠١٩ هـ)

٨١ ـ مجالس المؤمنين (بالفارسية)، انتشارات اسلاميه ـ تهران، ١٣٧٧ ش.

الشهرستاني ـ هبة الدين (ت ١٣٨٦ هـ)

٨٢ ـ نهضة الحسين، طبعة دار الكتاب العربي ـ بيروت، (بلا ـ ت).

الشيبي ـ كامل مصطفى (الدكتور)

٨٣ ـ الصلة بين التصوف والتشيع، طبعة دار الأندلس ـ بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٢ م.

(حرف الصاد)

الصالحي ـ عبد الحسين

٨٤ ـ الحوزات العلمية في الأقطار الإسلامية، طبعة بيت العلم ـ بيروت، الطبعة الأُولى، (١٤٢٥ هـ ـ ٢٠٠٤ م).

الصدر ـ حسن (ت ١٣٥٤ هـ)

٨٥ ـ تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام، طبعة انتشارات اعلمي ـ طهران، (بلا ـ ت).

٨٦ ـ تكملة أمل الآمل، تحقيق: حسين علي محفوظ وآخرون، طبعة دار المؤرخ العربي ـ بيروت، (١٤٢٩ هـ ـ ٢٠٠٨ م).

الصدر ـ محمد باقر (ت ١٤٠١ هـ)

٨٧ ـ الفتاوى الواضحة وفقا لمذهب أهل البيت عليهم السلام، طبعة دار التعارف ـ بيروت، الطبعة السابعة، (١٤٠١ هـ ـ ١٩٨٢ م).

٨٨ ـ المعالم الجديدة للأُصول، طبعة المجمع العالمي للإمام الشهيد الصدر، الطبعة الثالثة، ١٤٢٩ هـ

الصغير ـ محمد حسن

٨٩ ـ قادة الفكر الديني في النجف، طبعة مؤسسة البلاغ ـ بيروت، الطبعة الأُولى، (١٤٢٩ هـ ـ ٢٠٠٨ م).

الصفدي ـ صلاح الدين خليل بن أيبك الصَّفدي (ت ٧٦٤ هـ)

٩٠ ـ الوافي بالوفيات، طبعة دار النشر فرانز شتانيز ـ قيسبادان، (١٣٨١ هـ ـ ١٩٦٢ م).

الصولي ـ محمد بن يحيى (ت ٣٣٥ هـ)

٩١ ـ كتاب الأوراق، أخبار الراضي بالله والمتقي لله، أو تاريخ الدولة العباسية من سنة (٣٢٢ هـ) إلى سنة (٣٣٣ هـ) عنى بنشره ج. هيورث، طبعة دار السيرة ـ بيروت، الطبعة الثالثة، (١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م).

(حرف الطاء)

الطبري ـ أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم (من علماء الإمامية في القرن الرابع)

٩٢ ـ التفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن المعروف بـ (تفسير الطبري)، ضبط وتعليق: محمود شاكر، طبعة دار احياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة الأُولى، (١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠١ م).

الطوسي ـ أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي (ت ٤٦٠ هـ)

٩٣ ـ فهرست كتب الشيعة وأُصولهم، تحقيق وتقديم: عبد العزيز الطباطبائي، طبعة مؤسسة آل البيت ـ قم، الطبعة الأُولى، ١٤٢٠ هـ

الطهراني آقا بزرك ـ محسن، (ت ١٣٨٩ هـ)

٩٤ ـ طبقات أعلام الشيعة، طبعة دار احياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة الأُولى، (١٤٣٠ هـ ـ ٢٠٠٩ م).

٩٥ ـ مصفى المقال، طبعة دار العلوم ـ بيروت، الطبعة الثانية، (١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م).

٩٦ ـ هدية الرازي إلى الإمام المجدد الشيرازي، طبعة انتشارات ميقات، ١٤٠٣ هـ

(حرف العين)

عارف ـ تامر

٩٧ ـ تاريخ الاسماعيلية، طبعة رياض الريس ـ لندن، الطبعة الأُولى، ١٩٩١ م.

العاملي ـ أبو عبد اللّه محمد بن مكي المعروف بالشهيد الأول (ت ٧٨٦ هـ)

٩٨ ـ القواعد والفوائد في الفقه والأُصول والعربية، تحقيق: د. عبد الهادي الحكيم، طبعة أُفست مكتبة المفيد ـ قم إيران، (بلا ـ ت).

العاملي ـ جمال الدين بن الحسن بن زين الدين (ت ١٠١١ هـ)

٩٩ ـ التحرير الطاووسي، طبعة مؤسسة الأعلمي ـ بيروت، الطبعة الأُولى، (١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م).

العاملي ـ محمد بن الحسن بن علي الشهير بـ (الحر العاملي) (ت ١١٠٤ هـ)

١٠٠ ـ أمل الآمل في تراجم علماء جبل عامل، تحقيق: أحمد الحسيني، طبعة مكتب الأندلس ـ بغداد، (بلا ـ ت).

العقاد ـ عباس محمود

١٠١ ـ أبو الشهداء الإمام الحسين، طبعة مصر، وطبعة المجمع العالمي للتقريب، تحقيق: محمد جاسم الساعدي، الطبعة الأُولى، (١٤٢٥ هـ ـ ٢٠٠٤ م).

العلايلي ـ عبد اللّه

١٠٢ ـ الإمام الحسين، سمو المعنى في سمو الذات أو أشعة من حياة الحسين، طبعة دار مكتبة التربية ـ بيروت، ١٩٧٢ م.

العلي ـ أحمد صالح (الدكتور)

١٠٣ ـ سامراء، دراسة في النشأة والبنية السكانية، طبعة شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ـ بيروت، الطبعة الأُولى، ٢٠٠١ م.

علي البزركان

١٠٤ ـ الوقائع الخفية للثورة العراقية، طبعة بغداد، (بلا ـ ت).

علي حسن سرور

١٠٥ ـ العلّامة فضل اللّه وتحدي الممنوع، طبعة دار الملاك ـ بيروت، الطبعة الأُولى، (١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٢ م).

علي مقلد

١٠٦ ـ نظام الحكم في الإسلام النبوة والإمامة، طبعة مركز الحضارة ـ بيروت.

عمرو ـ القاضي يوسف محمد

١٠٧ ـ المدخل إلى أُصول الفقه الجعفري، قدّم له السيّد محمد الصدر، طبعة دار الزهراء ـ بيروت، الطبعة الأُولى، (١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م).

عوض ـ عبد الرضا

١٠٨ ـ الحوزة العلمية في الحلة، مجلة آفاق نجفية، العدد ١٢ لسنة (١٤٢٩ هـ ـ ٢٠٠٨ م).

(حرف الغين)

الغروي ـ محمد

١٠٩ ـ الحوزة العلمية في النجف الأشرف، طبعة دار الاضواء ـ بيروت، الطبعة الأُولى، (١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٤ م).

١١٠ ـ مع علماء النجف الأشرف، طبعة دار العارف ـ بيروت، الطبعة الثانية، (١٤٢٨ هـ ـ ٢٠٠٨ م).

الغريفي ـ محيي الدين

١١١ ـ قواعد الحديث، مطبعة الآداب ـ النجف الأشرف، الطبعة الأُولى، ١٣٨٨ هـ

(حرف الفاء)

الفتلاوي ـ كاظم

١١٢ ـ مشاهير المدفونين في النجف، طبعة النجف، العتبة العلوية، الطبعة الأُولى، (١٤٣١ هـ ـ ٢٠١٠ م).

الفضلي ـ عبد الهادي

١١٣ ـ تاريخ التشريع الإسلامي، طبعة مؤسسة دار الكتاب الإسلامي ـ قم، الطبعة الأُولى، (١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٣ م).

الفقيه ـ محمد تقي

١١٤ ـ جبل عامل في التاريخ، طبعة دار الاضواء ـ بيروت، الطبعة الثانية، (١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م).

الفياض ـ عبد الله (الدكتور)

١١٥ ـ تاريخ الإمامية واسلافهم من الشيعة، قدّم له: السيّد محمد باقر الصدر، طبعة مؤسسة الأعلمي ـ بيروت، الطبعة الثانية، (١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م).

(حرف القاف)

قايا ـ دليلك

١١٦ ـ كربلاء في الأرشيف العثماني، دراسة وثائقية باشراف وتقديم: د. زكريا قورشون، طبعة الدار العربية للموسوعات ـ بيروت، (١٤٢٨ هـ ـ ٢٠٠٨ م).

القزويني ـ جودت (الدكتور)

١١٧ ـ تاريخ المؤسسة الدينية الشيعية من العصر البويهي إلى نهاية العصر الصفوي، طبعة دار الرافدين ـ بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤٢٦ هـ.

١١٨ ـ المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية، طبعة دار الرافدين ـ بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤٢٦ هـ.

القمي ـ عباس بن محمد رضا بن أبي القاسم (١٣٥٩ هـ)

١١٩ ـ الفوائد الرضوية في أحوال علماء المذهب الجعفرية، المطبعة المركزية ـ طهران، ١٣٢٧ ش.

١٢٠ ـ هدية الأحباب في ذكر المعروفين بالكنى والألقاب، ترجمة: هاشم الصالحي، طبعة مؤسسة نشر الفقاهة ـ قم، الطبعة الأُولى، ١٤٢٠ هـ.

(حرف الكاف)

الكاظمي ـ محمد مهدي

١٢١ ـ أحسن الوديعة في تراجم أشهر مجتهدي الشيعة، طبعة دار الهادي ـ بيروت، الطبعة الأُولى، (١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٣ م).

الكتبي ـ محمد بن شاكر (ت ٧٦٤ هـ)

١٢٢ ـ فوات الوفيات، تحقيق: احسان عباس، طبعة دار صادر ـ بيروت، (بلا ـ ت).

كحالة ـ عمر رضا

١٢٣ ـ معجم المؤلفين، تراجم مصنفي الكُتب العربية، الناشر مكتبة المثنى، طبعة دار احياء التراث العربي ـ بيروت، ١٤٠٩ هـ.

كركوش ـ يوسف

١٢٤ ـ تاريخ الحلة، طبعة المكتبة الحيدرية ـ النجف الأشرف، ١٩٦٥ م.

الكرملي ـ الأب انستاس ماري

١٢٥ ـ مجلة لغة العرب، مجلة شهرية أدبية علمية تاريخية، طبعة دار الحرية، (١٣٩١ هـ ـ ١٩٧١ م).

الكليدار ـ عبد الجواد

١٢٦ ـ تاريخ كربلاء وحائر الحسين، طبعة أُفست الشريف الرضي ـ مق، ١٤١٨ هـ

گرجي ـ أبو القاسم (الدكتور)

١٢٧ ـ تاريخ فقه و فقهاء (بالفارسية)، طبعة سازمان مطالعه و تدوين كتب علوم انسانى ـ طهران، ١٣٧٧ هـ

(حرف اللام)

لونكريك ـ ستيفن

١٢٨ ـ أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة: جعفر الخياط، أُفست الطبعة الرابعة، المكتبة الحيدرية ـ قم، ١٤٢٥ هـ

(حرف الميم)

المجلسي ـ محمد باقر (ت ١١١١ هـ)

١٢٩ ـ بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، تحقيق ومراجعة وتقديم الشيخ محمود درياب ومجموعة من العلماء، طبعة دار التعارف للمطبوعات، الطبعة الأُولى، (١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠١ م).

مجلة فقه أهل البيت عليهم السلام

١٣٠ ـ مجلة فصلية تخصصية تصدرها دائرة معارف فقه اهل البيت عليهم السلام في قم ولبنان.

محبوبة ـ جعفر باقر (ت ١٣٧٧ هـ)

١٣١ ـ ماضي النجف وحاضرها، طبعة دار الاضواء ـ بيروت، الطبعة الثانية، (١٤٣٠ هـ ـ ٢٠٠٩ م).

المحلاتي ـ ذبيح الله

١٣٢ ـ مآثر الكبراء في تاريخ سامراء، طبعة انتشارات المكتبة الحيدرية ـ قم، الطبعة الأُولى، ١٤٢٦ هـ

مدرسي ـ محمد علي

١٣٣ ـ ريحانة الأدب في تراجم المعروفين بالكنية واللقب (بالفارسية)، طبعة شفق ـ تبريز ايران، الطبعة الثالثة، (بلا ـ ت).

المرتضى ـ علم الهدى الشريف علي بن الحسين بن موسى (ت ٤٣٦ هـ)

١٣٤ ـ مجموعة رسائل الشريف المرتضى، تقديم: أحمد الحسيني، إعداد: مهدي الرجائي، طبعة دار القرآن ـ قم، ١٤٠٥ هـ

مغنية ـ محمد جواد

١٣٥ ـ مع علماء النجف الأشرف، مراجعة وتصحيح: رياض الدباغ، طبعة شريعت ـ قم، الطبعة الأُولى، ١٤٢٦ هـ

منتجب الدين ـ علي بن بابويه الرازي (من أعلام القرن السادس الهجري)

١٣٦ ـ الفهرست، تحقيق وتقديم: الدكتور جلال الدين محدث أرموي، طبعة مكتبة المرعشي ـ قم، ١٣٦٦ ش.

الميلاني ـ محمد علي الحسيني

١٣٧ ـ علم وجهاد، ترجمة حياة آية اللّه السيّد محمد هادي الحسيني الميلاني، باشراف: علي الحسيني الميلاني، طبعة احياء الفكر الشيعي، الطبعة الأُولى، ١٤٢٧ هـ

ميربصري

١٣٨ ـ كربلاء، ذكريات ولمحات، بحوث ودراسات حول كربلاء.

(حرف النون)

ناجي ـ عبد الجبار (الدكتور)

١٣٩ ـ الامارة المزيدية الأسدية في الحلّة، طبعة قم، ١٤٣١ هـ

النجاشي ـ أحمد بن علي (ت ٤٥٠ هـ)

١٤٠ ـ الرجال، تحقيق: السيّد موسى شبيري، طبعة جامعة المدرسين ـ قم، ١٤٠٧ هـ

النوري ـ ميرزا حسين بن محمد تقي النوري الطبرسي، الشهير بالمحدث النوري (ت ١٣٢٠ هـ ـ ١٩٠٢ م)

١٤١ ـ مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، الخاتمة، طبعة وتحقيق: مؤسسة آل البيت لاحياء التراث ـ قم، الطبعة الأُولى، ١٤٠٧ هـ

(حرف الهاء)

هاشمي ـ محمد قاسم

١٤٢ ـ تاريخ پانصد ساله خاندان شهرستاني (بالفارسية)، طبعة إصفهان، ١٤٢٣ هـ

هاييلي ـ آيدين

١٤٣ ـ المراصد الفلكية في العالم الإسلامي، طبعة مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الطبعة الأُولى، ١٩٩٥ م.

هدو ـ حميد مجيد (الدكتور)

١٤٤ ـ السيّد كمال الحيدري، سيرته، منهجه، طبعة مؤسسة الهدى، (١٤٢٣ هـ ٢٠١١ م).

الهمذاني رشيد الدين فضل اللّه

١٤٥ ـ جامع التواريخ، تعريب: الدكتور فؤاد عبد المعطي الصيَّاد، تقديم: الدكتور يحيى الخشاب، طبعة دار النهضة ـ بيروت، الطبعة الأُولى، ١٩٨٣ م.

(حرف الواو)

الوردي ـ علي (الدكتور)

١٤٦ ـ لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، طبعة أُفست المكتبة الحيدرية.

الفهرست